

موسوعة

الدُّرَرُ الْمُنِيْفَةُ

موسوعة . وعظية . تربوية . اجتماعية
تحتوي على مئات الموضوعات التي يحتاجها المسلم

١٣



إعداد

د/ أمين بن عبد الله الشقاوي

موسم
الدر الشقاة



ح أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٤٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي، أمين بن عبد الله

موسوعة الدرر المنتقاة دروس يومية: الجزء الثالث عشر / أمين بن

عبد الله بن سليمان الشقاوي - الرياض، ١٤٤٤ هـ

٤١٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك:

١ - الوعظ والإرشاد أ- العنوان

١٤٤٤ /

ديوي

رقم الإيداع: ١٤٤٤ /

ردمك:

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والإله أراد طباعته وتوزيعه مجاناً بقدر موافقة المؤلف الحظية

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٣ م

حزّال رقم: ٠٥٠٤٤٢٠٥٦٠٠



موسوعته الدردر الشقاوة

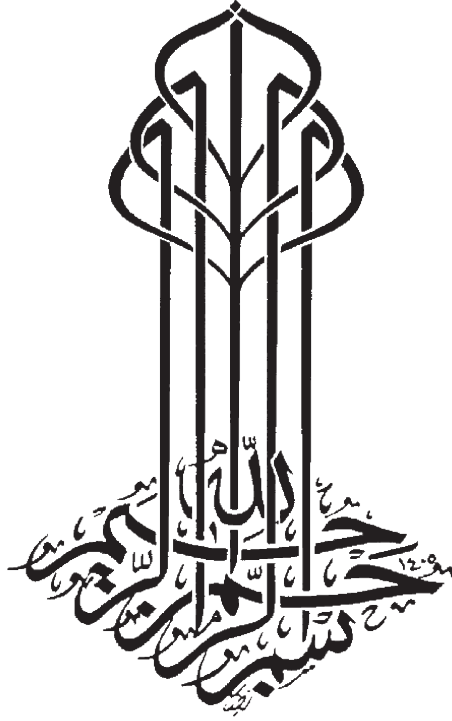
دروس يومية

(٦٠) درساً للترعة والمطباو وأئمة المساحد للقرارة على الصلن

إعداد

د. أمينة بن عبد الله الشقاوي

الجزء الثالث عشر





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾
 [آل عمران]. ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فهذا هو الجزء الثالث عشر من كتابي: «موسوعة الدرر المنتقا»، وقد اشتمل على ستين كلمة نهجت في إعدادها نفس المنهج الذي سلكته في هذه الموسوعة، وقد اشتمل هذا الجزء على موضوعات متنوعة أمل أن تكون مفيدة ونافعة.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد في أقوالنا، والصواب في أعمالنا، والإخلاص في نياتنا، وأن يردنا وإخواننا المسلمين إليه رداً جميلاً، وأن يعز دينه، ويعلي كلمته، وينصر عباده المؤمنين الصادقين، وأن يقينا وإياهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.



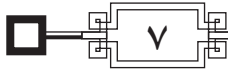


وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الرياض ٣ / ٥ / ١٤٤٤ هـ





حادثة الإفك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَهُ ^(١).

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ ^(٢) غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَمَا نَزَلَ الْحِجَابُ ^(٣)، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي ^(٤) وَأُنزَلُ فِيهِ، فِسْرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلٌ ^(٥) وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ ^(٦) قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةَ بِالرَّحِيلِ، فَكُفْتُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - برقم (٤٧٥٠).

(٢) ورد في سيرة ابن اسحاق أنها غزوة بني المصطلق.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٩٢ / ٩): أي بعدما نزل الأمر بالحجاب، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٣٩٢ / ٩): الهودج: بفتح الهاء والبدال بينهما واو ساكنة: هو محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، يوضع على ظهر البعير يركب عليه النساء ليكون أستر لهن.

(٥) قفل: رجع. انظر النهاية (٨٢ / ٤).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٣٩٣ / ٩): أي أن قصتها وقعت حال رُجوعهم من =



حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ^(١) حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَمَسَّتْ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ^(٢) لِي مِنْ جَزَعٍ^(٣) ظَفَارٍ^(٤) قَدْ انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ^(٥) لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ^(٦) عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النَّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِيفًا، لَمْ يَثْقُلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ الْعُلُقَةَ^(٧) مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِيفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ^(٨).

= الغزوة فُرب دخولهم المدينة.

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٩٣ / ٩): أي لتقضي حاجتها منفردة.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٩٣ / ٩): العِقد: بكسر العين قلادة تعلق في العُنُق للترزين بها.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٩٣ / ٩): الجَزَع: بفتح الجيم وسكون الزاي، خرزٌ معروف في سواده بياض كالعُرُوق.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٣٩٣ / ٩): فأما ظَفَار: بفتح الظاء ثم فاء بعدها راء مبنية على الكسر: هي مدينة باليمن، وقيل: جبل.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٣٩٣ / ٩): يرحلون: بفتح أوله والتخفيف، رحلت البعير إذا شددت عليه الرحل.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٣٩٤ / ٩): رحلوه: أي وضعوه.

(٧) قال الحافظ في الفتح (٣٩٥ / ٩): العُلُقَة: بضم العين: أي القليل.

(٨) قال الحافظ في الفتح (٣٩٥ / ٩): أي أنها مع نحافتها صغيرة السن، فذلك أبلغ في خفتها، ويستفاد من ذلك: أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها، والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج بحيث أنها لم تكن فيه، وهم يظنون أنها فيه، وكأنهم جوزوا أنها نائمة.

ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص =



موسوعنا الدرر المنتقاة

٩

فَبَعَثُوا^(١) الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ
فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلَا مُجِيبٌ^(٢)، فَأَمَمْتُ^(٣) مَنْزِلِي الَّذِي
كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي
مَنْزِلِي [وَقَدْ تَلَفَفْتُ بِجِلْبَابِي]^(٤) غَلَبَتْ عَيْنِي فَنِمْتُ^(٥).

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ^(٦) ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ،

= على العقد الذي انقطع، ومن استقلالها بالتفتيش عليه في تلك الحال وترك
إعلام أهلها بذلك، وذلك لصغر سنها، وعدم تجاربها للأمور بخلاف ما لو
كانت ليست صغيرة لكانت تتفطن لعاقبة ذلك، وقد وقع لها بعد ذلك في
ضياح العقد أيضًا أنها أعلمت النبي ﷺ بأمره، فأقام الناس على غير ماء حتى
وجدته، ونزلت آية التيمم بسبب ذلك، فظهر تفاوت حال من جرب الشيء،
ومن لم يجربه.

قلت: كان عمر عائشة رضي الله عنها في هذه الغزوة خمس عشرة سنة.

(١) فبعثوا الجمال: أي أثاروه. انظر النهاية (١/١٣٧).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/٣٩٦): فإن قيل: لم لم تستصحب عائشة معها
غيرها؛ ليكون أدهى لأمنها مما يقع للمنفرد، ولكانت لما تأخرت للبحث عن
العقد ترسل من رافقها لينتظروها إن أرادوا الرحيل؟

والجواب: أن هذا من جملة ما يستفاد من قولها: «حديثه السن»، لأنها لم تقع لها
تجربة مثل ذلك، وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب، كما سيأتي
في قصتها مع أم مسطح.

(٣) أمه: أي قصده. انظر النهاية (١/٧٠).

(٤) الزيادة من رواية ابن اسحاق لحادثة الإفك.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩/٣٩٧): يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم الذي حصل
لها في تلك الحالة، ومن شأن الغم - وهو وقوع ما يكره - غلبة النوم، أو أن الله سبحانه
وتعالى لطف بها، فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٩/٣٩٧): صفوان بن المعطل بفتح الطاء المهملة المشددة، =



فَأَدْلَجَ^(١) فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَيْتَنِي^(٢)، وَكَانَ رَأْيِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ^(٣) حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ^(٤) وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاِحَلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَيَّ يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ^(٥) فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ.

فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاسْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ^(٦) فِي

- = وكان صحابياً فاضلاً، أول مشاهده عند الواقدي الخندق، وعند ابن الكلبي المريسي.
- (١) قال الحافظ في الفتح (٣٩٧/٩): أدلج: بسكون الدال في روايتنا، وهو كادلج بتشديدها، وقيل: بالسكون سار في أوله، وبالتشديد سار من آخره، وعلى هذا فيكون الذي هنا بالتشديد؛ لأنه كان في آخر الليل، وكأنه تأخر في مكانه حتى قرب الصبح فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يُخفيه الليل.
- (٢) قال الحافظ في الفتح (٣٩٨/٩): هذا يشعر بأن وجهها انكشف لما نامت؛ لأنه تقدم أنها تَلَفَّتْ بجلبابها ونامت، فلما انتبعت باسترجاع صفوان بادرت إلى تغطية وجهها.
- (٣) قال الحافظ في الفتح (٣٩٩/٩): أي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مُحَاظَبَتِهَا بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة، وقد كان عمر رضي الله عنه يستعمل التكبير عند إرادة الإيقاظ، وفيه دلالة على فطنة صفوان وحسن أدبه رضي الله عنه.
- (٤) خَمَّرْتُ: أي غطيتُ. انظر النهاية (٧٣/٢).
- (٥) قال الحافظ في الفتح (٤٠٠/٩): مُوْغِرِينَ: بضم الميم وكسر الغين: أي نازلين في وقت الوغرة بفتح الواو وسكون الغين، وهي شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء.
- (٦) قال الحافظ في الفتح (٤٠١/٩): يُفِيضُونَ: بضم أوله: أي يخوضون.



موسوعنا الدرر المنتقاة

١١

قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيْبُنِي فِي وَجْعِي، أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ (١) الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي (٢)، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟»، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرِيْبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ (٣)، فَخَرَجْتُ مَعِي أُمَّ مُسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِحِ (٤)، وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ (٥) قَرِيبًا مِنْ بِيوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّبَرُّزِ قَبْلَ الْغَائِطِ، فَكُنَّا نَتَأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بِيوتِنَا، فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمَّ مُسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهِمٍ (٦) بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرٍ بِنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مُسْطَحُ بْنُ أُنَاثَةَ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمَّ مُسْطَحٍ بِنِ أُنَاثَةَ (٧)، فَأَقْبَلْتُ

(١) قال الحافظ في الفتح (٤٠١ / ٩): اللطف: بضم أوله وسكون ثانيه، والمراد الرفق.

(٢) أشتكى: أي أمرض. قاله الحافظ في الفتح (٤٠١ / ٩).

(٣) نقه المريض: بفتح النون وفتح القاف وقد تكسر؛ إذا برئ وأفاق. انظر النهاية (٩٧ / ٥).

(٤) المناصيح: هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة. انظر النهاية (٥٦ / ٥).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤٠٢ / ٩): الكنف: بضمين جمع كنيف، وهو الساتر، والمراد به هنا المكان المتخذ لقضاء الحاجة.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٤٠٢ / ٩): رهم: بضم الراء وسكون الهاء.

(٧) قال الحافظ في الفتح (٤٠٢ / ٩): مسطح: بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء، وهو لقب واسمه عوف وقيل عمر، والأول هو المعتمد، وقد أخرج الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه يعاتب مسطحًا في قصة عائشة رضي الله عنها:

يَا عَوْفُ وَيَحَاكَ هَلَا قُلْتَ عَارِفَةً مِنْ الْكَلَامِ وَلَمْ تَبْتَغِ بِهِ طَمَعًا

وكان هو وأمه من المهاجرين الأولين، وشهد مسطح بدرًا، وكان أبوه مات وهو صغير، فكفله أبو بكر رضي الله عنه لقرابة أم مسطح منه، وكانت وفاة مسطح سنة أربع وثلاثين، وقيل سنة سبع وثلاثين بعد أن شهد صفين مع علي رضي الله عنه.

أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِي، وَقَدْ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا^(١)، فَقَالَتْ: تَعَسَّ^(٢) مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتُسَبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟

قَالَتْ: أَيُّ هَتْتَاهُ^(٣) أَوْلَمَ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟^(٤)

قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟

قَالَتْ: فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ^(٥)، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي^(٦).

(١) المِرْطُ: بكسَم الميم: هو كساء من صوف. انظر النهاية (٤/٢٧٣).

قال الحافظ في الفتح (٩/٤٠٣): وهذه ظاهرة أنها عثرت بعد أن قضت عائشة حاجتها ثم أخبرتها الخبر بعد ذلك، لكن وقع في رواية هشام بن عروة في صحيح البخاري: أنها عثرت قبل أن تقضي عائشة رضي الله عنها حاجتها، وأنها لما أخبرتها الخبر رجعت كأن الذي خرجت له لا تجد منه لا قليلاً ولا كثيراً، وكذا وقع في رواية ابن إسحاق في السيرة (٣/٣٢٧) قالت: فوالله ما قدرت أن أقضي حاجتي.

ويجمع بينهما بأن معنى قولها: «وقد فرغنا من شأننا»: أي من شأن المسير، لا قضاء الحاجة.

(٢) تَعَسَّ: بفتح التاء وكسر العين: إذا عَثَرَ وانكَبَّ لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك. انظر النهاية (١/١٨٦).

(٣) قال الإمام النووي رحمته الله في شرح مسلم (١٧/٩٠): هتته: بفتح الهاء وسكون النون؛ أي يا هذِهِ، وقيل: يا امرأة.

(٤) في رواية أخرى في صحيح البخاري - رقم الحديث (٤٧٥٧) قالت أم مسطح: والله ما أسبُهُ إلا فيك.

(٥) في رواية أخرى في صحيح البخاري - رقم الحديث (٤٧٥٧) قالت عائشة رضي الله عنها: فَبَقَرْتُ لِي الْحَدِيثَ.

(٦) قال الحافظ في الفتح (٩/٤٠٤): وعند الطبراني بإسناد صحيح قالت عائشة رضي الله عنها: لما بلغني ما تكلموا به هممتُ أن آتي قليلاً فأطرح نفسي فيه.



موسوعنة الدرر المنتقاة

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - تَعْنِي سَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تَيْكُم؟».

فَقُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ! مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟

قَالَتْ: يَا بِنْتَهُ هُوَ نِي عَلَيَّكَ ^(٧)، لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً ^(٨) عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرٌ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا ^(٩).

قَالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأُمِّهَا: وَقَدْ

(٧) في رواية أخرى في صحيح البخاري - رقم الحديث (٤٧٥٧) قالت أم رومان: يَا بِنْتَهُ خَفِضِي عَلَيْكَ الشَّانَ.

(٨) وضِيئَةً: بوزن عظيمة من الوضوء أي حسنة جميلة. قاله الحافظ في الفتح (٤٠٤/٩).

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري - رقم الحديث (٤٧٥٧) قالت أم رومان: فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةً قَطُّ حَسَنَاءَ.

(٩) قال الحافظ في الفتح (٤٠٤/٩): أَي الْقَوْلِ فِي عَيْبِهَا.

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري - رقم الحديث (٤٧٥٧) قالت أم رومان: إِلَّا حَسَدْنَهَا وَقِيلَ فِيهَا.

قال الحافظ في الفتح (٤٠٤/٩): وفي هذا الكلام من فطنة أمها، وحسن تأتيتها في تربيتها ما لا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك؛ لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تُطيب به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والحظوة.



عَلِمَ بِهِ أَبِي؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

قُلْتُ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

قَالَتْ: نَعَمْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَاسْتَعْبَرْتُ وَبَكَيْتُ، فَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَوْتِي، وَهُوَ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ، فَنَزَلَ فَقَالَ لِأُمِّي: مَا شَأْنُهَا؟ قَالَتْ: بَلَغَهَا الَّذِي ذُكِرَ مِنْ شَأْنِهَا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ أَيُّ بَنِيَّةٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيَّ بَيْنِكَ، فَرَجَعْتُ^(١).

□ لا تعارض بين الروايات:

وفي رواية أخرى: أن الذي أخبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بحديث الإفك امرأة من الأنصار، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أم رومان، قالت: بينا أنا قاعدة أنا وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إذ ولجت^(٢) امرأة من الأنصار، فقالت: فعل الله بفلان وفعل بفلان، فقالت أم رومان: وما ذاك؟

قَالَتْ: ابني فيمن حدث الحديث؟ قالت: وما ذاك؟ قال كذا وكذا.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَتْ: وَأَبُو بَكْرٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - برقم (٤٧٥٧).

(٢) وَوَلَجْتُ: أَي دَخَلْتُ. انظر النهاية (١٩٦/٥).



موسى بن الدرداء المتنبه

فخرت مغشياً عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافضٍ، فطرحت عليها ثيابها فغطيتها^(١).

قالت رضي الله عنها: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ، لَا يَرْقَأُ^(٢) لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَجِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي.

□ مشاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما:

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما^(٣).....

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٤١٤٣).

قال الحافظ في الفتح (٤٠٥/٩): طرُق حديث الإفك مجتمعة على أن عائشة بلغها الخبر من أم مسطح، لكن وقع من حديث أم رومان ما يخالف ذلك، وطريق الجمع بينهما: أنها سمعت ذلك أولاً من أم مسطح، ثم ذهبت لبيت أمها لتستيقن الخبر منها فأخبرتها أمها بالأمر مجملاً كما مضى من قولها: هوني عليك وما أشبه ذلك، ثم دخلت عليها الأنصارية، فأخبرتها بمثل ذلك بحضرة أمها، فقوي عندها القطع بوقوع ذلك، فسألت: هل سمعه أبوها وزوجها؟ ترجياً منها أن لا يكونا سمعاً ذلك ليكون أسهل عليها، لما قالت لها أنهما سمعاه غشي عليها.

(٢) لا يرقأ: أي لا ينقطع. انظر النهاية (٢/٢٢٦).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٤٠٧/٩): والعلة في اختصاص علي وأسامة رضي الله عنهما بالمشاورة؛ أن علياً كان عنده كالولد؛ لأنه رباه من حال صغره ثم لم يفارقه، بل وازداد اتصاله بتزويج فاطمة، فلذلك كان مخصوصاً بالمشاورة فيما يتعلق بأهله لمزيد اطلاعه على أحواله أكثر من غيره، وكان أهل مشورته فيما يتعلق بالأمور العامة أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأما أسامة فهو كعلي في طول الملازمة ومزيد الاختصاص والمحبة، ولذلك كانوا يطلقون عليه أنه =



حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ^(١)، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَهْلَكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا.

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ^(٢)، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدُقْكَ.

قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ: فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةَ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يُرِيدُكَ؟».

قَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا أَعْمَصُهُ^(٣) عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي

= حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وخصه دون أبيه وأمه لكونه كان شاباً كعلي، وذلك أن للشباب من صفاء الذهن ما ليس لغيره، ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المُسنِّ؛ لأن المُسنَّ غالباً يُحسن العاقبة فربما أخفى بعض ما يظهر له رعاية للقائل تارةً، والمسؤول عنه أخرى، مع ما ورد في بعض الأخبار أنه استشار غيرهما.

(١) استلبثَ الوحيُّ: أي أبطأ وتأخر. انظر النهاية (٤/ ١٩٤).

(٢) قال الحافظُ في الفتح (٩/ ٤٠٧): هذا الكلام الذي قاله عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنده من القلق والغمِّ بسبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأى عليٌّ أنه إذا فارقتها سَكَنَ ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها، ويُستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهابِ أشدهما.

(٣) أَعْمَصُهُ: أي أعيبه. انظر النهاية (٣/ ٣٤٧).



موسوع من الدرر المنتقاة

١٧

الدَّاجِنُ (١) فَتَأْكُلُهُ (٢).

فَانْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اضْذُقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى
أَسْقُطُوا لَهَا بِهِ (٣)، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا
يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تَبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ. وَبَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى صَفْوَانَ بْنِ
الْمَعْطَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ كَنْفَ (٤) أَنْثَى قَطُّ (٥).

(١) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤٠٩): الداجن: هي الشاة التي تألف البيت ولا
تخرج إلى المرعى، وقيل هي كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أو طيراً.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْنَفُسِهِنَّ خَيْرًا﴾ [سورة النور: آية: ١٢] رقم الحديث (٤٧٥٠).
(٣) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤٠٨): أي حتى صرّحوا لها بالأمر، فلهذا تعجبت،
وقالت: سبحان الله.

(٤) قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ مُسْلِمَ (١٧/ ٩٥): الْكَنْفُ: بفتح الكاف والنون: أي
ثوبها الذي يسترها، وهو كناية عن عدم جماع النساء.
(٥) أخرج ذلك البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٤٧٥٧) - وفي رواية
أبي سعيد بن أبي هلال عن هشام بن عروة في قصّة الإفك قال: إن الرجل
الذي قيل فيه ما قيل لما بلغه الحديث قال: والله ما أصبت امرأة قط حلالاً
ولا حراماً.

قال الحافظ في الفتح (٩/ ٣٩٨): فالذي يظهر أن مراده بالنفي المذكور ما
قَبْلَ هذه القصة، ولا مانع أن يتزوج بعد ذلك. فهذا الجَمْعُ لا اعتراض عليه
إلا ما جاء عن ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٣٤): أنه كان حَصُورًا - وهو
الذي لا يأتي النساء - لكنه لم يثبت فلا يُعارض الحديث الصحيح.

فقد روى أبو داود في سننه - رقم الحديث (٢٤٥٩) من حديث أبي سعيد
الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ صَفْوَانَ بْنَ الْمَعْطَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَفْوَانَ بْنَ الْمَعْطَلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، وَيُفْطِرُنِي =



فقام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «يا معشرَ المُسْلِمِينَ! مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا - يَعْنِي صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ^(١)، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْنَا فَفَعَلْنَا أَمْرًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنَّهُ حَمَلَتْهُ الْجَاهِلِيَّةُ^(٢)، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: لَعَمْرُ اللَّهِ لَا نَقْتُلُنَّهُ وَلَا نَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ.

= إذا صُمت ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس - وصفوان عند رسول الله ﷺ - فقال صفوان:.... وأما قولها يُفْطِرُنِي إِذَا صَمْتُ، فَإِنهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ لَا أَصْبِرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ: «لَا تَصُومَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا»، وَأَمَّا قَوْلُهَا: لَا أَصْلِي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِنَا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَلِكَ، لَا نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ.. « الْحَدِيثُ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤٦٦/٢) بِرَقْمِ (٢١٤٧).

قال الإمام الذهبي في السير (٢/ ٥٥٠): فهذا بعيدٌ من حال صفوان أن يكون كذلك، وقد جعله النبي ﷺ على ساقَةِ الجِيشِ، فلعله آخِرُ بِاسْمِهِ. وقال الحافظ في الفتح (٣٩٨/٩): المقول فيه ذلك غير صفوان، وهو المعتمد إن شاء الله تعالى.

(١) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤١١): إنما قال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك لأنه كان سيدهم، فجزم بأن حكمه فيهم نافذٌ.

(٢) قال ابن التين فيما نقله عنه الحافظ في الفتح (٩/ ٤١٣): أي لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين.



موسوع من الدرر المنتقاة

١٩

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنه، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ رضي الله عنه: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لِنَقْتَلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. قَالَتْ: فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَمَكَثْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يِرْقَأُ ^(١) لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ: فَأَصْبَحَ أَبُوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا ^(٢) لَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَلَا يِرْقَأُ لِي دَمْعٌ، يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذْنَتْ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ. قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ. قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ^(٣) رَسُولُ اللَّهِ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا ^(٤) فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ ^(٥)، وَإِنْ كُنْتِ أَلَمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

(١) لا يرقأ: أي لا ينقطع. انظر النهاية (٢/ ٢٢٦).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤١٤): أي الليلة التي أخبرتها فيها أم مسطح الخبر، واليوم الذي خطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم الناس، واللييلة التي تليه.

(٣) في رواية أخرى في صحيح البخاري - رقم الحديث (٤٧٥٧) قالت عائشة رضي الله عنها: فحمد الله وأثنى عليه.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤١٥): هو كناية عما رُميت به من الإفك، ولم أر في شيء من الطرق التصريح.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤١٥): أي بوحى ينزله بذلك قرآنًا أو غيره.



قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ قَلَصَ (١) دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ.

قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ.

قَالَتْ أُمِّي: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقُلْتُ - وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ (٢): إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث، حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أنني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني منه بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (٣).

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرئِي بَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحَيًّا يُتْلَى (٤)، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا

(١) قال الحافظ في الفتح (٤١٦/٩): قَلَصَ: بفتح القاف واللام: أي استمسك نؤوله فانقطع.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤١٦/٩): قالت عائشة رضي الله عنها هذا توطئة لعذرها لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام كما سيأتي.

(٣) سورة يوسف، آية (١٨).

(٤) في رواية ابن إسحاق في السيرة (٣/٣٢٩): قالت رضي الله عنها: يقرأ به في المساجد، ويُصلى به.



موسوعنا الدرر المنتقاة

٢١

يَبْرئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ^(١) رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبِرْحَاءِ^(٢)، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ^(٣) مِنَ الْعَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ^(٤).

قَالَتْ: فَأَمَّا أَنَا حِينَ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ، فَوَاللَّهِ مَا فَرَعْتُ وَلَا بَالَيْتُ، قَدْ عَرَفْتُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ غَيْرُ ظَالِمِي، وَأَمَّا أَبَوَايَ -فَوَالَّذِي نَفْسُ عَائِشَةَ بِيَدِهِ مَا سُرِّي^(٥) عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَنَّ أَنْفُسُهُمَا، فَرَقًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ اللَّهِ تَحْقِيقُ مَا قَالَ النَّاسُ.

قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأكَ»^(٦).

فَقَالَتْ أُمِّي: فُومِي إِلَيْهِ.

قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ ﷻ.

(١) رام: أي فارق. انظر النهاية (٢/ ٢٦٣).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤١٧): البرحاء: بضم الموحدة وفتح الراء: هي شدة الحمى، وقيل شدة الكرب، وقيل شدة الحر.

وفي رواية ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٣٠): فسُجِّي بثوبه ووضعت تحت رأسه وسادة من آدم.

(٣) الجمان: بضم الجيم وتخفيف الميم، هو اللؤلؤ. انظر النهاية (١/ ٢٩١).

(٤) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٧٥٠).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤١٨): سُري: بضم السين وتشديد الراء المكسورة: أي كشف.

(٦) أخرج ذلك ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٣٠).



وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ^(١) عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٢) ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ^(٣) ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ^(٤) ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٥) ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالِلسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ^(٦) ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ^(٧) ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ^(٨) ﴿١٧﴾ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(٩) ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(١٠) ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ^(١١) ﴿٢٠﴾^(١٢)

□ إقامة الحد على من أشاع حديث الإفك:

فلما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد، فخطب الناس، وتلا عليهم ما أنزل الله من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حد القذف ثمانين جلدة، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا نَزَلَ عُدْرِي، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمُنْبَرِ فَذَكَرَ ذَلِكَ، وَتَلَا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَمَرَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَةٍ، فَضُرِبُوا حَدَّهُمْ^(٤).

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٦ / ٢٥): أي بالكذب والبهت والافتراء.

(٢) هو عبد الله بن أبي ابن سلول قبحه الله.

(٣) الآيات من سورة النور من آية (١١ - ٢٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - رقم الحديث (٢٤٠٦٦)، وقال محققوه: =

موسوع من الدرر المنتقاة

٢٣

وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «.. فَضْرُبُوا حَدَّهُمْ ثَمَانِينَ ثَمَانِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا كِبَرَ ذَلِكَ وَقَالُوا بِالْفَاحِشَةِ؛ حَسَّانُ، وَمِسْطَحٌ، وَحَمْنَةُ»^(١).

□ ترك عبد الله بن أبي سلول:

وترك عبد الله بن أبي سلول المنافق، ولم يحد، مع أنه رأس أهل الإفك، فقيل: لأن الحدود تخفيفٌ عن أهلها وكفارةٌ، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة، فقال سبحان الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢). وقيل: بل كان يستوشي^(٣) الحديث، ويجمعه ويحكىه، ويخرجه في قوالب من لا يُنسب إليه^(٤).

□ اعتذار حسان بن ثابت رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها:

وقد اعتذر حسان بن ثابت رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها، فقد أخرج الإمام البخاري عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء حسان بن ثابتٍ يستأذن عليها، قلتُ -القائل مسروقٌ-: أتأذنين لهذا؟

= حديث حسن، وأخرجه أبو داود في سننه - رقم الحديث (٤٧٤٤).
(١) أخرجه أبو داود - رقم الحديث (٤٤٧٥)، عن محمد بن إسحاق بهذا الحديث إلا أنه لم يذكر عائشة رضي الله عنها، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار برقم (٢٩٦٣)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٨٤٧/٣) برقم (٣٧٥٧).
(٢) انظر: زاد المعاد (٢٣٦/٣).

(٣) يستوشي: أي يستخرج الحديث بالبحث عنه. انظر النهاية (١٦٥/٥).
(٤) أخرج ذلك البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٤٧٥٧)، ومسلم في صحيحه - رقم الحديث (٥٨/٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قالت: أوليس قد أصابه عذابٌ عظيمٌ؟

فقال حسان رضي عنه يمدح عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ^(١) رَزَانٌ^(٢) مَا تُزَنُ^(٣) بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْتِي^(٤) مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(٥)
عَقِيلَةٌ^(٦) حَيٌّ مِنْ لُؤْيِي بْنِ غَالِبٍ كِرَامُ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا^(٧) وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
حَلِيلَةٌ خَيْرِ الْخَلْقِ دِينًا وَمَنْصِبًا نَبِيِّ الْهُدَى وَالْمَكْرَمَاتِ الْفَوَاضِلِ
رَأَيْتُكَ وَلَيَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ حُرَّةً مِنْ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرِ ذَاتِ الْغَوَائِلِ^(٨)

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن هشام عن أبيه عروة بن

(١) الحصان: بفتح الحاء المرأة العفيفة. انظر النهاية (٣٨٢ / ١).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَذَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة النساء: آية ٢٤].

(٢) يُقال: امرأة رزان بالفتح، ورزينة، إذا كانت ذات ثبات ووقار وسكون. انظر النهاية (٢٠١ / ٢).

(٣) ما تُزن: أي ما تتهم. انظر النهاية (٢٨٥ / ٢).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٤٢٩ / ٩): غرثي: بفتح الغين وسكون الراء: أي خميسة البطن أي لا تغتاب أحدًا.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤٢٩ / ٩): الغوافل: جمع غافلة، وهي الغافلة عن الشر، والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة.

إلى هذا القدر أخرجه البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٤٧٥٥).

(٦) العقيلة من النساء: الكريمة. انظر لسان العرب (٣٣٠ / ٩).

(٧) الخيم: بكسر الخاء: الأصل. انظر فتح الباري (٤٣٠ / ٩).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٣٣٤ / ٣).



موسوع عن الدرر المنتقاة

٢٥

الزبير قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة رضي الله عنها فقالت: لَا تَسْبُهُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ^(١) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وقالت عائشة: استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في هجاء المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ بِنَسَبِي؟».

قال حسان رضي الله عنه: لأسلنك منهم كما تسئل الشعرة من العجين^(٢).

□ شدة ورع زينب بنت جحش رضي الله عنها:

أما زينب بنت جحش رضي الله عنها فقد عصمها الله^(٣) بلسانها، فلم تقل إلا خيراً، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: ... وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش، زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمري فقال: «يَا زَيْنَبُ! مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟».

فقالت: يا رسول الله! أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة رضي الله عنها: وهي التي كانت تُساميني^(٤) من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله بالورع، وطفقت^(٥) أختها حمنة تُحاربُ لها^(٦)، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك^(٧).

(١) ينافح: يدافع. انظر النهاية (٥ / ٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٤١٤٥).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٩ / ٤٢٠): عصمها الله: أي حفظها ومنعها.

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧ / ٩٥): تساميني: أي تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانها عند النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) طَفِقَتْ: بكسر الفاء: أي جعلت. انظر لسان العرب (٨ / ١٧٤).

(٦) قال الحافظ في الفتح (٩ / ٤٢٠): تحارب لها: أي تجادل لها وتتعصب لها.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٤٧٥٠)، وأخرجه مسلم في =



□ حفظ أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه لسانه:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رجلاً من الأنصار عندما سمع هذه الفرية قال: سُبْحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سُبْحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ^(١).

قال الحافظُ في الفتح: وقع عند ابن إسحاق^(٢) أنه أبو أيوب الأنصاري، وأخرجه الحاكم من طريقه، وأخرجه الطبراني في مُسند الشاميين، وأبو بكر الأجري في طرق حديث الإفك، من طريق عطاء الخرساني عن الزهري عن عروة عن عائشة^(٣).

□ أبو بكر الصديق رضي الله عنه يُمسك النفقة عن مسطح ثم يرجعها:

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يُنفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه^(٤) وفقره، فلما أنزل الله تعالى عُدْر عائشة رضي الله عنها، قال: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بنفع أبداً، بعد الذي قال لعائشة ما قال،

= صحيحه - رقم الحديث (٢٧٧٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٧٣٧٠).

(٢) قال ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٣٠): أن أبا أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه، قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟

قالت: لا، والله ما كنت لأفعله؟

قال: فعائشة والله خير منك.

(٣) انظر: فتح الباري (١٥/ ٢٨٨).

(٤) أم مسطح تكون بنت خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر الإصابة (٦/ ٧٤).



موسى عز الدين المنتقاة

٢٧

وأدخل علينا، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتِلِ (١) أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

فقال أبو بكر رضي عنه: بلى والله، إني أحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفق عليه، وقال رضي عنه: والله لا أنزعها منه أبداً (٣) (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ولا يأتل: أي ولا يحلف. انظر تفسير ابن كثير رحمته (٦ / ٣١).

(٢) سورة النور، آية: (٢٢).

(٣) أخرج قصة إعادة نفقة أبي بكر الصديق رضي عنه على مسطح: البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٤٧٥٠)، ومسلم في صحيحه - رقم الحديث (٢٧٧٠)، والإمام أحمد في مسنده - رقم الحديث (٢٤٣١٧).

(٤) معاني الكلمات والترتيب مستفاد من كتاب اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون للعازمي (٣ / ١٠٢ - ١٢٣).



=



الكلمة الثانية

دروس وعبر من حادثة الإفك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد اشتملت حادثة الإفك على دروس وعبر عظيمة ذكرها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ كما في فتح الباري، فمن ذلك:

- ١- جواز الحديث عن جماعةٍ مُلَفَّقًا مُجْمَلًا.
- ٢- وفيه مشروعية القرعة بين النساء وفي المسافرة بهنَّ، والسفرُ بالنساء حتى في الغزو.
- ٣- وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاجُ إليه من الكلام.
- ٤- وأن اليهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة.
- ٥- وفيه جواز ركوب المرأة اليهودج على ظهر البعير، ولو كان ذلك مما يشقُّ عليه حيث يكون مُطيقًا لذلك.
- ٦- وفيه خدمة الأجنب للمرأة من وراء الحجاب.
- ٧- وجواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن.
- ٨- وفيه توجه المرأة لقضاء حاجتها وبغير إذن خاص من زوجها، بل اعتمادًا على الإذن العام المستند إلى العرف العام.
- ٩- وفيه جواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها.



- ١٠- وفيه صيانة المال، ولو قلَّ؛ للذهبي عن إضاعة المال^(١)، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهبٍ ولا جوهريٍّ.
- ١١- وفيه شؤم الحرص على المال؛ لأنها لو لم تُطل في التفتيش لرجعت بسرعة، فلما زاد على قدر الحاجة أثر ما جرى.
- ١٢- وفيه توقف رحيل العسكر على إذن الأمير.
- ١٣- واستعمال بعض الجيش ساقه^(٢) يكون أميناً؛ ليحمل الضعيف، ويحفظ ما يسقط، وغير ذلك من المصالح.
- ١٤- وفيه الاسترجاع عند المصيبة.
- ١٥- وفيه تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، وإطلاق الظن على العلم، كذا قيل وفيه نظرٌ.
- ١٦- وفيه إغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع.
- ١٧- وفيه إكرام ذوي القدر، وإيثارهم بالركوب وتجشم^(٣) المشقة لأجل ذلك.
- ١٨- وفيه حُسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء، لاسيما في الخلوة.

(١) أخرج الإمام البخاري في صحيحه - رقم الحديث (١٤٧٧)، ومسلم في صحيحه - رقم الحديث (١١/١٢) (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

(٢) الساقية: جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه. انظر النهاية (٣٨١/٢).

(٣) تجشم الأمر: إذا تكلفه. انظر النهاية (٢٦٥/١).



موسوع من الدرر المنتقاة

٣١

- ١٩- وفيه المشي أمام المرأة؛ ليستقر خاطرها، وتأمين مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي.
- ٢٠- وفيه مُلاطفة الزوجة، وحُسن معاشرتها، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص، وإن لم يتحقق، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعذر أو تعترف.
- ٢١- وفيه أنه لا ينبغي لأهل المريض أن يُعلموه بما يؤذي باطنه؛ لئلا يزيد ذلك في مرضه.
- ٢٢- وفيه السؤال عن المريض، وإشارةً إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإن كان السبب محققاً فيترك أصلاً، وإن كان مظنوناً فيخفف، وإن كان مشكوكاً فيه، أو مُحتملاً فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل، بل لئلا يُظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه؛ لأن ذلك من خوارم المروءة.
- ٢٣- وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجةٍ تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها.
- ٢٤- وفيه ذب المسلم عن المسلم خصوصاً من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم، ولو كان منهم بسبيل.
- ٢٥- وفيه بيان مزيد فضيلة أهل بدر، وإطلاق السب على لفظ الدعاء بالسوء على الشخص.
- ٢٦- وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرفُ صحته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه؛ هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه، واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك



- معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك.
- ٢٧- وفيه فضيلةٌ قويةٌ لأم مسطحٍ؛ لأنها لم تُحَاب ولدها في وقوعه في حق عائشة رضي الله عنها، بل تعمدت سبه على ذلك.
- ٢٨- وفيه تقويةٌ لأحد الاحتمالين في قوله صلى الله عليه وسلم عن أهل بدر: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُم: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(١)، وأن الراجح أن المراد بذلك أن الذنوب تقع منهم لكنها مقرونةٌ بالمغفرة تفضيلاً لهم على غيرهم بسبب ذلك المشهد العظيم.
- ٢٩- وفيه مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذبٌ، وتوجيهه هنا أنه سبحانه وتعالى يُنزه أن يحصل لقراة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنيسٌ، فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا.
- ٣٠- وفيه توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها، ولو كانت ذاهبة إلى بيت أبيها.
- ٣١- وفيه البحث عن الأمر المقول ممن يدل عليه المقول فيه، والتوقف في خبر الواحد، ولو كان صادقاً، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين، وأن خبر الواحد إذا جاء شيئاً بعد شيءٍ أفاد القطع؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «لَأَسْتَيْقِنَ الْخَبْرَ مِنْ قَبْلَهُمَا»، وأن ذلك لا يتوقف على عددٍ مُعَيَّنٍ.
- ٣٢- وفيه استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقراةٍ وغيرها، وتخصيص من جُربت صحة رأيه منهم بذلك، ولو كان غيره أقرب، والبحث عن حال من اتهم بشيءٍ، وحكاية ذلك للكشف

(١) أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه - رقم الحديث (٣٩٨٣)، ومسلم في صحيحه - رقم الحديث (٢٤٩٤).



موسوعنا الدرر المنقولة

٣٣

عن أمره، ولا يُعد ذلك غيبةً.

٣٣- وفيه استعمال: «لا نعلم إلا خيراً» في التزكية، وأن ذلك كافٍ في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره.

٣٤- وفيه التثبت في الشهادة، وفطنة الإمام عند الحادث المهم، والاستنصار بالأخصاء على الأجنبي، وتوطئة العذر لمن يُراد إيقاع العقاب به أو العتاب له، واستشارة الأعلى لمن هو دونه، واستخدام من ليس في الرق، وأن من استفسر عن حال شخص، فأراد بيان ما فيه من عيبٍ، فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلمه، كما قالت بريرةٌ في عائشة، حيث عابتها بالنوم عن العجين، فقدمت قبل ذلك أنها جاريةٌ حديثة السن.

٣٥- وفيه أن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي؛ لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيءٍ قبل نزول الوحي.

٣٦- وفيه أن الحمية لله ورسوله ﷺ لا تُذمُّ.

٣٧- وفيه فضائل جمّة لعائشة، ولأبويها، ولصفوان، ولعلي بن أبي طالب، وأسامة، وسعد بن معاذٍ، وأسيد بن حضير رضي الله عنه أجمعين.

٣٨- وفيه أن التعصب لأهل الباطل يُخرج عن اسم الصلاح.

٣٩- وفيه جواز سب من يتعرض للباطل ونسبته إلى ما يسوءه، وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه، لكن إذا وقع منه ما يُشبه ذلك جاز إطلاق ذلك عليه تغليظاً له.

٤٠- وفيه إطلاق الكذب على الخطأ، والقسم بلفظ: لعمر الله.



- ٤١- وفيه النذب إلى قطع الخصومة.
- ٤٢- وفيه تسكين ثائرة الفتنة، وسد ذريعة ذلك، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما.
- ٤٣- وفيه فضل احتمال الأذى.
- ٤٤- وفيه مُباعدة من خالف الرسول ﷺ، ولو كان قريباً حميماً.
- ٤٥- وفيه أن من آذى النبي ﷺ بقولٍ أو فعلٍ يُقتل؛ لأن سعد بن معاذٍ رضي الله عنه أطلق ذلك، ولم ينكره النبي ﷺ.
- ٤٦- وفيه مساعدة من نزلت فيه بليّةٌ بالتوجع والبكاء والحزن.
- ٤٧- وفيه ثبت أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الأمور؛ لأنه لم يُنقل عنه في هذه القصة مع تمادي الحال فيها شهراً كلمةً فما فوقها، إلا ما ورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال: والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام، وقع ذلك في حديث ابن عمر عند الطبراني.
- ٤٨- وفيه ابتداء الكلام في الأمر المهم بالتشهد والحمد والثناء، وقول: أما بعد.
- ٤٩- وفيه توقيف من نُقل عنه ذنبٌ على ما قيل فيه بعد البحث عنه، وأن قول: كذا وكذا يُكنى بها عن الأحوال كما يكنى بها عن الأعداد ولا تختص بالأعداد.
- ٥٠- وفيه مشروعية التوبة، وأنها تقبل من المعترف المقلع المخلص، وأن مجرد الاعتراف لا يُجزئ فيها.



موسوع عن الدرر المنتقاة

٣٥

٥١- وفيه أن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز، ولو عرف أنه يُصدق في ذلك، ولا يؤخذ على ما يترتب على اعترافه، بل عليه أن يقول الحق أو يسكت.

٥٢- وفيه أن الصبر تحمُّدٌ عاقبته ويُغبط صاحبه.

٥٣- وفيه تقديم الكبير في الكلام، وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام.

٥٤- وفيه تبشيرٌ من تجددت له نعمةٌ أو اندفعت عنه نقمةٌ.

٥٥- وفيه الضحك والفرح والاستبشار عند ذلك.

٥٦- وفيه معذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه.

٥٧- وفيه إدلال المرأة على زوجها وأبويها.

٥٨- وفيه تدرّج من وقع في مُصيبةٍ فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلةٍ فيهلكه، يُؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة رضي الله عنها بالضحك، ثم تبشيرها، ثم إعلامها ببراءتها مُجملة، ثم تلاوته الآيات على وجهها، وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يُمكن من المبالغة في الري في الماء لئلا يُفضي به ذلك إلى الهلكة، بل يُجرع قليلاً قليلاً.

٥٩- وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبتها الفرجُ.

٦٠- وفيه فضل من يفوض الأمر لربه، وأن من قوي على ذلك خف عنه الهم والغمُّ، كما وقع في حالتي عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها بقولها: «والله المستعان».



دروس وعبر من حادثة الإفك

٣٦

- ٦١- وفيه الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصاً في صلة الرحم.
- ٦٢- وفيه وقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه أو صفح عنه.
- ٦٣- وفيه أن من حلف أن لا يفعل شيئاً من الخير استحَب له الحنث^(١).
- ٦٤- وفيه جواز الاستشهاد بأي القرآن في النوازل.
- ٦٥- وفيه التأسّي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم.
- ٦٦- وفيه التسبيح عند التعجب واستعظام الأمر.
- ٦٧- وفيه ذم الغيبة، وذم سماعها، وزجر من يتعاطاها لاسيما إن تضمنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه.
- ٦٨- وفيه ذم إشاعة الفاحشة.
- ٦٩- وفيه تحريم الشك في براءة عائشة.
- ٧٠- وفيه تأخير الحدّ عن من يُخشى من إيقاعه به الفتنة، نبه على ذلك ابن بطالٍ مُستنداً إلى أن عبد الله بن أبي ابن سلولٍ كان ممن قذف عائشة، ولم يقع في الحديث أنه ممن حدّ، وتعقبه عياضٌ بأنه لم يثبت أنه قذف، بل الذي ثبت أنه كان يستخرجه، ويستوشيه^(٢).

(١) الحنث في اليمين: نقضها. انظر النهاية (١/ ٤٣١).

(٢) انظر هذه الفوائد في فتح الباري (٩/ ٤٢١ - ٤٢٤).

وأخرج حديث الإفك: الإمام البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور، آية رقم (١٢)] - رقم الحديث (٤٧٥٠)، وكتاب المغازي - باب حديث الإفك - رقم الحديث (٤١٤١)، والإمام مسلم في صحيحه - كتاب التوبة - باب في حديث الإفك - رقم الحديث (٢٧٧٠).





□ انتهاء المحنة:

وهكذا، وبعد شهرٍ تقشعت^(١) سحابة الشك والارتياب^(٢)، والقلق والاضطراب عن جو المدينة، وافتضح رأس المنافقين افتضاحًا لم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك^(٣).

قال ابن إسحاق: وجعل بعد ذلك - أي ابن سلول - إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يُعاتبونه، ويأخذونه، ويُعنفونه، فقال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي اقْتُلْهُ، لَأُرْعِدْتُ^(٤) لَهُ أَنْفٌ، لَوْ أَمَرْتُهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ».

فقال عمر رضي الله عنه: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تقشع السحاب: أي تصدع وأقلع. انظر النهاية (٤/ ٥٨).

(٢) الريب: الشك. انظر النهاية (٢/ ٢٦٠).

(٣) انظر: الرحيق المختوم (ص ٣٣٣).

(٤) الرعدة: الاضطراب. انظر لسان العرب (٥/ ٢٤٢).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢١).





الكلمة الثالثة

وقفات مع قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادِّعْ وَأَسْتَقِمَّ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادِّعْ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٥) ﴿١﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسه، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه.

الكلمة الأولى: قول الله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادِّعْ﴾، الإشارة في قوله: فلذلك إلى ما تقدم من قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ إلى آخر الآيتين.

قوله تعالى: فادع أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يدعو من أرسل إليهم من الجن والإنس كافة لعدم التخصيص، وجاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ

(١) سورة الشورى، الآية رقم: (١٥).



﴿ ٤٠ ﴾ وقفات مع قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ﴾

يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ [سورة الأحقاف، الآية رقم: ٢٩].

وهذا من خصائصه ﷺ التي فضله الله بها على جميع الرسل، ويتضمن ذلك أن ما بعث به ﷺ هو أفضل الأديان وأشملها أنه صالح لكل زمان ومكان؛ قال ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، ومنها: وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ بيان عظيم يجب على من يريد أن يقوم بالدعوة إلى الله أن يفهمه، وهو أن النبي ﷺ لم يترك له الاجتهاد في ماذا يدعو؟ وكيف يدعو، فقد بينت الآيات المشار إليها في قوله: فلذلك وهو أن ما أمر أن يدعو إليه هو ما أمر به الأنبياء قبله نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام. ويتلخص ذلك في أمرين:
الأول: إقامة الدين.

والثاني: الاجتماع على الدين والاعتصام به وترك التفرق. ومن نظر في سيرة النبي ﷺ علم أنه ﷺ قام بهذين الأمرين حق القيام وتقديم غيرهما عليهما خلاف ما كان عليه الصلاة والسلام والأنبياء قبله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية رقم: ١٠٨].

وقد أمر الله نبيه ﷺ على وجه الخصوص باتباع ملة إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ١٢٣] وملة إبراهيم تركز على أصليين

(١) صحيح البخاري (٤٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٥٢١).



موسوعة الدرر المنتقاة

٤١

عظيمين: إخلاص العبادة لله عَزَّ وَجَلَّ وإظهار البراءة من الشرك وأهله^(١).

الكلمة الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أمر الله نبيه ﷺ أن يستقيم ليكون قدوة لمن يدعوهم، وهذه طريقة الأنبياء ﷺ، قال شعيب ﷺ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمُ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ﴾ [سورة هود، الآية رقم: ٨٨]. ولا تتم الاستقامة إلا بأمرين.

أحدهما: أن يكون سويًا في نفسه، فالشخص المعاق لا يستطيع المشي على الطريق المستقيم وإن كان مستقيمًا معبدًا.

وثانيهما: أن يكون الطريق الذي يسير عليه مستقيمًا لا اعوجاج فيه، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [سورة الكهف، الآية رقم: ١].

ذكرها الله بقوله: ﴿أَفَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة تبارك، الآية رقم: ٢٢]. وفي قوله: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أن الله لم يترك رسوله فضلًا عن غيره أن يختار طريق الاستقامة، بل قال: كما أمرت. قال تعالى في آية أخرى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [سورة هود، الآية رقم: ١١٢].

وما ضل من ضل ممن يريد أن يسلك طريق الاستقامة إلا للتفريط في هذا الأمر، فهم يقرأون هذه الآية كما أنزل الله: فاستقم كما أمرت؛ وحالهم كما أردت.

الكلمة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: أهواء المنحرفين

(١) راجع الكلمة الثالثة والأربعون من موسوعة الدرر المنتقاة (١-٣) للمؤلف.



٤٢ وقفات مع قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ﴾

عن الدين من الكفرة والمنافقين، إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة. فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين، ولم يقل: ولا تتبع دينهم لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه بل اتبعوا أهواءهم واتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

الكلمة الرابعة: قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ أي: لتكن مناظراتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم الدال على شرف الإسلام وجلاله وهيمته على سائر الأديان، وأن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام، وفي هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب أو ببعض الرسل دون غيره فلا يسلم لهم ذلك؛ لأن الكتاب الذي يدعون إليه والرسول الذي ينتسبون إليه من شرطه أن يكون مصدقاً بهذا القرآن وبمن جاء به، فكتابنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل التي أخبر بها وصدق بها وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته، وأما مجرد التوراة والإنجيل وموسى وعيسى الذين لم يوصفوا لنا ولم يوافقوا لكتابنا فلم يأمرنا بالإيمان بهم.

الكلمة الخامسة: قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أي في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم يا أهل الكتاب من العدل بينكم. ومن العدل في الحكم بين أهل الأقوال المختلفة من أهل الكتاب وغيرهم أن يُقبل ما معهم من الحق ويرد ما معهم من الباطل. وفي هذا أوضح دليل على أن الحكم بالعدل ليس على سبيل الاختيار بل هو مأمور به أمراً جازماً، ويلزم على ذلك تحقيق الأسباب



﴿ ٤٣ ﴾ مَوْسَىٰ وَالذَّرِيرَ الْمُنْتَقِلَةَ

التي يتم بها تحقيق العدل كما قال **سُبْحَانَكَ**: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٥٨].

الكلمة السادسة: قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ هذه الجملة حق لا شك فيه، ولكن قد يقول قائل: ما الفائدة منها؟ أليس هذا كقول القائل: السماء فوقنا والأرض تحتنا؛ لأن هؤلاء يُقرّون بأن الله ربهم فما الفائدة؟

الجواب: الفائدة من ذلك هو إلزامهم أن يكونوا مثل ما كنا عليه من الدين؟ لأن الرب واحد (الله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) بإقراركم، فإذا كان كذلك فالواجب عليكم أن تخضعوا لأوامر ربكم **عَزَّ وَجَلَّ**.

الكلمة السابعة: قول الله تعالى: ﴿ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴾، جاء هذا المعنى صريحاً في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيضُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس، الآية رقم: ٤١].

الكلمة الثامنة: قول الله تعالى: ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي بعدما تبينت الحقائق واتضح الحق من الباطل والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدال إنما هو بيان الحق من الباطل ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وإنما المراد ما ذكر.

الكلمة التاسعة: قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ في المعاد لفصل



﴿ وَقَفَاتٍ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَيْدَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ ﴾ ﴾ ٤٤

القضاء، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٦).

الكلمة العاشرة: قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي: المرجع والمآب يوم الحساب^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: تفسير الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٠١٦، ١٠١٧)، وتفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٢ / ٢٦٢-٢٦٣)، وتفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (١٨ / ٤٥٥-٤٥٦)، وتفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٥٠-١٥٨).



الكلمة الرابعة

فوائد من قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ وَأَسْتَقِمَّ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«الفائدة الأولى: وجوب الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ﴾، وتقديم المعمول يدلُّ على الاهتمام به.

«الفائدة الثانية: أنه يجب على المرء أن يستقيم كما أمر؛ فلا يحدث في دين الله ما ليس منه، لقوله: ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾.

«الفائدة الثالثة: أنه يجوز توجيه الأمر لمن كان متصفاً به من قبل، من أجل الثبات عليه، كقوله: ﴿وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾؛ لأن النبي ﷺ استقام كما أمر من حين ما أرسل، بل من حين ما بُعث؛ لكن المراد بذلك الثبوت على هذا الشيء.

«الفائدة الرابعة: أن النبي ﷺ عبدٌ مأمورٌ، يُوجه إليه الأمر، وليس له من الأمر شيءٌ، كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران، ١٢٨]، وهنا قال: ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ ولم يقل: كما أردت.

«الفائدة الخامسة: الردُّ على أولئك القوم الذين يدعون أن للنبي ﷺ تصرفاً في الكون، وتدبيراً له، ومن باب أولى، أن يكون فيها ردُّ على القائلين بأنَّ من دون الرسول عليه الصلاة والسلام له تصرفٌ في الكون، كقول الرافضة وبعض الصوفية الذين يدعون أن من أئمتهم من يتصرفُ

﴿ فَوَائِدُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَيْذَلِكَ فَادَعُ وَأَسْتَقِمَّ﴾ ﴾

في الكون، وأولئك الصوفية يدعون أن من أقطابهم من يتصرف في الكون، فهؤلاء - لا شك - ضالون مشركون بالله عَزَّ وَجَلَّ.

الفائدة السادسة: النهي عن اتباع الهوى؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَاءَهُمْ﴾.

فإن قال قائل: هل اتباع الهوى محمودٌ أو مذمومٌ؟

فالجواب:

أما ما كان موافقاً للشريعة فهو محمودٌ، ولهذا رُوي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(١). وأما ما خالف الشريعة فإنه مذمومٌ.

الفائدة السابعة: تثبيتُ الله تبارك وتعالى لِنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن مثل هذه

الأوامر والنواهي تؤيده وتثبته وتقويه.

الفائدة الثامنة: وجوب الإيمان بكل ما أنزل الله من كتاب، لقوله:

﴿وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]، ولكن كيف يكون الإيمان بالكتب السابقة؟ الإيمان بالكتب السابقة يكون بالإيمان بأنها نازلةٌ من عند الله عَزَّ وَجَلَّ حقاً، وأما اتباعها؛ فإنه منسوخٌ بهذه الشريعة التي جاء بها محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن قال قائل: وهل نؤمنُ بأن الكتب التي في أيدي النصارى واليهود

الآن هي الكتبُ النازلةُ على أنبيائهم؟

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم (١٥)، وابن بطة في الإبانة رقم (٢٧٩)، والبيهقي في شرح السنة (١/ ٢١٢-٢١٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وضعفه الحافظ ابن رجب كما في جامع العلوم والحكم (ص ٤٦٠).

موسوع من الدرر المنتقاة

٤٧

فالجواب: لا؛ لأن الله تعالى ذكر أنهم حرفوها وأخفوا كثيرًا منها،
فلذلك لا ثقة لنا بما عندهم من الكتب التي يزعمونها كُتِبَ الله.

الفائدة التاسعة: وجوب العدل؛ لقوله: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في كل معاملة، بل حتى في مُعاملة الله ﷻ فإن الواجب العدل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]. ولما بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة إلى اليهود في خيبر من أجل مُقاسمتهم، جمعهم وقال لهم: إني أتيت من عند أحب الناس إليّ، وإنكم لأبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير، وليس حُبي إياه وبغضي إياكم بمانعي من أن أقوم فيكم بالعدل، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض^(١).

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أنه لو اجتمع مسلمٌ وكافرٌ في خصومةٍ بين يدي القاضي، فإن الواجب عليه أن يعدل بينهما في الجلوس، وفي النظر، وفي الكلام. يعني: لا يتكلم للكافر بغلظةٍ وينظرُ إليه شذراً، وإنما يعامله كما يعامل المسلم، لأن العدل واجبٌ، ولا يجوز في مقام الحكم أن نفرق بين فلانٍ وفلانٍ، ولهذا قال: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾.

الفائدة العاشرة: إعلان ما به الإلزام للخصم، لقوله: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، يعني: وإذا كان ربنا وربكم فالواجب أن ننقاد جميعاً لأوامره.

فإن قال قائلٌ: وهل الله تعالى ربُّ للكافرين؟

فالجواب: نعم، رب كل شيءٍ، لكن لا يُضاف إليه فيقال: رب

(١) أخرجه ابن حبان رقم (٥١٩٩)، وأحمد في مسنده (٢٣/٢١٠) برقم (١٤٩٥)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.



٤٨ فوائده من قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ وَأَسْتَقِمَّ﴾

الكافرين كذا، اللهم إلا في مقام الاحتجاج، لأنه وإن كان الله تعالى خالق كل شيء، ورب كل شيء، لكن لا ينبغي أن تضاف ربوبيته وخلقه إلى أقبح خلقه، كما أننا نعلم أنه ﷻ رب الكلاب، ورب الخنازير، ورب القردة، وما أشبه ذلك، لكن لا نقول: رب القردة، ورب الكلاب، وما أشبه ذلك، وهذه نقطة قد لا يتفطن لها بعض الناس، وهو الأدب في التعبير.

ويذكر أن أحد الملوك رأى في المنام أن أسنانه ساقطة، فدعا مُعبرًا يعبرُ الرؤيا، فعبرها هذا العابرُ أن حاشيته تموت وأهله؛ لأن الإنسان بأسنانه يتغذى ويحفظُ حياته، فأمر بسجنه. ثم إنه دعا عابراً آخر فقال له: إنك أطولهم عُمرًا، فأكرمه وارتاح لقوله، والمعنى واحد، لأنه إذا مات أهله قبله صار أطولهم عُمرًا، لكن التعبير يختلف هنا ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أضاف ربوبيته ﷻ إلى الكافرين، لكن في مقام الاحتجاج، ثم إنه يسهل الأمر، أنه قال: ﴿رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ لإفادة العموم.

الفائدة الحادية عشرة: أن الله سبحانه وتعالى سوف يجمع بين الناس يوم القيامة ويحكم بينهم، فيما كانوا فيه يختلفون، لقوله: ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾.

الفائدة الثانية عشرة: أن المرجع إلى الله خاصة، لقوله: ﴿وَالِيَهُ الْمَصِيرُ﴾ (١٥) لكن في أي شيء؟ هل معناه إليه المصير يوم الحساب، أو إليه المصير في كل شيء؟

الجواب الثاني: إليه المصير في كل شيء، إن أردنا الحكم الشرعي فالمصيرُ إلى الله، أو الحكم القدري فالمصيرُ إلى الله، أو الحكم في الدنيا فالمصيرُ إلى الله، أو الحكم في الآخرة فالمصيرُ إلى الله، فكل



موسى عز الدين المتقاة

٤٩

شيءٍ فإن مصيره إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

يتفرغ على هذه القاعدة: أن الإنسان لا يرجو، ولا يخاف، ولا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يستعين إلا به^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير سورة الشورى للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٥٤ - ١٥٨).





الكلمة الخامسة

من أخطاء «الرقاة»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد سبق الحديث في كلمة سابقة عن الرقى ومشروعيتها، وسيكون الكلام في هذه الكلمة عن أخطاء الرقاة، فمن ذلك:

١- أن من الخطأ أن يطلق عليهم الرقاة الشرعيون، والناس يعلمون أن بعضهم يمارس أعمالاً شركية وهم للكهانة أقرب منهم للرقية.

وقد حدث هذا لي شخصياً، فقد ذهبت بقريب لي للقراءة عليه عند من يدعي أنه راق يرقى الناس، فتعجبت أن قال: لا علاج عندي ولا قراءة، ولكن اذكر لي اسم والدته وغداً يكون العلاج جاهزاً.

٢- بعض الرقاة يطلب من المريض أن يغمض عينيه أثناء القراءة عليه، وأن يتخيل من أصابه بعين أو سحر أو مس، وهذا عمل شيطاني لا يجوز لأنه استعانة بالشياطين، وكم سبب هذا العمل من عداوات، وقطع أرحام، وخصومات بين الناس.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: سائل يقول: ما مدى صحة تخيل المريض للعائن من جراء القراءة، أو طلب الراقي من المريض أن يتخيل من أصابه بالعين؟



فأجابت:

«تخيل المريض للعائن أثناء القراءة عليه وأمر القارئ بذلك هو عمل شيطاني لا يجوز؛ لأنه استعانة بالشياطين فهي التي تتخيل له في صورة الإنسي على أنه هو الذي أصابه، وهذا عمل محرم لأنه استعانة بالشياطين، ولأنه سبب العداوة بين الناس ويسبب نشر الخوف والرعب بين الناس، فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعْوِذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (١) [سورة الجن، آية رقم: ٦].»

٣- بعض الرقاة يقولون عبارات شركية وتمتمة لا يُعرف معناها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «أما ما لا يُعرف معناه فلا يشرع لاسيما إن كان فيه شرك فإن ذلك محرم، وأكثر الرقى الأعجمية أسماء رجال من الجن، يُدعون ويُستغاث بهم ويُقسم بما يعظمونه، وعامة ما بأيدي الناس من الرقى التي لا تُفقه بالعربية فيها ما هو شرك» (٢).

فلا بد للراقي من رفع الصوت حتى يُفهم ما يقول.

٤- ومنها ما أحدثه بعض الرقاة من الطلب من المريض أن تكون الرقية في حقنة ثم ضربها في الوريد من المريض المصاب بالمس، سئلت اللجنة الدائمة، يقول السائل: إنا نعالج حالات الصرع واللبس بالمس بالقرآن الكريم والأدعية الثابتة عن النبي ﷺ والأذكار

(١) فتاوى اللجنة برقم (٢٠٣٦١) بتاريخ ٨ / ١ / ١٤١٨ هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ / ١٩) بتصرف.



موسوعنة الدرر المنتقاة

٥٣

الصحيحة الواردة عنه أيضاً، ولكن هناك بعض الإخوة يعالجون بعدة طرق منها:

أ- يرقى في حقنة من الكالاكوز وتُعطى للمريض المصاب بالجن في الوريد، ويستدل بأن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم.

ب- يرقى في الماء ويضيف عليه العطر بحجة أن الجان لا يحب العطر ويشربه المصاب.

ج- يرقى أيضاً في زيت الزيتون ويسقي المريض مع الماء.

بماذا تنصح إخوانك الذين يقدمون مثل هذه المعالجة؟

فأجابت اللجنة:

الرقية الشرعية توقيفية لا يجوز الزيادة فيها على الوجه المشروع، وقد أدخل بعض الناس في الرقية الشرعية صنوفاً من المحدثات جهلاً أو تأكلاً، أو من تلاعب الشيطان ببعضهم، ومنه إجراء بعضهم الرقية في حقنة ثم ضربها في الوريد من المريض المصاب بالمس محتجاً هذا الراقي بحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ»^(١)، وهذه رقية بوسيلة غير شرعية، وتطبيب يضمن ما يحصل من جنابة على المريض، ولا حجة لهذا المتطبب بالحديث المذكور لما ذكر، لأنه يدل على ملابسته الشيطان للإنسان فيعالج بالرقية الشرعية، وهي القراءة والنفث على المصاب كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك. وقد يترتب على

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٢٠٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٧٥).



حقن الماء في الوريد ضرر أو تلف، وبالله التوفيق. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).

٥- ومن المخالفات أن بعضهم يخلو بامرأة أجنبية من غير محرم لها، وهذا محرم، قال النبي ﷺ فيما رواه الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب رضي عنه: «أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ تَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»^(٢).

وبعضهم عند القراءة يضع يده على رأس المرأة أو أجزاء من جسدها، روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يُطَعْنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمَخِيطٍ»^(٣) مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ»^(٤).

٦- ومنها أن يطلب من المريض شيئاً من آثاره أو أظفاره أو من بقايا أكله.

٧- ومنها أن يُطلب منه عدم مس الماء أو الاغتسال، وما ذلك إلا بامر الشياطين حتى يحرموهم من الصلاة والذكر ويتسلطوا عليهم.

٨- ومنها استخدام بعض الرقاة خلطات شعبية مضرّة بالصحة، فالعلاج الشعبي يحتاج إلى خبرة واسعة ودقة في وصف الخلطات الشعبية، لأن الزيادة فيها ولو بنسبة بسيطة تحدث أضراراً كبيرة، فلا بد من

(١) فتاوى اللجنة الدائمة برقم (١٨٥٦٩).

(٢) برقم (٢١٦٥)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) المخيط: هو ما يخاط به كالإبرة والمسلة ونحوهما.

(٤) (٢١٠/٢٠) برقم (٧٨٦)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في غاية المرام برقم (١٩٦).



موسوع من الدرر المنتقاة

استشارة الأطباء المختصين قبل الاستعمال.

- ٩- ومنها استخدام أساليب غير شرعية عند القراءة كالخنق أو الصعق بالكهرباء أو إحضار الذئب بحجة قتل الجان الملبس بالمرضى، وقد تضرر أناس مرضى بهذه الأفعال، بل حصلت حالات وفيات.
- ١٠- ومنها اشتراط بعض الرقاة أموالاً كثيرة ترهق كاهل المريض، بل بعضهم يحدد القراءة المركزة بالمبلغ الفلاني، والقراءة الخفيفة بالمبلغ الأقل، وآخرون يلزمون المرضى بشراء الزيت والعسل والماء المقروء فيه منهم.

سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: ما حكم التفرغ للقراءة واتخاذها حرفة؟

فقال رَحِمَهُ اللهُ: التفرغ للقراءة على المرضى من الخير والإحسان إذا قصد الإنسان بذلك وجه الله ﷻ ونفع عباد الله، وتوجيههم إلى الرقى الشرعية التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وأما اتخاذ ذلك لجمع الأموال فإن هذه النية تنزع البركة من القراءة، وتوجب أن يكون القارئ عبداً للدنيا إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، لذلك أنصح إخواني الذين يتفرغون للقراءة على المرضى أن يخلصوا النية لله ﷻ، وألا يكون همهم المال، بل إن أعطوا أخذوا، وإن لم يعطوا لم يطلبوا، وبذلك تحصل البركة في قراءتهم على إخوانهم. هذا ما أقوله لإخواني القراء^(١)، وبعض أهل العلم يرى أن التفرغ لذلك من البدع المحدثه التي لم تكن في عهد الصحابة ولا السلف الصالح من بعده، وسؤال أهل

(١) فتاوى نور على الدرب للشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٤/ ٢)، وخطبة للشيخ صالح العصيمي عن أخطاء الرقاة.



العلم في الزمان والمكان هو المرجع في ذلك. والله أعلم
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة

غزوة: «الخندق»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

غزوة الخندق وتسمى غزوة الأحزاب، وكانت في شوال من السنة الخامسة للهجرة^(١) (٢).

وسببها أن عشرين رجلاً من زعماء اليهود وسادات بني النضير أتوا إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو الرسول ﷺ ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، وكانت قريش قد أخلفت موعدها في الخروج إلى بدر فرأت في ذلك إنقاذاً لسمعتها والبر بكلمتها .

ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشاً فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك فاستجاب له من استجاب، وهكذا نجح ساسة اليهود وقاداتهم في تأليب

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٩٢ - ٣٩٣)، فأما تسميتها الخندق، فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه فيما ذكر أصحاب المغازي.

(٢) وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٩٣)، وأما تسميتها الأحزاب فلا اجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم.



أحزاب الكفر على النبي ﷺ والمسلمين.

وعلى أثر ذلك خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة - وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران. وخرجت من الشرق قبائل غطفان - بنو فزارة يقودهم عيينة بن حصن وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع يقودهم مسعر بن رحيلة، كما خرجت بنو أسد وغيرها، واتجهت هذه الأحزاب وتحركت نحو المدينة على ميعاد كانت قد تعاهدت عليه، وبعد أيام تجمع حول المدينة جيش عرمرم بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، جيش ربما يزيد عدده على جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ، ولكن الخبر إلى المدينة وصل قبل ذلك فسارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشاري مع أصحابه تناولوا فيه خطة الدفاع عن المدينة، وبعد مناقشات جرت بينهم اتفقوا على قرار قدمه الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال سلمان: يا رسول الله! إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا. وكانت خطة حكيمة لم تعرفها العرب قبل ذلك، فأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ الخطة.

فأمر ﷺ بحفر الخندق من جهة الشمال وهي عورة المدينة لا يستطيع المهاجمون نفاذاً إلى المدينة إلا منها بين حرتي^(١) واقم والوبرة، وذلك لأن المدينة كانت مشبكة بالبنيان، ومحاطة بالحراث وبساتين النخل من كل جانب سوى الشمال، فاتخذ الخندق في هذه الناحية. وشرعوا في حفر الخندق الذي يمتد من أجم الشيخين طرف بن حارثة شرقاً حتى

(١) الحرة: هي أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة. انظر: النهاية (١/ ٣٦٥).



موسوعنا الدرر المنتقاة

٥٩

المذاذ غربًا، وكان طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه تسعة أذرع وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة. وكان على كل عشرة من المسلمين حفر أربعين ذراعًا، وعمل المسلمون في الحفر على عجل، يبادرون قدوم القوم، وقد تراوحت مدة الحفر ما بين ستة أيام وأربعة وعشرين يومًا، وعند الواقدي أربعًا وعشرين ليلة، وقال بعضهم خمسة عشر يومًا^(١).

روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله في الخندق وهم يحفرون وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: خرج رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَيْدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ، قَالَ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ»
فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا^(٣)

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الْغُبَارُ جِلْدَةً بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ، فَسَمِعْتُهُ

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٤٤٦ - ٤٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٧٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٠٩٩)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠٥) باختلاف.



غزوة: «الخنديق»

٦٠

يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ الثَّرَابِ يَقُولُ:

«اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا

إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا (١)

كان المسلمون يعملون بهذا النشاط وهم يقاسون من شدة البرد والجوع ما يفتت الأكباد، قال أنس: كان أهل الخندق يؤتون بملء كفي من الشعير فيصنع لهم بإهالة (٢) نسخة، توضع بين يدي القوم والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح (٣) منتن. وأثناء هذه الأحداث وقعت آيات من أعلام النبوة، فقد رأى جابر بن عبد الله في النبي ﷺ خمصاً شديداً فذبح بهيمة، وطحنت امرأته صاعاً من شعير ثم التمس من رسول الله ﷺ سرّاً أن يأتي في نفر من أصحابه، فقام النبي ﷺ بجميع أهل الخندق، وهم ألف فأكلوا من ذلك الطعام وشبعوا، وبقيت برمة اللحم تغط به كما هي وبقي العجين كما هو (٤).

وأعظم من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري برقم (٤١٠٦)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠٣) بدون ذكر عبد الله وقوله: وثبت الأقدام.

(٢) الإهالة: الدهن، وسنخة أي تغيرت من طول بقائها.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤١٠٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٨٠٥) باختلاف.

(٤) صحيح البخاري برقم (٤١٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٣٩).



موسوعنة الدرر المنتقاة

٦١

قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أَنَا نَازِلٌ»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ، فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلٌ^(١) أَوْ أَهْيَمٌ^(٢)، وفي رواية: فكانت مني التفتاة، فإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَدَّ عَلَيَّ بَطْنِي حَجْرًا^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال: لَمَّا كَانَ حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْفَرَ الْخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الْجَبَلِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ، لَا تَدْخُلُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ^(٤)، فَاشْتَكَيْتْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهَا أَخَذَ الْمِعْوَلَ وَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَقَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ» ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ»، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ قُصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ»، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ»، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»^(٥).

وبالرغم من تخذيل المنافقين، وقلة الطعام، وشدة البرد فقد تم حفر

(١) أي يسيل، والمعنى صار رملاً يسيل ولا يتماسك.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٠١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٣٩) باختلاف.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤١٠١).

(٤) أي لا تؤثر فيه.

(٥) مسند الإمام أحمد (٦٢٦/٣٠) برقم (١٨٦٩٤)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ

كما في الفتح (٨/١٥٤)، وضعفه بعضهم وله شواهد.



غزوة: «الخذق» ٦٢

الخذق ليكون خط دفاع متين، ثم جُمع النساء والأطفال وأصحاب الأعدار في حصن فارع وهو لبني حارثة لأنه كان أمنع حصون المسلمين آنذاك. وكانت خطة المسلمين أن يكون ظهرهم إلى جبل سلع داخل المدينة ووجوههم إلى الخندق الذي يحجز بينهم وبين المشركين.

وأقبلت قريش في أربعة آلاف حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف حتى نزلوا بذب نقمى إلى جانب أحد، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، آية: ٢٢]، وأما المنافقون وضعفاء النفوس فقد تزعزت قلوبهم لرؤية هذا الجيش، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب، آية: ١٢]، وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع كما تقدم وكان شعارهم «حم لا يُنصرون». واستخلف النبي ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، ولما أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة، وجدوا خندقاً عريضاً يحول بينهم وبينها، فالتجؤوا إلى فرض الحصار على المسلمين، بينما لم يكونوا مستعدين له حين خرجوا من ديارهم إذ كانت هذه الخطة كما قالوا مكيدة ما عرفتها العرب، فلم يكونوا أدخلوها في حسابهم أصلاً.

وكره فوارس من قريش أن يقفوا حول الخندق من غير جدوى في ترقب نتائج الحصار، وذكر ابن إسحاق وابن سعد^(١)، أن بعض المشركين

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ١٨٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٦٨).



موسوعنة الدرر المنتقاة

٦٣

اقتحموا الخندق منهم عمرو بن ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضراب بن الخطاب وغيرهم، وذكروا أن علياً بارز عمر وقتله وأن الزبير قتل نوفل المخزومي وأن الباقيين فروا إلى معسكرهم.

وقد حاول المشركون في بعض الأيام محاولة بليغة لاقتحام الخندق أو لبناء الطرق فيه، ولكن المسلمين كافحوا مكافحة مجيدة ورشقوهم بالنبال، حتى لا يجترئوا على الاقتراب منه، وأقاموا على ذلك بضعةً وعشرين ليلة قريباً من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبال والحصار.

ولأجل الاشتغال بمثل هذه المكافحة الشديدة فاتت بعض الصلوات رسول الله ﷺ، ففي الصحيحين من حديث جابر أن عمر جاء يوم الخندق، فجعل يسب كفار قريش فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كِدْتُ أُصَلِّي الْعَصْرَ، حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا»، فَقُمْنَا إِلَى بُطْحَانَ، فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ وَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ (١).

وقد استاء رسول الله ﷺ لفوات هذه الصلاة حتى دعا على المشركين، ففي صحيح البخاري من حديث علي أن النبي ﷺ قال يوم الخندق: «مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ» (٢).

وجاء في مسند الإمام أحمد أنهم حبسوا النبي ﷺ عن صلاة الظهر

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٣١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١١١)، وصحيح مسلم برقم (٦٢٧).



والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعاً وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف، قوله تعالى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾^(١) [سورة البقرة، آية رقم: ٣٩].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وطريق الجمع بين هذه الروايات أن وقعة الخندق بقيت أياماً فكان هذا في بعض الأيام، وهذا في بعضها^(٢)، وفي أثناء هذه الأحداث ومع محاولة العبور من المشركين للخندق والمكافحة المتواصلة من المسلمين، إلا أن الخندق كان حائلاً بين الجيشين ولم يجر بينهما قتال بل اقتصروا على المراماة والمناضلة كما تقدم. وقتل رجال من الجيشين يعدون على الأصابع ستة من المسلمين، وعشرة من المشركين، بينما قتل واحد أو اثنين منهم بالسيف.

وفي أثناء المراماة رمى رجل من المشركين يقال له حبان ابن عرقعة سعد بن معاذ فأصابه بسهم فقطع منه الأكل^(٣) فدعا سعد فقال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبٍ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ، حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَأَجْزِهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا^(٤).

وبينما المسلمون يواجهون هذه الشدائد على جبهة المعركة كان

(١) (٤٦/١٨) برقم (١١٤٦٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣٢/٥).

(٣) عرق في الذراع يفصد.

(٤) صحيح البخاري برقم (٤١٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٧٦٩).



موسوعنا الدرر المنتقاة

٦٥

اليهود يتآمرون ويتحينون^(١) الفرصة للغدر بالمسلمين، وعلى أثر ذلك انطلق كبير مجرمي بني النضير حيي بن أخطب إلى ديار بني قريظة فأتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة وصاحب عقدهم وعهدهم، وكان قد عاقد رسول الله ﷺ على أن ينصره إذا أصابته حرب فلم يزل به حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن يدخل معه في الحصن حتى يصيبه ما أصابهم فنقض كعب بن أسد العهد ومزق الصحيفة وبرئ مما كان بينه وبين المسلمين ودخل مع المشركين في المحاربة ضد المسلمين، وفعلاً قامت يهود بني قريظة بعمليات الحرب، فأخذوا يمدون الغزاة الوثنيين بالمؤن، كدليل عملي على انضمامهم إليهم ضد المسلمين، حتى أخذ المسلمون من مؤنهم عشرين حملاً، وقد كان أخرج موقف يقفه المسلمون، فلم يكن يحول بينهم وبين قريظة شيء يمنعهم من ضربهم من الخلف، بينما كان أمامهم جيش عرمرم لم يكونوا يستطيعون الانصراف عنه، وكانت ذراريهم ونسأؤهم بمقربة من هؤلاء الغادرين في غير منعة وحفظ، وصاروا كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ١٠ - ١١].

ونجم النفاق حتى قال بعضهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال بعض آخر في ملاء من رجال قومه: إن بيوتنا عورة من العدو، فائذن لنا أن نخرج، فنرجع إلى دارنا فإنها خارج المدينة، وحتى همت

(١) أي ينتظرون.



غزوة: «الخنديق»

٦٦

بنو سلمة بالفشل وفي هؤلاء أنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ١٢ - ١٣].

أما رسول الله ﷺ فتقنع بثوبه حين أتاه غدر بني قريظة، ثم اضطجع ومكث طويلاً حتى اشتد على الناس البلاء، ثم نهض مبشراً يقول: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَبَشِّرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ»^(١).

ثم أخذ رسول الله ﷺ يخطط لمجابهة الطرف الراهن وكجزء من هذه الخطة كان يبعث الحرس إلى المدينة لئلا يُؤتى الذراري والنساء على غرة، ولكن كان لابد من إقدام حاسم يفضي إلى تخاذل الأحزاب، وتحقيقاً لهذا الهدف أراد أن يصلح عيينة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة حتى ينصرفا بقومهما، ويخلوا المسلمون لإلحاق الهزيمة الساحقة العاجلة بقريش التي اختبروا مدى قوتها وبأسها مراراً. وجرت المراودة على ذلك فاستشار السعديين في ذلك فقالوا: يا رسول الله، إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف. فصوب رأيهما وقال: «إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ لَمَّا رَأَيْتَ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَن قَوْسٍ وَاحِدَةٍ»^(٢).

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٠٣) عن موسى بن عقبة.

(٢) قال محققو زاد المعاد (٣/ ٣٢٠): أسنده ابن إسحاق - كما في سيرة ابن هشام =



موسى بن الدرداء المتنبأ

٦٧

ثم إن الله تعالى وله الحمد صنع أمرًا من عنده، خذل به العدو، وهزم جموعهم، وفل حدهم، فروى ابن إسحاق في السيرة وغيره أن نعيم بن مسعود أتى النبي ﷺ مسلماً وعرض عليه أن يقوم بتنفيذ أي أمر يريده النبي ﷺ فقال: «إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخُذْ لَنَا إِنْ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ»^(١).

وقبل أن يُعرف إسلام نعيم، أتى بني قريظة فأقنعهم بعدم التورط مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم رهائن لكيلا يولوا الأذبار ويتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم مع المسلمين بالمدينة، ثم أتى قريشاً فأخبرهم أن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا وأنهم قد اتفقوا سرّاً مع رسول الله ﷺ على أن يختطفوا عدداً من أشرف قريش وغطفان فيسلموهم له ليقتلهم دليلاً على ندمهم، وقال لهم: فإن أرسلت إليكم يهود يلتسون منكم رهناً من رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجلاً منكم، ثم أتى غطفان وقال لهم مثل الذي قاله لقريش وبذلك زرع بذور الشك

= (٢/٢٢٣)، ودلائل النبوة (٣/٤٣٠) - عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلًا، وأخرج عبدالرزاق في مصنفه (٩٧٣٧)، وأبو عبيد في الأموال (٤٦٥) من مرسل الزهري بنحوه، وله شاهد أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار (٨٠١٧)، والطبراني في الكبير (٦/٢٨)، وأبي نعيم في معرفة الصحابة (٣١٣٨)، وإسناده لا بأس به في الشواهد.

(١) قال محققو زاد المعاد (٣/٣٢١): أخرج القصة ابن إسحاق عن عبدالله ابن كعب ابن مالك (من كبار التابعين) مرسلًا كما في الدلائل (٣/٤٤٥٥ - ٤٤٦٦)، وهو في سيرة ابن هشام (٢/٢٢٩)، دون تعيين إسناد ابن إسحاق في هذه القصة من أحداث الغزوة، وأخرجه موسى بن عقبة في مغازيه - كما في الدلائل (٣/٤٠٥٩) عن الزهري ضمن قصة نعيم بن مسعود بلفظ: أن الحرب خدعة وعسى الله أن يصنع لنا، وقوله رضي الله عنه: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ» دون ذكر القصة متفق عليه.



بينهم وأخذ كل فريق يتهم الفريق الآخر بالخيانة.

فلما كان ليلة السبت من شوال سنة (٥هـ) بعثوا إلى اليهود: إنا لسنا بأرض مقام وقد هلك الكراع والخف^(١) فانهضوا بنا حتى نناجز محمداً، فأرسل إليهم اليهود أن اليوم يوم السبت وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا فإننا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن، فلما جاءتهم رسلهم بذلك قالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم، فبعثوا: إنا والله لا نرسل إليكم أحداً فاخرجوا معنا حتى نناجز محمداً، فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم. فتخاذل الفريقان، ودبت الفرقة بين صفوفهم وخارت عزائمهم، ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»^(٢).

وقد استجاب الله لدعوة رسوله، فدبت الفرقة في صفوف المشركين، وسرى بينهم التخاذل، وأرسل الله عليهم جنداً من الريح فجعلت تُقوض خيامهم ولا تدع لهم قدراً إلا كفأتها ولا طُنْباً^(٣) إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار حتى إن الرجل منهم لم يكذب يهتدي إلى رحله. فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا»^(٤)،

(١) يعني بالكراع الخيل، وبالخف الإبل.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١١٥)، وصحيح مسلم برقم (١٧٤٢).

(٣) هي الحبال تشد بها الخيمة.

(٤) قال الحافظ في الفتح: الصبا بفتح الصاد هي الريح الشرقية ويقال لها القبول لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس وضدها الدبور وهي التي أُهلكت بها قوم عاد (٤٠٢/٧) بتصرف.



موسى عز الدين المنتقلة

٦٩

وَأَهْلِكَتَ عَادُ بِالذَّبُورِ»^(١)، وأرسل جنداً من الملائكة يزلزلونهم ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الأحزاب، آية رقم: ٩]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «لولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد ولكن قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾» [سورة الأنفال، آية رقم: ٣٢]، فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى، وهم أخلاط من قبائل شتى أحزاب وآراء، فناسب أن يُرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين بغیظهم وحنقهم^(٢)، لم ينالوا خيراً لا في الدنيا مما كان في أنفسهم من الظفر^(٣) والمغرم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة وهمهم بقتله، واستئصال جيشه، ومن همّ بشيء وصدق همه بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله^(٤).

وأرسل رسول الله ﷺ في تلك الليلة الباردة القاسية حذيفة ابن اليمان يأتيه بخبرهم، فوجدهم على تلك الحالة السابقة وقد تهيأوا للرحيل، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره برحيل القوم، فأصبح رسول الله ﷺ وقد رد الله عدوه بغیظهم لم ينالوا خيراً وكفاه الله قتالهم، وصدق وعده وأعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، فرجع إلى

(١) صحيح البخاري برقم (٤١٠٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٠٠).

(٢) الحنق: الغيظ، النهاية (١/٤٥١).

(٣) الظفر: الفوز بالمطلوب.

(٤) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١١/١٣٨).



غزوة: «الخندق» ٧٠

المدينة. وكانت غزوة الخندق في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح الأقوال، وأقام المشركون محاصرين رسول الله ﷺ والمسلمين في شتاء بارد أربعًا وعشرين ليلة، وكانت بداية الحصار في شوال ونهايته في ذي القعدة، وكان انصرافهم يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة، فلما أصبح رسول الله ﷺ والمسلمون وقد فتح الله تعالى لهم، وأقر أعينهم بجلاء الأحزاب، قال ﷺ: «الآن نَغزُوهُمْ وَلَا يَغزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»^(١).

قال الحافظ: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فإن النبي ﷺ اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوق الأمر كما قال ﷺ^(٢) ^(٣).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٤١٠٩).

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٩٢ - ٤٠٧).

(٣) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون للعازمي (٣/ ١٣٧ - ١٩٣)، والرحيق المختوم للمباركفوري (ص ٢٦٧-٢٧٧)، والبداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٦/ ٨ - ٦٩)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د/ مهدي رزق الله (٤٤٣ - ٤٥٦).



الكلمة السابعة

غزوة: «بني قريظة»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قريظة فكانت أشد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ وأغلظهم كفراً، ولذلك جرى عليهم ما لم يجز على إخوانهم من بني قينقاع والنضير»^(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في البداية والنهاية: «فصل في غزوة بني قريظة وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعد الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم، وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ومما ألأتهم الأحزاب عليه، فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وباءوا بغضب من الله ورسوله، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة»^(٢).

ذكرنا فيما تقدم أن يهود بني قريظة نقضوا العهد مع المسلمين وتآمروا مع الأحزاب على حرب المسلمين فكان لا بد من تأديبهم على هذا الغدر.

ففي اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ من الخندق هو وأصحابه ووضعوا السلاح، أتاه جبريل بصورة دحية الكلبي يأمره بقتال بني قريظة.

(١) زاد المعاد (٣/ ١٥٣).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٧٠).



غزوة: «بني قريظة»

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق، ووضع السلاح، واغتسل أتاه جبريل عليه السلام، قَالَ: «قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَأَخْرُجْ إِلَيْهِمْ»، قَالَ: «فَإِلَى أَيْنَ؟» قَالَ: «هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ»^(١).

وفي رواية المسند من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كأني انظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: كأني انظر إلى الغبار ساطعاً^(٣) في زقاق^(٤) بني غنم^(٥) موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة^(٦).

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي في الناس: «لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»^(٧).

ووقع في رواية مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «الظهر» بدل «العصر»، مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد

(١) صحيح البخاري برقم (٤١١٧) وصحيح مسلم برقم (١٧٦٩) مطولاً.

(٢) (٤٥٨/٤١) برقم (٢٤٩٩٤) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) ساطعاً: أي مرتفعاً، فتح الباري (٤٠٨/٧).

(٤) الزقاق: بالضم - الطريق، النهاية (٣٠٦/٢).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤٠٨/٧): بني غنم بفتح الغين وسكون النون، بطن من الخزرج، وهم بنو غنم بن مالك بن النجار، منهم أبو أيوب الأنصاري وآخرون.

(٦) صحيح البخاري برقم (٣٢١٤).

(٧) صحيح البخاري برقم (٤١١٩)، وصحيح مسلم (١٧٧).



موسوع عن الدرر المنتقاة

٧٣

بإسناد واحد^(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «جمع بعض العلماء بين الروایتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان قد صلى الظهر، وبعضهم لم يصلها، فقليل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر، وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة، فقليل للطائفة الأولى: الظهر، وقيل للطائفة التي بعدها: العصر، قال الحافظ: وكلاهما جمع لا بأس به»^(٢).

فأخذ بعض الصحابة بظاهر الأمر، فلم يصلوا العصر حتى جاؤوا بني قريظة وقد غربت الشمس، وقال البعض الآخر: إنما أراد رسول الله ﷺ الإسراع، وصلوا العصر في وقتها وهم في الطريق. فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ لم يعنف واحداً منهم^(٣).

واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب وقدمه إلى بني قريظة، حتى إذا دنا من حصونهم سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ.

وخرج رسول الله ﷺ في موكبه من المهاجرين والأنصار حتى نزل على بئر من آبار قريظة يُقال لها بئر أنا، ثم تحرك الجيش الإسلامي نحو بني قريظة أرسالاً حتى تلاحقوا بالنبي ﷺ وهم ثلاثة آلاف والخيل ثلاثون فرساً، فنازلوا حصون بني قريظة.

(١) قال الذهبي في السيرة النبوية (١/٥٠٦): كأنه وهم.

(٢) فتح الباري (٧/٤٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤١١٩)، وصحيح مسلم (١٧٧).



غزوة: «بني قريظة»

فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم وكانوا في أعلاه، نادى بأعلى صوته نفرًا من أشرفها حتى أسمعهم: «يَا إِخْوَةَ الْقَرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ»، قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً ولا فحاشاً^(١).

فحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة، حتى اشتدت بهم الحال وأيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم^(٢).

عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال، إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد ﷺ في دينه، فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم، وقد قال لهم: والله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وإنه الذي تجدونه في كتابكم، وإما أن يقتلوا ذراريهم ونساءهم بأيديهم، ويخرجوا إلى النبي ﷺ بالسيوف مصلتين^(٣) يناجزونه حتى يظفروا بهم، أو يُقتلوا عن آخرهم، وإما أن يهجموا على رسول الله ﷺ وأصحابه ويكبسوهم يوم السبت، لأنهم قد آمنوا أن يقاتلوهم فيه، فأبوا أن يجيبوه إلى واحدة من هذه الخصال الثلاث، وحينئذ قال سيدهم كعب بن أسد في انزعاج وغضب: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا^(٤). ولم يبق لقريظة بعد هذه الخصال الثلاث إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، ولكنهم أرادوا أن يتصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين لعلمهم يتعرفون ماذا سيحل بهم إذا نزلوا على حكمه، فبعثوا

(١) مستدرک الحاکم (٣/ ٥٧٧) برقم (٤٣٨٨)، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي البداية والنهاية (٦/ ٧٤): ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وغيرها.

(٢) المناجزة في الحرب «المبارزة».

(٣) أي مجردة من غمدها.

(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ١٩١ - ١٩٢)، البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٦/ ٧٩ - ٨٠).



موسى عن الذرير المنقلا

٧٥

إلى رسول الله ﷺ أن أرسل إلينا أبا لبابة نستشيره، وكان حليفاً لهم، وكانت أمواله وولده في منطقتهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش النساء والصبيان يكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن نزل على حكم محمد؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، يقول: إنه الذبح، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله فمضى على وجهه ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ حتى أتى المسجد النبوي بالمدينة، فربط نفسه بسارية المسجد وحلف ألا يحلّه إلا رسول الله ﷺ بيده وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبداً، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه قال: «أَمَا لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَعْفَرْتُ لَهُ، فَأَمَا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يُتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١).

وأقام أبو لبابة رضي الله عنه مربوطاً بالجدع ست ليالٍ أو أكثر، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيربط بالجدع، حتى نزلت توبته من الله تعالى، فأنزل الله: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة، آية رقم: ١٠٢].

وبرغم ما أشار إليه أبو لبابة قررت قريظة النزول على حكم رسول الله ﷺ، ولقد كان باستطاعة اليهود أن يتحملوا الحصار الطويل

(١) أخرج قصة إرسال أبي لبابة إلى بني قريظة الإمام أحمد في مسنده (٢٦/٤٢ - ٣٠) برقم (٢٥٠٩٧) وجود إسنادها محققو المسند، وذكرها ابن إسحاق في السيرة (٣/١٩٢ - ١٩٣)، وأوردها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/٧٧ - ٧٨).

لتوفر المواد الغذائية والمياه والآبار ومناعة الحصون، ولأن المسلمين كانوا يقاسون البرد القارس والجوع الشديد وهم في العراء، مع شدة التعب الذي اعتراهم لمواصلة الأعمال الحربية من قبل بداية معركة الأحزاب، إلا أن حرب قريظة كانت حرب أعصاب، فقد قذف الله في قلوبهم الرعب، وأخذت معنوياتهم بالانهيار، وبلغ هذا الانهيار إلى نهايته أن تقدم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، وصاح علي: يا كتيبة الإيمان! والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم؛ وحينئذ بادروا إلى النزول على حكم رسول الله ﷺ.

وأمر رسول الله ﷺ باعتقال الرجال، فوضعت القيود في أيديهم تحت إشراف محمد بن مسلمة الأنصاري، وجعلت النساء والذراري بمعزل عن الرجال في ناحية. وقامت الأوس إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم. فقال: «أَلَا تَرَضُونَ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قالوا: بلى، قال: «فَذَاكَ إِلَيَّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»، قالوا: قد رضينا. فأرسل إلى سعد بن معاذ وكان في المسجد النبوي يُطيب من جرحه الذي أُصيب به في الخندق، وكان قد أصاب أكحله في معركة الأحزاب، فأركب حمارًا وجاء إلى رسول الله ﷺ، فجعلوا يقولون، وهم كنفية: يا سعد! أجمل في مواليك فأحسن فيهم، فإن رسول الله ﷺ قد حكّمك لتحسن فيهم. وهو ساكت لا يرجع إليهم شيئًا، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فلما سمعوا ذلك منه رجع بعضهم إلى المدينة فنعى إليهم القوم^(١)، ولما انتهى سعد إلى النبي ﷺ قال للصحابة: «قُومُوا

(١) أخرج مجيء سعد بن معاذ إلى رسول الله ﷺ ليحكم في بني قريظة، البخاري =



موسوع من الدرر المنتقاة

٧٧

إِلَى سَيِّدِكُمْ - أَوْ خَيْرِكُمْ - فَأَنْزَلُوهُ»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: السيد هو الله، فقاموا إليه فأنزلوه، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»، فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ» وفي رواية: أرقعة^(١).

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسارى فجمعوا في دار رملة بنت الحارث امرأة من بني النجار، وقيل دار أسامة بن زيد، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: ويمكن الجمع بينهما بأنهم جعلوا في بيتين^(٢).

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحفر لهم الخنادق في سوق المدينة ثم بعث إليهم، فجيء بهم أرسالاً^(٣) وتُضرب أعناقهم في تلك الخنادق ويُلقون فيها، وكانوا أربعمئة رجل على الأرجح^(٤)، وفي رواية ابن إسحاق في السيرة أنهم كانوا ستمئة أو سبعمئة رجل^(٥).

= في صحيحه برقم (٤١٢٢)، ومسلم في صحيحه برقم (١٧٦٨).

(١) أرقعة: يعني سبع سموات، وكل سماء يقال لها رقيع، والجمع أرقعة، النهاية (٢٥١/٢).

(٢) فتح الباري (٤١٤/٧).

(٣) أرسالاً أي: أفواجاً، وفرقاً متقطعة يتبع بعضهم بعضاً، النهاية (٢٢٢/٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (٣٥٠/٣)، وذكر ابن حجر رحمته الله في الفتح (٤١٤/٧) أنه

اختلف في عدتهم، قال ابن إسحاق: هم ما بين الستمئة أو سبعمئة، والمكث

يقول بين الثمانمئة والتسعمئة، ثم قال: فيتحمل في طريق الجمع أن يقال:

إن الباقين كانوا أتباعاً.

(٥) سيرة ابن هشام (١٩٦/٣).



غزوة: «بني قريظة»

فلما أخذوا للقتل فرقا يتبع بعضهم بعضا، قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسد: يا كعب! ما تراه يصنع بنا؟

قال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون؟! ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل، فلم يزل يُؤتى بهم جماعات حتى فرغ رسول الله ﷺ منهم.

وكان من جملة من قتل مع بني قريظة حيي بن أخطب، فإنه كان دخل مع بني قريظة في حصنهم حيث رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. فلما أتى به قال له رسول الله ﷺ: «هَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ؟» قال حيي: لقد ظهرت علي، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس! إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه - لعنه الله^(١).

ولم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة، فقد روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لم يُقتل من نسائهم - تعني بني قريظة - إلا امرأة، إنها لعندي تحدث تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسيوف، إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة؟ قالت: أنا، قلت: وما شأنك؟ قالت: حدث أحدثته. قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، فما أنسى عجباً منها أنها تضحك ظهراً وبطناً وقد علمت أنها تُقتل^(٢).

(١) سيرة ابن هشام (٣/١٩٧)، والبداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (٦/٩١ - ٩٢).

(٢) برقم (٢٦٧١) وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٥٠٧/٢) برقم (٢٣٢٥).



موسوع عن الذرر المنقاة

٧٩

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم، وترك من لم يُنبت، فكان عطية القرظي ممن لم يُنبت فخلي سبيله وأُلق بالسيبي. فروى الترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه من حديث عطية القرظي قال: كنت فيمن حكم فيهم سعد ابن معاذ فشكوا في أمن الذرية أنا أم من المقاتلة؟ فقال رسول الله ﷺ: «انظروا، فإن كان أنبت الشعر فاقتلوه، وإلا فلا تقتلوه»^(١).

واستشهد من المسلمين يوم قريظة رجلان وهم خلاد بن سويد الذي طُرحت عليه رحي، فشدخت رأسه شدخاً شديداً فمات، وأمر النبي ﷺ بقتل تلك المرأة التي طرحت على خلاد ابن سويد الرحي وتقدم ذكر ذلك، والشهيد الآخر هو أبو سنان بن محصن أخو عكاشة بن محصن مات ورسول الله محاصراً بني قريظة^(٢).

واستوهب ثابت بن قيس الزبير بن باطا وأهله وماله، وكانت للزبير يد عند ثابت؛ فوهبهم له رسول الله ﷺ، فقال له ثابت بن قيس: قد وهبك رسول الله ﷺ إلي، ووهب لي مالك وأهلك فهم لك، فقال الزبير بعد أن علم بمقتل قومه: سألتك بيدي عندك يا ثابت ألا ألحقتني بالأبية؛ فضرب عنقه، وألحقه بالأحبة من اليهود^(٣)، واستحيا ثابت من ولد الزبير بن باطا عبد الرحمن ابن الزبير، فأسلم وله صحبة.

واستوهبت أم المنذر سلمى بنت قيس النجارية رفاعة بن سموأل

(١) سنن الترمذي برقم (١٥٨٤)، وصحيح ابن حبان برقم (٤٧٦١) واللفظ له، وصححه

الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٢/١١٤) برقم (١٢٨٨).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/٢٠٩).

(٣) سيرة ابن هشام (٣/١٩٨).



غزوة: «بني قريظة» ٨٠

القرظي، فوهبه لها فاستحيتة فأسلم وله صحبة.

وأسلم منهم تلك الليلة نفر قبل النزول فحقنوا دماءهم وأموالهم
وذراريهم.

وخرج تلك الليلة عمرو بن سعدى - وكان رجلاً لم يدخل مع بني
قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ - فرآه محمد بن مسلمة قائد الحرس
النبوي فخلى سبيله حين عرفه، فلم يعلم أين ذهب.

وقسم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة بعد أن أخرج منها الخمس،
فأسهم للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفارس وسهم للفارس، وأسهم
للرجال سهمًا واحدًا لهم^(١).

وبعث من السبايا سبايا بني قريظة إلى نجد تحت إشراف سعد بن
زيد الأنصاري فابتاع بها خيلاً وسلاحًا.

واصطفى رسول الله لنفسه من نسائهم ريحانه بنت عمرو بن خُنافة
إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي
عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها
ويضرب عليها الحجاب فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو
أخف عليّ وعليك فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام
وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه لذلك من
أمرها، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: «إِنَّ هَذَا
لِثَعْلَبَةَ بِنِ سَعِيَةَ يُبَشِّرُنِي بِإِسْلَامِ رَيْحَانَةَ» - فجاءه فقال: يا رسول الله! قد

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ١٩٤ - ٢٠٠).



موسى بن الدرداء المتنبه

٨١

أسلمت ريحانة، فسره ذلك من أمرها^(١).

وذكر ابن سعد في طبقاته عن محمد بن كعب قال: كانت ريحانة مما أفاء الله على رسوله وكانت جميلة وسيمة، فلما قتل زوجها وقعت في السبي، فخيرها رسول الله ﷺ فاخترت الإسلام، فأعتقها وتزوجها، وضرب عليها الحجاب، فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة، فشق عليها وأكثرت البكاء فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع. وكان تزويجه إياها في المحرم سنة (٦) من الهجرة قبل وفاته^(٢)، ولما تم أمر قريظة أُجيب دعوة العبد الصالح سعد بن معاذ رضي الله عنه التي تقدمت، وكان النبي ﷺ قد ضرب له خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما تم أمر قريظة انتقضت جراحته. قالت عائشة: فانفجرت من لبته^(٣)، فلم يرعهم^(٤) - وفي المسجد خيمة من بني غفار، إلا والدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو^(٥) جرحه دمًا، فمات منها^(٦).

(١) السيرة النبوية (٣/ ٢٠٠) قال د/ مهدي رزق الله أحمد في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٤٦٣): رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل ولكنه يتقوى بالمتابعة، فقد روى ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٣١) بإسناد رجاله ثقات يُحتج بهم ما عدى الواقدي، وقد عدها من زوجات الرسول ﷺ الواقدي (٢/ ٥٢٠ - ٥٢١)، والطبري في التاريخ (٢/ ٥٩٢)، وعدها ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ٣٠٩) بهامش الإصابة وابن حجر الإصابة (٤/ ٣٠٩)؛ في زوجات الرسول ﷺ.

(٢) الطبقات الكبرى (٨/ ١٠٢).

(٣) اللبة: موضع القلادة من الصدر.

(٤) يرعهم: يفزعهم.

(٥) أي يسيل.

(٦) صحيح البخاري برقم (٤١٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٧٦٩).



غزوة: «بني قريظة»

وفي الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اهتزَّ عرشُ الرَّحْمَنِ لموتِ سَعِدِ بنِ مُعَاذٍ»^(١).

ولما فرغ من جهاز سعد رضي الله عنه احتمله الناس وكان رجلاً طويلاً ضخماً فقال المنافقون: ما أخفها، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّمَا كَانَتْ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ مَعَهُمْ»^(٢).

وقعت هذه الغزوة في ذي القعدة سنة (٥٥هـ) ودام الحصار خمساً وعشرين ليلة كما تقدم، وأنزل الله تعالى في غزوة الأحزاب وبني قريظة آيات من سورة الأحزاب ذكر فيها أهم جزئيات الواقعة، وبين حال المؤمنين والمنافقين، ثم تخذيل الأحزاب ونتائج الغدر من أهل الكتاب، ومنته على عبادة المؤمنين بكفايته لعدوهم^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٦).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٨٤٩)، وقال ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية (١٠٦/٦): إسناده جيد، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢٣٧/٣) برقم (٣٠٢٤).

(٣) الرحيق المختوم للمباركفوري (ص ٢٧٨ - ٢٨١)، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٣/ ١٩٤ - ٢٢٤)، البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٧٠ / ١٠٩)، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٨٩ - ٢٠٩).



الكلمة الثامنة

دروس وعبر من غزوة: «الخنديق» و «بني قريظة»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

من الدروس والعبر المستفادة من الغزوتين ما يلي:

١- أن حفر الخندق على ما فيه من تعب ومشقة كان خطة حكيمة أنقذ الله بها المسلمين من مخاطر عظيمة كانت ستحل بهم، وهذا داخل في قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال، آية رقم: ٦٠].

٢- «صبر النبي ﷺ وأصحابه على التعب والجوع والبرد في سبيل نصرة هذا الدين.

٣- التداوي عن الجوع بمثل هذا العمل الذي عمله النبي عليه الصلاة والسلام حيث ربط على بطنه حجراً، لأجل أن تتماسك الأمعاء، فإن الأمعاء تكون خاوية، ليس فيها شيء يسندها من الطعام من الداخل، فيشدها هذا الحجر، ويرفع الصلب وقيمه.

٤- تواضع النبي ﷺ وحبه للمشاركة في الجهاد في سبيل الله، فكان عليه الصلاة والسلام ينقل مع أصحابه التراب وهم يحفرون الخندق، والخنديق يحتاج إلى تعب، حتى إن بطنه ﷺ علق به



التراب فواري بياض بطنه.

٥- فيه دليل على أن الإنسان يجوز له أن يرتجز على العمل - لأن ذلك يقويه وينشطه، وكان الناس يفعلون هذا قديمًا فإذا كان - مثلاً يسني على الإبل تجده ينشد أناشيد، ويرتجز لينشط نفسه وينشط الإبل من جهة أخرى، وكذلك العمال وهم ينقلون اللبنة إلى أعلى البيت تجدهم يرتجزون، فالنشيد للتقوي على العمل لا بأس به.

٦- تشجيع النبي ﷺ للصحابة أنهم إذا تعبوا في نقل التراب فإن هناك عيشًا خيرًا من هذا وهو عيش الآخرة.

٧- أن المؤمن إذا رأى ما يعجبه من الدنيا من سيارات أو قصور أو غير ذلك فليتذكر أن هذا عيش زائل وأن العيش الحقيقي هو عيش الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ [سورة طه، آية رقم: ١٣١].

٨- هذه الآية العظيمة التي حصلت في تكثير الطعام، الذي قدمه جابر للنبي ﷺ وأصحابه وهو طعيم: أي شيء يسير من الشعير وعناق من الماعز لها نحو أربعة أشهر، ومع ذلك كفى المهاجرين والأنصار.

٩- ذكاء امرأة جابر رضي الله عنها وعن زوجها، حين قال لها: ويحك، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار، فقالت: هل سألك؟ يعني فإن كان قد سألك فإنه أعلم، ما جاء بهم إلا والطعام سيكفيهم، أما لو كان الرسول ﷺ لم يعلم لكانت مشكلة.

١٠- مباشرة الأكابر في تقديم الطعام لمن دونهم، فإن الذي جعل يقدم هو النبي ﷺ.



موسوع الدرر المنتقاة

٨٥

١١- أنه ينبغي للكبير أن ينظم قومه عند تناول حقوقهم، لأنه قال لهم: ادخلوا ولا تضاغطوا، أي لا تراصوا ويضغط بعضكم بعضاً، وهكذا ينبغي للإنسان الكبير أن ينظم القوم ولا يدعهم فوضى.

١٢- أن الله سبحانه وتعالى قد يبارك في الشيء القليل حتى يكفي أناساً كثيرين، وكما أن هذا من الأمور العينية فهو أيضاً في الأمور الزمانية والمكانية.

١٣- في الحديث جواز توجيه الدعوة للعموم، وقد ذكر الفقهاء أنه تكره دعوة الجفلي التي لا يُعين فيها المدعو، يقال: يا أيها الناس هلموا إلى الطعام، فذكر الفقهاء أنه يكره لأن هذا من باب الإسراف والمباهاة، ولكن الصحيح عدم الكراهة لأمرين:

الأول: أن رسول الله ﷺ قال مثل هذا لأهل الخندق كلهم.

الثاني: أنه في الحديث الآخر الذي قال فيه لأنس بن مالك رضي عنه: «اذع لي من لقيت»، فلم يُعين.

والصحيح أنه لا يكره وأنه يجوز للإنسان أن يأتي إلى الجماعة فيقول: تفضلوا عندنا طعام، وليس في هذا إسراف إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

١٤- أن ريق الإنسان طاهر، ولا نستدل به على جواز البصق في الطعام، لأن بصق النبي ﷺ في الطعام من أجل المباركة فيه، أما بصقنا نحن فلا شيء»^(١).

(١) التعليق على صحيح البخاري للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (٨/ ٢٤٦ - ٢٦٦)،
والتعليق على صحيح مسلم (٩/ ١٨٢ - ١٨٤).



١٥- أن الفرج بعد الشدة، وهذا ما حصل للمؤمنين في هذه الغزوة، فقد بلغت القلوب والحناجر وزلزل المؤمنون زلزالاً عظيماً ثم جاء الفرج من الله، وأرسل الله على الأحزاب الريح، وقذف في قلوبهم الرعب فولوا مدبرين.

١٦- قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٍّ، وَإِنْ حَوَارِيِّي الزُّبَيْرُ»، فيها منقبة للزبير وقوة قلبه وصحة يقينه.

١٧- جواز سفر الرجل وحده، وأن النهي عن السفر وحده إنما هو حيث لا تدعو الحاجة إلى ذلك^(١).

١٨- أن الغدر ونقض العهود مستأصلة في اليهود منذ القدم، وقد ذكر الله هذا كثيراً في كتابه، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكُفَّرِهِمْ بَيَّأْتِ اللَّهُ وَقَلْبِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقِّ﴾ [سورة النساء، آية رقم: ١٥٥].

١٩- أن المنافقين وجدوا في أحداث غزوة الأحزاب فرصة للكشف عن خبيثة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد، وفرصة للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله وهذا ديدنهم دائماً.

٢٠- فيه منقبة للسعد بن سعد بن معاذ وسعد بن عباد واعتزازهما بدينهما حين رفضا إعطاء غطفان ثلث ثمار المدينة وقالوا: ما نعطيهم إلا السيف.

٢١- استجابة الله لدعوة العبد الصالح سعد بن معاذ رضي الله عنه، فقد أقر الله

(١) فتح الباري لابن حجر رحمته الله (٦/١٤٠).



موسى عز الدين المنتقلة

- عينه بنى قريظة وحكم فيهم ووافق حكمه حكم الله تعالى .
- ٢٢- أنه يشرع للنساء مداواة الجرحى عند القتال والحاجة إلى ذلك .
- ٢٣- أن إسلام نعيم بن مسعود كان فرجاً للمسلمين، فقد عمل مكيدة وفرقة بين الأحزاب أدت إلى تفرقهم وضعفهم .
- ٢٤- أن الدعاء سلاح المؤمن عند الشدائد، فقد دعا النبي ﷺ وأصحابه على الكفار فهزموا وولوا بدون حرب وقذف الله في قلوبهم الرعب .
- ٢٥- في قول النبي ﷺ: «الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا» علم من أعلام النبوة وبشارة من النبي ﷺ بأن الغلبة ستكون للمسلمين وأن المدينة لن تُغزى بعد ذلك .
- ٢٦- أن اليهود من أشد الناس عداوة للمسلمين وأكثرهم حقداً وبغضاً ومكرًا بالمسلمين، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [سورة المائدة، آية رقم: ٨٢] .
- ٢٧- أن جبريل ﷺ كان كثيرًا ما يأتي بصورة دحية الكلبي وهو حسن الصورة .
- ٢٨- أن الملائكة حملت السلاح وشاركت في غزوة بني قريظة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وجنودًا لم تروها الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف .
- ٢٩- سرعة استجابة الصحابة لأمر النبي ﷺ وصلاتهم العصر في بني قريظة .



دروس وعبر من غزوة: «الخنديق» و«بني قريظة»

٣٠- «فضل الصحابة حيث انتدبوا للقتال مع ما هم فيه من الشدة والضعف.

٣١- أن المجتهد إذا أخطأ لا تجب عليه الإعادة، لأن هؤلاء الصحابة اجتهدوا، فمنهم من صلى في الوقت، وقال: لم يرد منا أن نُؤخر الصلاة، إنما أراد منا أن نعجل الخروج.

٣٢- أن سبب نزول اليهود على حكم سعد بن معاذ أنهم كانوا مواليه، وظنوا أنه سيفعل بهم كما فعل عبد الله ابن أبي بحلفائه من بني قينقاع حين شفع فيهم فتركهم الرسول ﷺ له؛ ولكنه ﷺ حكم بقتل المقاتلة، وسبي الذرية من النساء والصبيان فيكونون أرقاء يباعون ويملكون وتقسم الأموال.

٣٣- فضيلة سعد بن معاذ وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم في هؤلاء، وفي أنه وافق حكمه حكم الله سبحانه وتعالى.

٣٤- جواز تحكيم الحاكم من هو دونه وإلا لم يرض الرسول ﷺ.

٣٥- جواز النزول على حكم من يرضاه العدو، وقد كان النبي ﷺ يقول لمن يبعثه: «وَإِذَا حَاصِرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنَزِّلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنَزِّلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ»^(١).

قال أهل العلم: وهذا في عهد النبي ﷺ لا ينزلهم على حكم الله ورسوله لأنه من الممكن أن يُنسخ الحكم.

أما بعد أن توفي الرسول ﷺ وقد استقرت الأحكام فإذا طلبوا أن

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٣١).



موسوع من الدرر المنتقاة

٨٩

ينزلوا على حكم الله ورسوله أنزلوا على حكم الله ورسوله.

وهنا إشكال: كيف جاز أن يحكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فيهم، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ» فدل هذا على أن الله عز وجل حكماً فيهم؟

قلنا: قوله: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ» بمعنى وافقته، والرسول صلى الله عليه وسلم علم بحكمه بعد أن حكم فيهم سعد رضي الله عنه.

٣٦- تمني الشهادة في سبيل الله، لقول سعد رضي الله عنه: فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها، لأجل أن تكون موته بسبب هذا الجرح الذي قد جرح به في سبيل الله فيكون قد مات شهيداً رضي الله عنه.

٣٧- أنه يجوز أن يقول الإنسان: أظن كذا وكذا ويتكلم بالظن، ولا يقال إن الكلام بالظن محرم لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّكَ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فعلم من الآية الكريمة أن بعض الظن ليس بإثم وهو الظن الذي يقوم على القرائن والأدلة؛ فهذا ليس بإثم.

٣٨- أنه يجوز التعليق في الدعاء، وهذا له شواهد كثيرة مثل أن يقول الإنسان: اللهم إن كان كذا فأسألك كذا وكذا.

٣٩- أن الإنسان إذا أُصيب في سبيل الله ومات من هذا الجرح فهو شهيد وإن تأخر موته، لكن يُصلى عليه لأن الشهيد إذا لم يمتم في نفس المعركة فحُمل وطال بقاؤه فإنه يُصلى عليه، وإن مات في مكانه فإنه لا يُصلى عليه وإنما يُصلى عليه إذا طال المدة على ما ورد به



النص، لأن الأصل وجوب الصلاة على الميت ولم يرد ترك الصلاة عليه إلا في شهداء أحد فمن شابههم ومات من فوره تركنا الصلاة عليه وإلا فإننا نُصلي عليه، ولهذا صلى النبي ﷺ على سعد بن معاذ رضي عنه (١).

٤٠- في قول النبي ﷺ يوم قريظة لحسان: «اهْجُ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَكَ» دليل على جواز هجاء المشركين وأن الأشعار في هجاء المشركين محمودة لأمر النبي ﷺ بها، ولأن ذلك يبقى، فإن الأشعار التي قيلت في بدر وفي أحد وفي غيرها بقيت إلى الآن، ففي هذا دليل على أن من الفضل أن يُهَجَى المشركون» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦١٥٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٨٥).

(٢) التعليق على صحيح البخاري للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (٨/٢٦٧ - ٢٧٨).



الكلمة التاسعة :

يسمونها بغير اسمها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ^(١)، وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيُنزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَيَّ جَنْبَ عِلْمٍ^(٢)، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ^(٣) لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ^(٤) لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيَسْتَسْمِعُهُمُ اللَّهُ^(٥) وَيَضَعُ الْعِلْمَ^(٦) وَيَمْسُحُ آخِرِينَ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٧).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث مالك بن أبي مريم قال: كنا جلوساً مع ربيعة الجرشي فتذاكرنا الطلاء في خلافة الضحاك بن قيس، فإنا لذلك إذ دخل علينا عبد الرحمن بن غنم صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، فقلنا: اذكروا الطلاء، فتذاكرنا الطلاء، كذا قال زيد بن الحباب - يعني

(١) أي الزنا.

(٢) علم: أي جبل.

(٣) بسارحة : أي ماشية.

(٤) أي: الفقير.

(٥) فيستهم الله: أي يهلكهم ليلاً.

(٦) ويضع العلم: أي يسقط الجبل عليهم.

(٧) برقم (٥٥٩٠).



عبد الرحمٰن بن غنم صاحب النبي ﷺ فقال: حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَيْشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا».

والذي حدثني أصدق مني ومنك، والذي حدث به أصدق منه ومني ومنك، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعته من أبي مالك الأشعري، سمعه من النبي ﷺ، فردده عليه ثلاثاً. فقال الضحاك: أف له من شراب آخر الدهر (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ومن مكايده التي كاد بها الإسلام وأهله الحيل والمكر والخداع الذي يتضمن تحليل ما حرمه الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه، فإن الرأي رآيان، رأي يوافق النصوص، وتشهد له بالصحة والاعتبار فهو الذي اعتبره السلف وعملوا به، ورأي يخالف النصوص وتشهد عليه بالإبطال والإهدار فهو الذي ذموه وأنكروه.

وكذلك الحيل نوعان: نوع يُتوصل به إلى فعل ما أمر الله تعالى به وترك ما نهى عنه والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه. ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً والظالم مظلوماً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، ثم قال:

(١) (٣٧/٥٣٤) برقم (٢٢٩٠٠)، وقال محققوه: المرفوع منه صحيح لغيره.



موسوعنا الدرر المنتقاة

٩٣

وباب الحيل المحرمة مداره على تسمية الشيء بغير اسمه، على تغيير صورته مع بقاء حقيقته؛ فمداره على تغيير الاسم مع بقاء المسمى، وتغيير الصورة مع بقاء الحقيقة؛ فإن المحلل مثلاً غير اسم التحليل إلى اسم النكاح، واسم المحلل إلى الزوج، وغير مسمى التحليل بأن جعل صورته صورة النكاح، والحقيقة حقيقة التحليل .

ومعلوم قطعاً أن لعن الرسول ﷺ على ذلك إنما هو لما فيه من الفساد العظيم، الذي اللعنة من بعض عقوبته، وهذا الفساد لم يُزل بتغيير الاسم والصورة مع بقاء الحقيقة، ولا بتقديم الشرط من صلب العقد إلى ما قبله، فإن المفسدة تابعة للحقيقة، لا للاسم، ولا لمجرد الصورة.

وكذلك المفسدة العظيمة التي اشتمل عليها الربا، لا تزول بتغيير اسمه من الربا إلى المعاملة، ولا بتغيير صورته من صورة إلى صورة، والحقيقة معلومة متفق عليها بينهما قبل العقد، يعلمها من قلوبهما عالم السرائر، فقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد، ثم غيرا اسمه إلى المعاملة، وصورته على التبايع الذي لا قصد لهما فيه البتة، وإنما هو حيلة ومكر، ومخادعة لله تعالى ولرسوله ﷺ.

وأى فرق بين هذا وبين ما فعلته اليهود من استحلال ما حرم الله عليهم من الشحوم بتغيير اسمه وصورته؟ فإنهم أذابوه حتى صار ودكاً، وباعوه، وأكلوا ثمنه، وقالوا: إنما أكلنا الثمن، لا المثمن، فلم نأكل شحماً .

وكذلك من استحل الخمر باسم النبيذ، كما في حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَيْشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْرَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَارِيفِ، وَالْمُغْنِيَّاتِ،



يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ»^(١)

وإنما أتى هؤلاء حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من انتفاء الاسم، ولم يلتفتوا إلى وجود المعنى المحرّم وثبوتة، وهذا بعينه هو شبهة اليهود في استحلال بيع الشحم بعد جمّله، واستحلال أخذ الحيتان يوم الأحد بما أوقعوها به يوم السبت في الحفائر والشباك من فعلهم يوم الجمعة، وقالوا: ليس هذا صيد يوم السبت، ولا استباحةً لنفس الشحم .

بل الذي يستحل الشراب المسكر زاعماً أنه ليس خمراً، مع علمه أن معناه معنى الخمر، ومقصوده مقصوده، وعمله عمله: أفسدُ تأويلاً؛ فإن الخمر اسم لكل شراب مسكر، كما دلّت عليه النصوص الصحيحة الصريحة، وقد جاء هذا الحديثُ عن النبي ﷺ من وجوه أخرى:

منها: ما رواه النسائي عنه ﷺ: «يَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»^(٢). وإسناده صحيح .

ومنها: ما رواه ابن ماجة عن عبادة بن الصامت يرفعه: «يَشْرَبُ نَاسٌ

(١) سنن ابن ماجة برقم (٤٠٢٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن ابن ماجة (٣٧١ / ٢) برقم (٣٢٤٧).

(٢) قال محققو إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان: سنن النسائي (٣١٢ / ٨) من طريق شعبة عن أبي بكر بن حفص عن ابن محيريز عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ، وبهذا الإسناد رواه الطيالسي (٥٨٦)، وأحمد (٢٣٧ / ٤)، إلا أنه وقع عند الطيالسي: عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أو رجال من أصحاب النبي ﷺ، وصحح إسناده ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كما في الفتاوى الكبرى (٤٠ / ٦)، وهو في السلسلة الصحيحة (٤١٤)، وطريق شعبة هذه هي في الحقيقة أحد الأوجه التي رُوِيَ بها حديث عبادة التالي.



مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»^(١).

ورواه الإمام أحمد، ولفظه: «لَيْسَتْ حَلَنَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، بِاسْمِ
يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ»^(٢).

ومنها: ما رواه ابن ماجة أيضًا من حديث أبي أمامة، قال: قال
رسول الله ﷺ: «لَا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ حَتَّى تَشْرَبَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي
الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»^(٣).

(١) قال محققو إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان: سنن ابن ماجة (٣٣٨٥) من طريق بلال بن يحيى عن أبي بكر بن حفص عن ابن محيريز عن ثابت بن السمط عن عبادة نحوه، وبهذا الإسناد رواه ابن أبي شيبه (٦٨ / ٥)، وابن أبي الدنيا في ذم المسكر (٨)، والضياء في المختارة (٨ / ٢٥٥، ٢٥٦)، وفي إسناده اختلاف، قال الهيثمي في المجمع (٥ / ١١٩): «ثابت بن السمط مستور، وبقية رجاله ثقات»، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (١٠ / ٥١)، والمنأوي في التيسير (٢ / ٥٦٣)، وهو في السلسلة الصحيحة (٩٠).

(٢) مسند أحمد (٥ / ٣١٨) من طريق بلال بن يحيى العبسي به.

(٣) قال محققو إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان: سنن ماجه (٣٣٨٤) عن العباس بن الوليد عن عبدالسلام بن عبدالقدوس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي أمامة، وبهذا الإسناد رواه الطبراني في الكبير (٨ / ٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٩٧)، إلا أنه وقع عند الطبراني: عبدالصمد بن عبد القدوس، قال أبو حاتم كما في العلل (٢ / ٣١): «هذا حديث منكر، عبد السلام بن عبدالقدوس بن حبيب لا أعرفه». ورواه الطبراني في مسند الشاميين (٤٣٠) عن محمد بن هارون عن العباس عن عبد السلام به، إلا أنه جعله من مسند أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب أيضًا عن ابن عباس وكيسان أو نافع بن كيسان وعائشة.



فهؤلاء إنما شربوا الخمر استحلالاً، لَمَّا ظنوا أن المحرم مجرد ما وقع عليه اللفظ، وأن ذلك اللفظ لا يتناول ما استحلوه، وكذلك شُبِّهَتْهُمْ في استحلال الحرير والمعازف، فإن الحرير قد أُبيح للنساء، وأبيح للضرورة وفي الحرب، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، والمعازف قد أُبيح بعضها في العرس ونحوه، وأبيح الحُداء، وأبيح بعض أنواع الغناء، وهذه الشبهة أقوى بكثير من شبه أصحاب الحيل.

فإذا كان من عقوبة هؤلاء أن يُمسَخ بعضهم قردة وخنازير، فما الظن بعقوبة من جُرِّمَتْهُمْ أعظم، وفعلهم أقبح؟

فالقوم الذين يُخسَف بهم ويُمسَخون إنما فعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد، الذي استحلوا به المحارم بطريق الحيلة، وأعرضوا عن مقصود الشارع وحكمته في تحريم هذه الأشياء، ولذلك مُسَخُوا قردة وخنازير، كما مُسَخ أصحاب السبت بما تأولوا من التأويل الفاسد، الذي استحلوا به المحارم، وُخسَف ببعضهم كما خُسَف بقارون؛ لأن في الخمر والحرير والمعازف من الكِبَر والخِيَلَاء ما في الزينة التي خرج فيها قارون على قومه، فلَمَّا استخفوا دين الله تعالى مسخهم الله، ولَمَّا تكبروا عن الحق أذلَّهم الله تعالى، فلما جمعوا بين الأمرين جَمَع اللهُ لهم بين هاتين العقوبتين ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٣].

وقد جاء ذكر المسخ والخسف في عدة أحاديث تقدم ذكر بعضها^(١).

(١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (١/٥٩٩ - ٦٠٢) بتصرف.



موسوعتنا الدرر المنتقاة

٩٧

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وإنما ذاك إذا استحلوا هذه المحرمات بالتأويلات الفاسدة، فإنهم لو استحلوها مع اعتقاد أن الرسول ﷺ حرّمها كانوا كفارًا، ولم يكونوا من أمته، ولو كانوا معترفين بأنها حرام لأوشك أن لا يعاقبوا بالمسوخ، كسائر الذين يفعلون هذه المعاصي مع اعترافهم بأنها معصية، ولما قيل فيهم: يستحلون، فإن المستحل للشيء هو الذي يفعله معتقدًا حله، فيشبه أن يكون استحلّاهم للخمر يعني به: أنهم يسمونها بغير اسمها كما جاء في الحديث فيشربون الأنبذة المحرمة، ولا يسمونها خمراً، واستحلّاهم المعازف باعتقادهم أن آلات اللّهُو مجرد سماع صوت فيه لذة، وهذا لا يحرم كأصوات الطيور، واستحلّال الحرير وسائر أنواعه باعتقادهم أنه حلال في بعض الصور، كحال الجرب وحال الحكمة ونحوهما، فيقيسون عليه سائر الأحوال، ويقولون: لا فرق بين حال وحال، ومعلوم أنها لا تغني عن أصحابها من الله شيئاً بعد أن بلغ الرسول ﷺ وبين تحريم هذه الأشياء بياناً قاطعاً للعذر مقيماً للحجة، وفي الحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لِشْرِبِنَ نَاسٍ مِّنْ أُمَّتِي الْحَمْرَ يُسَمَّوْنَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْرَفُ عَلَى رُؤُوسِهِم بِالْمَعَارِزِ وَالْقَيْنَاتِ، يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ»^{(١) (٢)}.

«وأنت إذا تأملت الحيل المتضمنة لتحليل ما حرم الله سبحانه وتعالى، وإسقاط ما أوجب، وحل ما عقّد = وجدت الأمر فيها كذلك، ووجدت المفسدة الناشئة منها أعظم من المفسدة الناشئة من المحرمات

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل (ص ٢٤) بتصرف.

(٢) تقدم تخريجه.



الباقية على صورها وأسمائها، والوُجْدَانُ شاهدٌ بذلك .

فإنَّ اللهَ ﷻ إنما حرم هذه المحرمات وغيرها لما اشتملت عليه من المفسدات المضرة بالدنيا والدين، ولم يحرمها لأجل أسمائها وصورها، ومعلوم أن تلك المفسدات تابعة لحقائقها، لا تزول بتبدُّل أسمائها وتغيُّر صورها، ولو زالت تلك المفسدات بتغيير الصورة والأسماء لما لعن الله ﷻ اليهود على تغيير صورة الشحم واسمه بإذابته، حتى استحدث اسم الودك وصورته، ثم أكلوا ثمنه، وقالوا: لم نأكله، وكذلك تغيير صورة الصيد يوم السبت بالصيد يوم الأحد.

فتغيير صور المحرمات وأسمائها مع بقاء مقاصدها وحقائقها زيادةً في المفسدة التي حُرمت لأجلها مع تضمينه لمخادعة الله تعالى ورسوله، ونسبة المكر والخداع والغش والنفاق إلى شرعه ودينه، وأنه يُحرم الشيء لمفسدة، ويبيحه لأعظم منها.

ولهذا قال أيوب السختياني^(١): يخادعون الله كما يخادعون الصبيان، لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون .

وقال ﷺ: «لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَدْنَى الْحِيلِ»^(٢).

(١) أورده البخاري تعليقاً بعد الحديث (٦٩٦٣) بلفظ: يخادعون آدمياً، وانظر فتح الباري (٣٣٦/١٢) لابن حجر العسقلاني .

(٢) ابن بطه رَحِمَهُ اللهُ فِي إِبْطَالِ الْحِيلِ (ص ٤٦)، وحسن إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٢٩/٢٩)، وابن كثير فِي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ (١/٢٩٣)، والشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٠/٢٣٠).



موسوعنا الدرر المنتقاة

٩٩

وقال بشر بن السريّ - وهو من شيوخ الإمام أحمد -: نظرتُ في العلم، فإذا هو الحديث والرأي، فوجدت في الحديث ذكر النبيين والمرسلين، وذكر الموت، وذكر ربوبية الرب تعالى وجلاله وعظمته، وذكر الجنة والنار، والحلال والحرام، والحثّ على صلة الأرحام، وجماع الخير، ونظرت في الرأي، فإذا فيه المكْر، والخديعة، والتشاح، واستقصاء الحق، والممالة في الدين، واستعمال الحيل، والبعث على قطيعة الأرحام، والتجرؤ على الحرام.

وقال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل - وذكر أصحاب الحيل - فقال: يحتالون لتقض سنن رسول الله ﷺ.

والرأي الذي اشتقت منه الحيل المتضمنة لإسقاط ما أوجب الله تعالى وإباحة ما حرم الله: هو الذي اتفق السلف على ذمه وعييه.

وذكر لأحمد أن امرأة كانت تريد أن تُفارق زوجها، فيأبى عليها، فقال لها بعض أرباب الحيل: لو ارتدّدت عن الإسلام بنت منه، ففعلت. فغضب أحمد رَحِمَهُ اللهُ وقال: من أفتى بهذا أو علّمه أو رضي به فهو كافر.

وكذلك قال عبد الله بن المبارك ثم قال: ما أرى الشيطان يُحسن مثل هذا حتى جاء هؤلاء فتعلّمه منهم» (١).

ومن الأمثلة على سبيل التنبيه:

- ١- استحلال الربا بتسميته فائدة، أو دينة، أو مصاريف إدارية.
- ٢- استحلال الغناء والمعازف بتسميته أناشيد إسلامية، أو مؤثرات

(١) إغاثة اللفهان في مصايد الشيطان (٦٠٥ - ٦١٠) باختصار.





صوتية أو إيقاعات ونحو ذلك.

٣- استحلال الخمر بتسميتها أنبذة، أو مشروبات روحية، أو تغيير صورها بتقديمها على أنها أنواع من العطور، أو أدوية لبعض الأمراض ونحو ذلك.

٤- استحلال تبرج النساء والسفور وما يتبع ذلك من الفواحش ومقدماتها بتسميتها حرية شخصية ونحو ذلك.

٥- استحلال الرشاوي بتسميتها هدايا أو أتعاب أو إكراميات ونحو ذلك.

٦- استحلال قتل النفوس المعصومة تحت مسمى الجهاد في سبيل الله.

٧- استحلال أموال الناس تحت مسمى الغنائم.

٨- استحلال الفروج المحرمة تحت مسمى السبايا.

٩- استحلال المتعة المحرمة بعقود غير مستوفية لشروط النكاح، وذلك بإيجاد صورة ظاهرة تخالف الحقيقة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة العاشرة:

شرح اسم الله: «الظاهر» و «الباطن»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتُرِّي حِبُّ الْوُثْرِ» ^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٢).

ومن أسماء الله التي وردت في كتابه: الظاهر والباطن وقد وردت مرة واحدة في كتاب الله، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الحديد، آية رقم: ٣].

وسمى الله سُبْحَانَهُ باطنًا، لأنه سُبْحَانَهُ محتجب عن أبصار الخلائق، فلا يراه أحد في الدنيا، ولذلك قال لكليمه موسى عليه السلام عندما طلب منه أن يمكنه من النظر إليه: ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَجَلَى رَبُّهُ، لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة الأعراف، آية رقم: ١٤٣]، فلم يطق الصخر الأصم أن يصمد لأنوار الحق، أما في الآخرة فإن العباد يخلقون خلقًا غير قابل للفناء، ولذا فإن المؤمنين

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤١٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٣٩٢).

شرح اسم الله: «الظاهر» و«الباطن» ١٠٢

يتمكنون من رؤية ربهم في جنات النعيم. فالله حجب نفسه عن أن يراه خلقه في الدنيا، فلا يشاهد كما تشاهد المخلوقات.

ومع أنه **سُبْحَانَهُ** باطن فهو كما يقول الزجاجي: «ظاهر بالدلائل عليه وأفعاله المؤدية إلى العلم به ومعرفته؛ فهو ظاهر مدرك بالعقول والدلائل»^(١).

ويقول الخطابي: الظاهر: هو الظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة وبشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته، ويكون الظاهر فوق كل شيء بقدرته، ويكون الظهور بمعنى العلو ويكون بمعنى الغلبة^(٢).

ويرى بعض أهل العلم: «أن الظاهر العالم بما ظهر، والباطن العالم بما بطن»^(٣).

ويقول الزجاجي: «والباطن خلاف الظاهر، والباطن أيضاً في كلام العرب الخبير العالم بما بطن من أمور»^(٤).

فهو **سُبْحَانَهُ** الباطن يعلم السر وأخفى، والخبايا والخفايا ودقائق الأشياء، كما قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنعام، آية رقم: ٥٩].

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى (ص ١٣٧).

(٢) شأن الدعاء (١/ ٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعراجه للزجاج (٥/ ١٢٢).

(٤) اشتقاق أسماء الله (ص ٢٠٩).



من آثار الإيمان بهذا الاسم الظاهر والباطن:

١- «أن الله تعالى هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، فهو العلي الأعلى وهذا غاية الكمال في العلو أن لا يكون فوق العالي شيء موجود، والله موصوف بذلك»^(١).

وجهة العلو هي أشرف الجهات كما هو مستقر في النفوس، وفي الحديث: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٢).

كما ثبت في الحديث المخرج في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(٣).

ثم بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله أنه مع ثبوت نزوله إلى السماء الدنيا كما في الحديث المخرج في الصحيحين فهو (الظاهر) فلا يعلوه شيء من مخلوقاته أبداً، فقال: «ولهذا كان مذهب السلف والأئمة أنه مع نزوله إلى سماء الدنيا لا يزال فوق العرش، لا يكون تحت المخلوقات ولا تكون المخلوقات محيطة به قط، بل هو الأعلى العلي في دنوه، القريب في علوه»^(٤).

فالمخلوق إذا نزل من علو إلى سفلى زال وصفه بالعلو وتبدل إلى

(١) درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله (٧ / ١١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٢٣).

(٣) برقم (٢٧١٣).

(٤) درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله (٧ / ١١).



شرح اسم الله: «الظاهر» و«الباطن» ١٠٤

وصفه بالسقوط، وصار غيره أعلى منه، والرب تعالى لا يكون شيء أعلى منه قط بل هو العلي الأعلى، ولا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عباده ويدنو منهم، وينزل إلى حيث شاء ويأتي كما يشاء، وهو في ذلك العلي الأعلى، الكبير المتعالي، علي في دنوه، قريب في علوه.

فهذا وإن لم يتصف به غيره فلعجز المخلوق أن يجمع بين هذا وهذا، كما يعجز أن يكون هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ولهذا قيل لأبي سعيد الخرار: بم عرفت الله؟ قال بالجمع بين النقيضين، وأراد أنه يجتمع له ما يتناقض في حق الخلق^(١).

٢- أن الله تبارك وتعالى محتجب عن الخلق، لا يراه أحد في الدنيا، ولا تدركه الأبصار في الآخرة، ولا تحيط بشيء من علمه إلا بما شاء لنا أن نعلمه عنه، مما وصف به نفسه في كتابه، أو ما وصفه به رسوله ﷺ وهو **سُبْحَانَهُ** مع ذلك ظاهر لخلقه بأفعاله وآياته.

فمن تأمل وتفكر في السموات والأرض والجبال والشمس والقمر وفي هذا الكون العظيم أدرك ذلك، قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس، آية رقم: ٤٠].

قال الشاعر:

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/١٤٩ - ١٥٠).



موسى عن الذرر المنتقلة

وَلَلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدٌ

٣- أن الله تعالى هو العليم ببواطن الأمور وظواهرها يستوي عنده هذا وهذا، قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِيْلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [سورة الرعد، آية رقم: ١٠]، فيستوي عند الله تعالى من هو مخفف في قعر بيته في ظلام الليل، ومن هو سائر في طريقه في بياض النهار وضيائه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: المقصود أن التعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود، ويجعل له ربًّا يقصده وصدماً يصمد إليه في حوائجه، وملجأً يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه ويفر في كل وقت إليه، وأما تعبده باسمه الباطن فأمر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته، ويكُلُّ اللسان عن وصفه، وتصطلم الإشارة إليه، وتجنف العبارة عنه، فإنه يستلزم معرفة بريئة من شوائب التعطيل، ومخلصة من فرث التشبيه، منزهة عن رجس الحلول والاتحاد، وعبارة مؤدية للمعنى كاشفة عنه، وذوقاً صحيحاً سليماً من أذواق أهل الانحراف، فمن رزق هذا فهم معنى اسمه الباطن وصح له التعبد به، وسبحان الله كم زلت في هذا المقام أقدام، وضلت فيه أفهام، وتكلم فيه الزنديق بلسان الصديق، واشتبه فيه إخوان النصارى بالحنفاء المخلصين، لنبو الأفهام عنه، وعزة تخلص الحق من الباطن فيه، والتباس ما في الذهن بما في الخارج إلا على من رزقه الله بصيرة في الحق، ونوراً يميز به بين الهدى والضلال، وفرقاً يفرق به بين الحق والباطل، ورزق مع ذلك اطلاعاً على أسباب الخطأ وتفرق الطرق ومثار الغلط، وكان له بصيرة في الحق والباطل،



شرح اسم الله: «الظاهر» و«الباطن» ١٠٦

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته، وأن العوالم كلها في قبضته، وأن السموات والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقال: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [سورة البروج، آية: ٢٠]، ولهذا يقرن **سُبْحَانَهُ** بين هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين: اسم العلو الدال على أنه الظاهر وأنه لا شيء فوقه، واسم العظمة الدال على الإحاطة وأنه لا شيء دونه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِمُ﴾ [البقرة: ١١٥]، وهو تبارك وتعالى كما أنه العالي على خلقه بذاته فليس فوقه شيء، فهو الباطن بذاته فليس دونه شيء، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه، وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه، وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه، وكل شيء في قبضته وليس شيء في قبضة نفسه، فهذا أقرب لإحاطة العامة.

وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهذا قربه من داعيه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، فذكر الخبر وهو قريب عن لفظ الرحمة وهي مؤنثة إيداناً بقربه تعالى من المحسنين، فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحسنين، وفي الصحيح عن النبي ﷺ

موسى عن الدرر المنتقاة

قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(١)، و«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»^(٢)، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون، وفي الصحيح من حديث أبي موسى أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر، فارتفعت أصواتهم بالتكبير فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَإِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(٣). فهذا قربه من داعيه وذاكره، يعني فأى حاجة بكم إلى رفع الأصوات وهو لقربه يسمعها وإن خفضت، كما يسمعها إذا رُفعت، فإنه سميع قريب، وهذا القرب هو من لوازم المحبة، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر^(٤).

٤- العلم بهذه الأسماء الأربعة ومعانيها له أثر عظيم في دفع الوسوسة ورد كيدها، أشار إلى ذلك حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما فقد أخرج أبو داود عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به، قال: فقال لي: شيء من شك؟ قال: وضحك. قال: ما نجا من ذلك أحد. قال: حتى أنزل الله بِزُجَيْنَ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٦٤) [سورة يونس، آية رقم: ٩٤]، قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ

(١) صحيح مسلم برقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٧٩ / ٥)، والنسائي في المواقيت (٢٧٩، ٢ / ١) (٢٨٠)، والحاكم في المستدرک (٣٠٩ / ١)، وذكره الألباني رحمته الله في صحيح

الجامع (١١٧٣) من حديث عمرو بن عبسة.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٩٩٢)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٠٤).

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص ٢٣ - ٢٤).

شرح اسم الله: «الظاهر» و«الباطن» ١٠٨

وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ [سورة الحديد، آية رقم: ٣] (١) (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٥١١٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح أبي داود (٣/٩٦٢) برقم (٤٢٦٢).

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/١٤١ - ١٦٩).



الكلمة الحادية عشرة:

شرح اسم الله: ﴿الْحَيُّ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتَرٌّ يُحِبُّ الْوَتَرَ» ^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة اسم الحي، قال بعضهم: ورد اسم الحي في كتاب الله خمس مرات، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ^(٢) [سورة آل عمران، الآية رقم: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ ^(٣) [سورة طه، الآية رقم: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ ^(٤) [سورة الفرقان، الآية رقم: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٥) [سورة غافر، الآية رقم: ٦٥].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤١٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٣٩٢).

شرح اسم الله: ﴿الْحَيُّ﴾

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: ومعنى ذلك عندي أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة، عند مجيء أجله، فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهية. والحي الذي لا يموت ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كل من ادعى من دونه إلهًا. واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأن الإله هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى وذلك الله الذي لا إله إلا هو^(١).

وقال الخطابي: ﴿الْحَيُّ﴾ من صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجودًا وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتورهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معًا^(٢)، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص، الآية رقم: ٨٨].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ كامل الحياة والقائم بنفسه، القيوم لأهل السماوات والأرض القائم بتدبيرهم وأرزاقهم وجميع أحوالهم، فالحي: الجامع لصفات الذات، والقيوم: الجامع لصفات الأفعال^(٣).

(١) جامع البيان (٣/ ١٦٧٠).

(٢) شأن الدعاء (ص ٨٠).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٩١).



موسى عز وجل المبتدأ

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم ﴿أَلْحَى﴾:

١- أن الله تبارك وتعالى حي ب حياة هي له صفة، حي أبداً لا يموت والجن والإنس يموتون، بل كل ما على الأرض، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرحمن، الآيتان رقم: ٢٦-٢٧].

فهذا الاسم فيه إثبات صفة الحياة وهي من الصفات الذاتية فحياته **سُبْحَانَهُ** أكمل حياة وأتمها، وتستلزم ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة.

٢- أن حياته **بِحَوْلِ اللَّهِ** منزهة عن مشابهة حياة الخلق فلا يجري عليها الموت أو الفناء، ولا تعترها السنة ولا النوم، والسنة هي النعاس الذي يكون في العين ويسبق النوم، وكلاهما ينافي كمال القدرة والحياة، ولا يصح أن يوصف الله بذلك، وكيف يتصور جريان النوم عليه ولا قيام للسموات والأرض إلا به؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة فاطر، الآية رقم: ٤١].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري **رضي الله عنه** قال: قام فينا رسول الله **ﷺ** بخمس كلمات فقال: «إِنَّ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ** لَا يَنَامُ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١).

(١) برقم (١٧٩).



شرح اسم الله: ﴿الْحَيُّ﴾

فهو **سُبْحَانَهُ** حي قيوم، قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: إن هذين الاسمين يتضمنان جميع الصفات، فاسمه الحي يتضمن جميع الصفات الذاتية من العلم والسمع والبصر والقدرة والعزة والحكمة والرحمة.

واسمه القيوم يتضمن جميع الصفات الفعلية من الخلق والتدبير والإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال والعطاء والمنع والخفض والرفع^(١).

٣- أن الله جل شأنه هو الذي يهب أهل الجنة تلك الحياة الدائمة الباقية التي لا تنفنى ولا تبيد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٤].

٤- يُشرع للمسلم أن يسأل ربه بهذا الاسم، روى الترمذي في سننه من حديث أنس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: أن النبي **ﷺ** كان إذا حزبه أمر قال: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»^(٢).

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: وفي تأثير قوله: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال؛ ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى هو اسم **﴿الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ﴾**. والحياة التامة تضاد جميع الآلام والأسقام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة يُضر بالأفعال، وينافي القيومية، فكمال القيومية

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٦٧٨).

(٢) برقم (٣٥٢٤)، وحسنه الألباني **رَحِمَهُ اللهُ** في السلسلة الصحيحة برقم (٣١٨٢).

موسوعنا الدرر المنتقاة

بكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة كمال البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويُضِر بالأفعال»^(١).

والمقصود أن لاسم ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ تأثيرًا خاصًا في إجابة الدعوات وكشف الكربات.

روى أبو داود في سننه من حديث أنس: أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يصلي ثم دعا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢) (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) زاد المعاد (٤/ ٢٩٢ - ٢٩٤) باختصار.

(٢) برقم (١٤٩٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٢/ ٢٧٩) برقم (١٣٢٦).

(٣) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد النجدي (٢/ ٦٧ - ٧١).





الكلمة الثانية عشرة:

وقفات مع سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قِيلَ أَصْحَبَ الْأَعْدُدِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَنْبُؤُوا لَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [سورة البروج: ١-٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن سمرة: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ والسما والطارق وشبهها»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ هذا قسم من الله تعالى

(١) (٤٩٧/٣٤) برقم (٢٠٩٨٢)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

وقفات مع سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾

١١٦

بالسماوات ذات البروج، والبروج جمع برج وهي المجموعة العظيمة من النجوم، وسميت بروجًا لعلوها وارتفاعها وظهورها وبيانها، وقد تمدح الله بخلقه للبروج فقال ﴿سُبْحَانَكَ﴾: ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿٦١﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٦١].

والبروج عند الفلكيين اثنا عشر وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، جمعها الناظم في قوله:

حَمَلَ الثَّوْرُ جَوْزَةَ السَّرَطَانِ وَرَعَى اللَّيْثُ سُنْبُلَ الْمِيزَانِ
وَرَمَى عَقْرَبُ بِقَوْسٍ لَجْدِي نَزَحَ الدَّلْوُ بِرَكَّةِ الْحِيتَانِ

فهي اثنا عشر برجًا؛ ثلاثة منها للربيع، وثلاثة للصيف، وثلاثة للخريف، وثلاثة للشتاء.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ ﴿٢﴾، أي: وأقسم باليوم الموعود، وهو يوم القيامة باتفاق المفسرين، قال تعالى: ﴿خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [سورة المعارج، الآية: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ ﴿٣﴾، ذكر علماء التفسير في الشاهد والمشهود عدة أقوال يجمعها: أن الله أقسم بكل شاهد وبكل مشهود، والشهود كثيرون منهم محمد رسول الله ﷺ شهيدًا علينا كما قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُولَاءٍ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾ [سورة النساء، الآية: ٤١]، ومنهم هذه الأمة شهداء على الناس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ



موسوع من الدرر المنتقاة

١١٧

هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٣]، وأعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من خير وشر كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ وَآرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٢٤]، ومنهم الملائكة يشهدون يوم القيامة. فكل من شهد بحق فهو داخل في قوله: شاهد، وأعظم شاهد هو الله الشهيد على كل شيء كما ذكر في هذه السورة: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، ويدخل في قوله: ومشهود؛ المشهود عليهم من العباد، كما يدخل في ذلك كل يوم مشهود كيوم الجمعة ويوم عرفة ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ [سورة هود، الآية: ١٠٣] ^(١).

واختلف في جواب القسم فقليل: محذوف تقديره: لتبعثن، والصحيح أن هذا القسم لا يحتاج إلى جواب، لأن المقسم به هو نفسه المقسم عليه، أي: إن هذه الأشياء لعظيمة لأن المراد التنبيه إلى عظمها، وما فيها من الدلالة على قدرته تعالى، وسعة علمه، وصدق وعده وووعيده، ذكر ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ واختاره، ونظيره القسم بالقرآن، وأن القسم به وعليه كما في قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿١﴾ [سورة ص، الآية رقم: ١]، وقوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ﴿١﴾ [سورة ق، الآية رقم: ١].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ ﴿٤﴾ يعني: أهلك، وقيل: القتل هنا بمعنى اللعن وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله. وهم قوم كفار أحرقوا

(١) انظر: بدائع التفسير، ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/١٧٣).



وقفات مع سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾ ١١٨

المؤمنين بالنار وكانوا بنجران في الفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقد اختلفت الرواية في حديثهم، والمعنى متقارب. وقد وردت القصة مفصلة في السنة في الحديث الذي رواه مسلم في خبر الملك، والغلام، والساحر، والراهب (١).

والأخدود هو الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق وجمعه أخاديد.

والمقصود أن هؤلاء الكفار حاولوا بالمؤمنين أن يرتدوا عن دينهم، ولكنهم عجزوا، فحفروا أخدودًا حفرًا ممدودة في الأرض وجمعوا الحطب الكثير وأحرقوا المؤمنين بها والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿الْتَارِدَاتِ الْوُفُودِ ٥﴾ [سورة البروج، الآية رقم: ٥] أي الحطب الكثير المتأرجح، قوله تعالى: ﴿إِذْ هُرِّعَتْهَا فُجُودٌ ٦﴾ جمع قاعد مثل شاهد وشهود، أي لعنوا حين كانوا قاعدين على شفير النار مشرفين على إلقاء المؤمنين فيها، وقد كانوا يخبرون الناس، فمن أجابهم إلى الكفر خلوا سبيله، ومن أصر على الإيمان قذفوه فيها.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧﴾ وهذا أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها ومحاربة أهلها، وتعذيبهم بهذا العذاب الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقاءهم فيها فلا تأخذهم بهم رافة، فهم قساة قلوب غلاظ أكباد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨﴾ أي

(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٥) عن صهيب رضي الله عنه.



موسى عن الذرير المنقلا

ما كرهوا منهم ولا أنكروا عليهم سوى الإيمان بالله، وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، فهي كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [سورة الحج، الآية رقم: ٤٠].

وكقول القائل:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنْ سُيوفهم بهنَّ فلولٍ من قراعِ الكتائبِ.

وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُوا﴾ بلفظ المستقبل مع أن الإيمان وُجد منهم في الماضي، لأن انتقامهم على استمرار المؤمنين على الإيمان وثباتهم عليه، لا على الإيمان الماضي، فكأنه قيل: «إلا أن يدوموا على الإيمان»، وقوله العزيز: أي: القوي الذي لا يغالب، الحميد: أي المحمود على أفعاله وأقواله والمحمود على كل حال، وقدم العزيز على الحميد لأن المقام مقام إنذار.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي خلقاً وملكاً وحكماً، وله ^{بِإِحْتِجَابِ} القدرة التامة على أهل السموات والأرض، ولا مفر لأحد من سلطانه وملكوته، ولذلك آمن به هؤلاء المؤمنون وهانت عليهم أرواحهم في سبيله، لما ينتظرونه عنده من الثواب العظيم والنعيم المقيم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي لا يخفى عليه شيء، وفي هذا وعد للمؤمنين الصابرين، ووعد للكافرين الظالمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي عذبوهم بالإحراق وبسائر صنوف الأذى ليردوهم عن دينهم، ويشمل هذا أصحاب الأخدود وغيرهم من مشركي قريش ومن بعدهم، وذكر المؤمنات للتنبؤ بهن،



وقفات مع سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾ ١٢٠

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: من كفرهم و عما فعلوا بأولياء الله.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ أي: النار في الآخرة.

﴿وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أي: العذاب الشديد الإحراق وذلك أن
الجزء من جنس العمل. قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم
والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح المصدق لإيمانهم،
ولا يكون العمل صالحًا إلا بأن يكون خالصًا لله تعالى، وصوابًا أي على
وفق ما جاءت به الشريعة.

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ أي: بساتين عظيمة فضلًا من الله.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت قصورها وأشجارها، وأنهار
الجنة كثيرة فمنها ما أخبر الله: أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من
خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، فإذا رأى أهل الجنة الجنة
وما فيها مما يسر القلب ويلذ البصر زال عنهم ما مسهم في الدنيا من
التعب والأحزان، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فِيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ
بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ
بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ

موسى عن الذر المنقلا

قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةَ قَطُّ» (١).

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١١) ❖ أي: العظيم الذي لا فوز يدانيه لأن فيه النجاة من كل مرهوب وحصول كل مطلوب، والجنة فيها كل مطلوب، وقد زال عنها كل مرهوب، فلا يذوقون فيها الموت ولا المرض، ولا السقم، ولا الهم، ولا النصب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢) ❖ أي: إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوة المتين، الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِيءٌ وَيُعِيدُهُ﴾ (١٣) ❖ أي: من قوته وقدرته التامة يبدى الخلق ثم يعيده بعد العدم ثم يعيده يوم القيامة بعد فناءه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [سورة الروم، الآية: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (١٤) ❖ أي: كثير المغفرة لذنوب عباده فيسترها ويتجاوز عنها.

﴿الْوَدُودُ﴾: أي عظيم المحبة لأوليائه، فيحبهم ويحبونه، فالودود هو المحب المحبوب، بمعنى واد ومودود، والود خالص المحبة.

قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (١٥) ❖ أي: صاحب العرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأحسنها، ولذا خصه بالذكر وأضافه إليه ﴿سُبْحَانَكَ﴾، وهو فوق السموات كالقبة وعليه استوى الرب

(١) برقم (٢٨٠٧).



موسى عز الدين المتقاة

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ (٢١) ❖ أي: عظيم كريم، كثير الخير والبركة.

قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (٢٢) ❖ أي: هو في الملاء الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الثالثة عشرة:

فوائد من سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد اشتملت سورة البروج على فوائد جمة، فمن ذلك:

١- أن السماء وما فيها من البروج وهي النجوم أو منازل الشمس والقمر من أعظم الآيات الدالة على قدرة الله عز وجل وحكمته؛ وهذا هو سر القسم بها.

٢- التنبيه إلى أن اليوم الموعود حق، وأنه آت لا محالة، وذلك للقسم به، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة القيامة، آية رقم: ١].

٣- أن الله قد يسلط أعداءه على أوليائه، فلا تستغرب إذا سلط الله الكفار على المؤمنين فقتلوهم وحرقوهم. فالله تعالى له في هذا حكمة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [سورة محمد، الآية: ٤]. والمصابون من المؤمنين أجرهم عند الله عظيم، رفعة لدرجاتهم، وتكفيراً لسيئاتهم، وهؤلاء الكفار المعتدون أملى لهم الله مكرًا بهم، واستدرأجًا لهم، وسيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، والباقون لهم عبرة وعظة فيما حصل لإخوانهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ



فِيهِ الْأَبْصَرُ ﴿٤٢﴾ ﴿سورة إبراهيم، الآية: ٤٢﴾.

٤- أن هؤلاء الكفار لم ينقموا على المسلمين إلا شيئاً واحداً، وهو أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد، وهذا ليس بذنب، بل هذا هو الحق، ومن أنكره فهو الذي يُنكر عليه»^(١).

٥- لعن الله للكافرين الظالمين، وهو معنى قُتل في قوله تعالى: ﴿قِيلَ أَضْحَبُ الْأَخْدُودِ﴾ ﴿٤﴾ أي لعن، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

٦- أن النار أعظم ما يُعذب به، ولذا حرم في الإسلام التعذيب بالنار، فلا يعذب بالنار إلا ربها^(٢).

٧- قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «قال علماؤنا: أعلم الله ﷻ المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ما كان يلقاه من وُحْدِ الله قبلهم من الشداد يؤنسهم بذلك، وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره، وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه من أجل إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا عن دينهم، وإن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى، قال الله تعالى عن لقمان الحكيم: ﴿يَبْنِيْ أَقْرِمٍ

(١) تفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، (ص ١٣٠ - ١٣١) بتصرف.

(٢) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده للشيخ عبدالرحمن البراك رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٣٢).



موسوع الدرر المنتقاة

١٢٧

الصَّلَاةَ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ .

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةً عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(١).

وروى ابن ماجة في سننه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم أَنْ: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعَتْ وَحُرِّفَتْ...»^(٢).

ولقد امتحن كثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل، والصلب، والتعذيب الشديد، فصبروا ولم يلتفتوا إلى شيء من ذلك، ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما، وما لقوا من الحروب والمحن، والقتل، والأسر، والحرق»^(٣).

٨- من الأصرار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة أنه لا رخصة لمن أكره منهم أن يتكلم بالكفر، وقد وضع الله ذلك عن هذه الأمة فقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٠٦) [سورة النحل، الآية رقم: ١٠٦] وهذا من محاسن هذا الدين وسماحته.

(١) برقم (٢١٧٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٢/٢٣٤) برقم (١٧٦٦).

(٢) برقم (٤٠٣٤)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجة (٢/٣٧٤) برقم (٣٢٥٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ١٩١-١٩٣).



﴿ فَوَائِدُ مِنْ سُورَةِ: ﴿الْبُرُوجِ﴾ ﴾

١٢٨

٩- أن المرء كلما كان أعظم إيمانًا كان بلاؤه أعظم، ولذلك تعرض أنبياء الله للقتل كيحيى وزكريا وغيرهم، على أيدي اليهود وغيرهم من الكفرة الفجرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿سورة آل عمران، الآية: ١٨١﴾.

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»^(١) «^(٢)».

١٠- حلم الله العظيم على عباده، فمع أنهم قتلوا أوليائه وأحبابه وأحرقوهم بالنار، إلا أنه يدعوهم إلى التوبة، قال الحسن البصري رضي الله عنه: «انظروا إلى هذا الكرم والجود! قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة»^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [سورة البروج، الآية: ١٠].

«١١- إن في ذكر فرعون وشمود فائدتان:

الأولى: تسلية النبي ﷺ وتقويته، وأن الذي نصر رسله من قبل سوف

(١) برقم (٢٣٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده للشيخ عبد الرحمن البراك رضي الله عنه (ص ١٣٠-١٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير رضي الله عنه (١٤ / ٣١٢).



موسى عن الذرر المنقلا

يؤيده وينصره ويعززه، وهذا لا شك أنه يقوي العزيمة ويشحذ الهمم في الدعوة إلى الله وتبليغ رسالاته.

الثانية: تهديد ووعيد شديد لكفار لقريش الذين كذبوا رسول الله ﷺ ووقفوا له بالمرصاد، وأنهم ليسوا أشد قوة من فرعون وشمود ومع ذلك أصابهم الدمار والهلاك ووقع عليهم كلمة العذاب^(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وإنما خص فرعون وشمود، لأن شمود في بلاد العرب، وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين، وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك؛ فدل بهما على أمثالهما في الهلاك، والله أعلم^(٢).

١٢- في قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قيل: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ لكفرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا لإحراقهم المؤمنين بالنار، وقد تقدم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما. وقيل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي ولهم في الآخرة عذاب زائد على عذاب كفرهم بما أحرقوا المؤمنين.

وقيل: لهم عذاب الجحيم وعذاب الحريق، والحريق اسم من أسماء جهنم كالسعير، والنار دركات وأنواع ولها أسماء، وكأنهم يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق؛ فالأول

(١) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٤٤-١٤٥).

(٢) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٢٢ / ١٩٨).



عذاب بيردها والثاني عذاب بحرهما»^(١).

١٣- في قوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ فأضاف العرش إلى نفسه كما تضاف إليه الأشياء العظيمة الشريفة، وهذا يدل على عظمة العرش، وقربه منه **سُبْحَانَهُ** واختصاصه به، بل يدل على غاية القرب والاختصاص، كما يضيف إلى نفسه «بذو» صفاته القائمة به كقوله ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٨]، و﴿ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٧٨]، ويقال: «ذو العزة، وذو الملك، وذو الرحمة.. ونظائر ذلك»، فلو كان حظ العرش منه حظ الأرض السابعة لكان لا فرق أن يقال: ذو العرش، وذو الأرض»^(٢).

١٤- في قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [١٠٧] ﴿إِنْ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ فَعَلَهُ لَا رَادَ لَأَمْرِهِ وَلَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ، وَمَا فَعَلَهُ فَقَدْ أَرَادَهُ؛ بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ، وَيَفْعَلُ مَا لَا يُرِيدُ، فَمَا تَمَّ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ.

١٥- أن كفار قريش لم ينتفعوا بما جاءهم من أنباء الأمم قبلهم الذين أهلکوا بتكذیبهم لرسول الله، بل هم مغرِقون في التکذیب اتباعاً لأهوائهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِدُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر، الآية رقم: ٥٦].

(١) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٢٢ / ١٩٥).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٥ / ١٧٢ - ١٧٣).



موسى عز الذرر المنتقلة

١٦- أن من أبلغ المواعظ قصة ثمود قوم صالح وقصة فرعون وما جرى عليهم من الإهلاك بالصيحة وبالغرق، وقد جاء ذكرهما في مواضع كثيرة من القرآن ليتعظ بذلك من أراد الاعتبار بما جرى لهما.

١٧- أن القرآن عظيم القدر، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ. والمراد باللوحة المحفوظ الكتاب الأول الذي هو أم الكتاب.

١٨- أن اللوح محفوظ لا يمسه إلا الملائكة المطهرون لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ - ٧٩].

١٩- إحاطة قدرة الله وعلمه بالكافرين وبكل شيء، قال تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الطلاق، الآية رقم: ١٢] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير جزء عم للشيخ عبدالرحمن البراك رَحِمَهُ اللهُ (١٤١ - ١٤٢).





الكلمة الرابعة عشرة:

شخصية: «المسلم»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم .

أقسم الله تعالى في هذه السورة بالعصر؛ وهو الزمن كله. وإقسام الله تعالى بشيء من مخلوقاته دليل على أهميته أو عظمته، وإقسامه سبحانه وتعالى بالعصر لما يجري فيه من الحوادث والمتغيرات، وأنه مستودع أعمال العباد خيرها وشرها، والمقصود بالإنسان جنس الإنسان فيشمل جميع الناس أنهم في خسارة إلا ما استثنى، والمستثنى غالباً يكون أقل من المستثنى منه، ثم بين تعالى الصفات التي من اتصف بها سلم من الخسارة وكان من الفائزين وهي أربعة أركان:

الأول: الإيمان، ولا يكون العبد مؤمناً حتى يكون مسلماً. وأركان الإسلام الظاهرة خمسة وهي:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج بيت الله الحرام.



أما أركان الإيمان فهي ستة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. ولا ينفع العبد إيمانه إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون الإيمان خالصاً لله تعالى لا يناقضه كفر ولا يخالطه شرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ٨٢]، ومعنى يلبسوا أي يخالطوا، وقد ذم الله تعالى من كان كذلك فقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية رقم: ١٠٦].

فالعبد قد يجتمع فيه الإيمان والشرك وحينئذ لا ينفعه إيمانه حتى يكون خالصاً سالمًا من شوائب الشرك والكفر.

الشرط الثاني: ألا يخالف باطنه ظاهره كحال المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون، الآية رقم: ١].

الشرط الثالث: أن يثبت على هذا الإيمان حتى يأتيه الموت وهو عليه.

الركن الثاني: العمل الصالح، وقيد العمل هنا بالصالح؛ فإن العمل وإن تقرب به العبد إلى ربه فإنه لا يقبل حتى يكون صالحًا، والصالح هو الذي جاء على وفق مراد الله ورسوله، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وقال ﷺ: «فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢).

الركن الثالث: التواصي بالحق، وهو الدعوة إلى الله ﷻ والأمر

(١) صحيح مسلم برقم (١٧١٨) حديث عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٣)، وصحيح مسلم برقم (١٤٠١).



موسى عن الذر المنقاة ١٣٥

بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يعذر أحد في فعل الحد الأدنى منه، ولا يوجد مسلم إلا وقد أخذ بنصيبه من ذلك فمستقل ومستكثر، فما من مسلم يموت وهو لم يأمر بخير ولم ينه عن شر بدءاً من أهله إلى ما شاء الله من الناس.

أما الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يقوم بها إلا الخاصة من المسلمين ممن آتاه الله رسوخ في العلم وقوة في القلب، لحاجتها إلى مجادلة أهل الباطل وإقامة الحجة عليهم من أهل الشوكة والقوة. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٠٤]، وأنصح أن لا يتصدى لذلك من كان قليل العلم ضعيف القلب، لأنه إن فعل ذلك وهو ليس أهلاً له عاد بالضرر على نفسه وعلى الدعوة وأهلها. وفي قصص الأنبياء إبراهيم وموسى عليهم السلام وكذلك في سيرة نبينا ﷺ ما يبين ما ذكرت على وجه التفصيل، فعلى المسلم أن يكون على بصيرة كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية رقم: ١٠٨].

الركن الرابع: التواصي بالصبر، فمن خالط الناس ودعاهم إلى الخير وأمرهم به ونهاهم عن المنكر فلا بد أن يؤذى، وحينئذ عليه أن يصبر كما قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ أَكْبَرُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»^(١).

(١) سنن الترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢) واللفظ له. وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن الترمذي (٣٠٦/٢)، برقم (٢٠٣٥).

وقال الله لنبية ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ﴾
[سورة الأحقاف، الآية رقم: ٣٥]، وقال تعالى له: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُوكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة يونس، الآية رقم:
١٠٩].

وقد بين تعالى مراحل الدعوة في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ١١٠].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة عشرة:

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة المؤمنون].

«اختلف العلماء في المراد بالحق في هذه الآية، فقال بعضهم: الحق: هو الله تعالى، ومعلوم أن الحق من أسمائه الحسنى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [٢٥] وقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾، وكون المراد بالحق في الآية هو الله عزاه القرطبي للأكثرين، وممن قال به: مجاهد، وابن جريج، وأبو صالح، والسدي، وروي عن قتادة، وغيرهم.

وعلى هذا القول فالمعنى: لو أجابهم الله إلى تشريع ما أحبوا تشريعه، وإرسال من اقترحوا إرساله بأن جعل أمر التشريع وإرسال الرسل ونحو ذلك تابعا لأهوائهم الفاسدة لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، لأن أهواءهم الفاسدة وشهواتهم الباطلة لا يمكن أن تقوم عليها السماء والأرض، وذلك لفساد أهوائهم واختلافها. فالأهواء الفاسدة المختلفة



وقفات مع قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ﴿١٣٨﴾

لا يمكن أن يقوم عليها نظام السماء والأرض ومن فيهن، بل لو كانت هي المتبعة لفسد الجميع.

من الآيات الدالة على أن أهواءهم لا تصلح لأن تكون متبعة قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٢١﴾ لأن القرآن لو أنزل على أحد الرجلين المذكورين، وهو كافر يعبد الأوثان فلا فساد أعظم من ذلك. وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿ أَهْمَرِيقِسْمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ ﴿١٠٠﴾، وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ ﴿٥٣﴾. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ففي هذا كله تبين عجز العباد، واختلاف آرائهم وأهوائهم، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتدييره لخلقه، سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

ومما يوضح أن الحق لو اتبع الأهواء الفاسدة المختلفة لفسدت السموات والأرض ومن فيهن قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ فسبحان الله رب العرش عما يصفون.

القول الثاني: أن المراد بالحق في الآية: الحق الذي هو ضد الباطل المذكور في قوله: ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ وهذا القول الأخير اختاره ابن عطية، وأنكر الأول.

وعلى هذا القول فالمعنى: أنه لو فرض كون الحق متبعاً لأهوائهم التي هي الشرك بالله، وادعاء الأولاد والأنداد له، ونحو ذلك لفسد كل شيء؛ لأن هذا الفرض يصير به الحق هو أبطل الباطل، ولا يمكن أن يقوم نظام السماء والأرض على شيء هو أبطل الباطل؛ لأن استقامة نظام هذا



موسوع عن الذرر المتبقلة

١٣٩

العالم لا تمكن إلا بقدرته وإرادة إله هو الحق منفرد بالتشريع، والأمر والنهي، كما لا يخفى على عاقل، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿بَلْ آتَيْنَهُمْ بَذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٧١﴾.

اختلف العلماء في الذكر في الآية، فمنهم من قال: ﴿ذِكْرِهِمْ﴾ فخرهم وشرفهم؛ لأن نزول هذا الكتاب على رجل منهم فيه لهم أكبر الفخر والشرف، وعلى هذا فالآية كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ على تفسير الذكر بالفخر والشرف. وقال بعضهم: الذكر في الآية: الوعظ والتوصية، وعليه فالآية كقوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿٥٨﴾. وقال بعضهم: الذكر هو ما كانوا يتمنونونه في قولهم: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ وعليه فالآية كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾، وعلى هذا القول فقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤٢﴾ الآية كقوله هنا، فهم عن ذكرهم معرضون، وكقوله: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، والآيات بمثل هذا على القول الأخير كثيرة، والعلم عند الله تعالى»^(١).

ومن فوائد الآية الكريمة:

- ١- أن الأهواء الفاسدة المخالفة للحق يعم فسادها جميع المخلوقات من جماد وحيوان وإنسان، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [سورة المؤمنون، الآية رقم: ٧١].
- وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٥ / ٨٧٨-٨٨٠).



وقفات مع قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [سورة الروم، الآية رقم: ٤١]، وقال ﷺ: «العبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب»^(١) - يعني إذا مات - الحديث.

٢- أنزل الله على خلقه الوحي وركب فيهم الهوى وأمر باتباع الوحي ونهاهم عن اتباع الأهواء، وهذا هو الاختيار الذي من أجله خلق الخلق فجاج وهالك وما ربك بظلام للعبيد. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ [سورة الجاثية، الآيتان رقم: ١٨، ١٩].

٣- أن الهوى أصل كل بدعة، قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ [سورة الفرقان، الآية رقم: ٤٣].
والبدعة في كل باب هي أعظمها شراً وأكثرها خطراً، ذلك أن صاحبها لا يتوب منها ما دام الهوى هو إمامه.

٤- كل الناس ناج إلا صاحب الهوى لأنه لا ينقاد إلى الحق ولو أنه أوضح من شمس النهار، قال تعالى: ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ [سورة النمل، الآية رقم: ١٤]،
وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَنبَغٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ [سورة محمد، الآية رقم: ١٤].

كثيراً ما يزاحم الهوى الحق في الحكم بالعدل، قال تعالى لنبيه داود ﷺ: ﴿ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥١٢).

موسى على الدرز المنقاة

شديد بما نسوا يوم الحساب ﴿٦٦﴾ [سورة ص، الآية رقم: ٢٦].

٥- قد يتبع المرء الحق لا لأنه حق ولكن لموافقته لهواه، وهذا لا ينفعه حتى يتبع الحق فيما وافق هواه وخالفه، قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ [سورة النور، الآيات رقم: ٤٨-٥٠]. والمرض هنا هو الهوى وهو على نوعين: مرض الشهوات ومرض الشبهات، والثاني أشدهما ضرراً وأكثرهما فساداً.

٦- أن في اتباع الحق صلاح للعالم بأسره في دينه ودنياه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة السادسة عشرة:

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ بَلْ نَقِّذُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقِّذُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [سورة الأنبياء، الآية رقم: ١٨].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: يخبر تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإن كل باطل قيل وجُودل به، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان ما يدمغه فيضمحل ويتبين لكل أحد بطلانه، فإذا هو زاهق أي مضمحل فان. وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولا نقلية في إحقاق باطل أو رد حق إلا وفي أدلة الله من القواطع العقلية والنقلية ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه، فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد، وهذا يتبين باستقراء السائل مسألة مسألة، فإنك تجدها كذلك، ثم قال: ولكم أيها الواصفون الله بما لا يليق به من اتخاذ الولد والصاحبة ومن الأنداد والشركاء حظكم من ذلك ونصيبيكم، الذي تدركون به الويل والندامة والخسران، ليس لكم مما قلتم فائدة، ولا يرجع عليكم بعائدة تؤملونها، وتعملون لأجلها، وتسعون في الوصول



وقفات مع قوله تعالى:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ [١٤٤]

إليها، إلا عكس مقصودكم وهو الخيبة والحرمان^(١)، والآيات في هذا المعنى كثيرة ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٨١]
[سورة الإسراء، الآية رقم: ٨١].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: الحق في لغة العرب: الثابت الذي ليس بزائل ولا مضمحل، والباطل: هو الذاهب المضمحل. والمراد بالحق في هذه الآية: هو ما في هذا القرآن العظيم والسنة النبوية من دين الإسلام، والمراد بالباطل فيها: الشرك بالله، والمعاصي المخالفة لدين الإسلام.

وقد بين بِحَوْلِهِ في هذه الآية الكريمة: أن الإسلام جاء ثابتاً راسخاً، وأن الشرك بالله زهق؛ أي: ذهب واضمحل وزال. تقول العرب: زهقت نفسه: إذا خرجت وزالت من جسده.

ثم بين بِحَوْلِهِ أن الباطل كان زهوقاً، أي: مضمحلاً غير ثابت في كل وقت. وقد بين هذا المعنى في غير هذا الموضوع. وذكر أن الحق يزيل الباطل ويذهبه؛ كقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلْمُ الْغُيُوبِ ﴾ [٤٨] قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدْئِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ [٤٩] ، وقوله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ الآية.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دخل النبي ﷺ مكة، وحول البيت ستون وثلاث مئة نُصِبَ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

(١) تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ (ص ٦٨١).



موسى عز الدين المنقلا

زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيءُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾ (١).

وأخرج الطبراني في الصغير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا؛ قد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص؛ فجاء ومعه قضيب فجعل يهوي إلى كل صنم منها فيخر لوجهه فيقول: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ حتى مر عليها كلها (٢).

وقال القرطبي رحمته الله في تفسير هذه الآية: وفي هذه الآية دليل على كسر نصب المشركين وجميع الأوثان إذا غلب عليهم، ويدخل بالمعنى كسر آلة الباطل كله، وما لا يصلح إلا لمعصية الله كالطنابير والعيدان والمزامير التي لا معنى لها إلا اللهو بها عن ذكر الله (٣).

ومن فوائد الآية الكريمة:

١- دلت الآية الكريمة وغيرها من الآيات على أنه لا يوجد حق إلا وفي القرآن ما يؤيده ويبينه، ولا يوجد باطل إلا وفي القرآن من الأدلة ما يبطله ويقمعه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ [سورة الفرقان، الآية رقم: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٨٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧٨١).

(٢) معجم الطبراني (١٠/ ٢٧٩) برقم (١٠٦٥٦)، وقال في معجم الزوائد (٦/ ١٧٦): رجاله ثقات. ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١١-٢١٢)، وقال:

هذا حديث غريب من حديث علي بن عبد الله، تفرد به محمد بن إسحاق.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي رحمته الله (٣/ ٧٣٥-٧٣٧).



وقفات مع قوله تعالى:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ [سورة الشورى، الآية رقم: ٢٤].

٢- في الآيات الكريمت تعليم لأهل الحق عند مجادلة أهل الباطل، وذلك بأن يتركهم يلقون ما لديهم من الشبهات، فإذا امتلأت قلوبهم بالإعجاب بما ألقوه ألقى عليهم ما معه من الحق فدمغه به. وقد جاء ذلك صريحاً في المناظرة التي جرت بين موسى عليه السلام وفرعون وسحرته، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ [١١٥] قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ [١١٦] وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ [١١٧] فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١١٨] ﴾ [سورة الأعراف، الآيات رقم: ١١٥-١١٨].

وكذلك في مناظرة إبراهيم عليه السلام وغيرها، ويلحق بذلك المناظرات في المسائل الفقهية، فإنك تترك الخصم يحزر محل النزاع حتى لا تذهب الحجج والأدلة التي تأتي بها على غير محلها. ومن ذلك أيضاً ما جرى عليه القضاة من أن المدعي يجب عليه تحرير دعواه، فإن كانت باطلاً فإن المدعي عليه يسهل عليه ردها وإبطالها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السابعة عشرة

«المرأة الصالحة»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَلِحَتْ قَنِينَتْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَنَّكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٣٤].

قوله: ﴿فَأَلْصَلِحَتْ قَنِينَتْ﴾ في تفسيرها قولان:

أحدهما: أن المرأة الصالحة هي المداومة على صلاحها، فالقنوت هو الدوام ويشمل ذلك صلاحها بطاعة ربها وطاعة زوجها.

والثاني: أن قانتات صفة للصالحات على معنى أن الصالحة هي الطائعة لزوجها، وتكون الآية خاصة بذكر صفات المرأة في تعاملها مع زوجها. وعلى هذا المعنى يكون في الآية صفتين للمرأة لا يكون الصلاح إلا بهما.

إحدهما: طاعة زوجها، نقل ذلك ابن كثير عن ابن عباس في تفسيره للقنوت.



وثانيهما: أن تكون حافظة للغيب، ويشهد لهذا المعنى أن ظاهر سياق الآية في النساء ذوات الأزواج ولذلك قال في آخرها : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ .

وقد جاءت السنة ببيان ذلك وإيضاحه لما له من أهمية عظيمة في صلاح المجتمعات وبنائها بناءً سليماً ثابتاً لا تزعزع الشبهات ولا الشهوات، فروى ابن جرير في تفسيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « خَيْرُ النِّسَاءِ امْرَأَةٌ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرَتْهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا غَبَّتَ عَنْهَا حَفِظْتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ »، ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ .. الآية (١).

قال ابن جرير الطبري رحمته الله: وهذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على صحة ما قلنا في تأويل ذلك وأن معناه صالحات في أديانهن، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في أنفسهن وأموالهم (٢). في هذا الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم أن خير النساء من اتصفت بهذه الصفات.

فالأولى: أنها تسر زوجها إذا نظر إليها، إن سرور النفس مطلب لكل أحد يفرح به ولو لم يحصل إلا في بعض الأحيان فكيف به إذا كنت تراه في جميع زوايا بيتك، وفي مدخلك، ومخرجك وحال نومك، واستيقاظك، إنها نعمة عظيمة ما أجل قدرها وما أعظم خيرها.

(١) (٣/ ٢٢٩١) برقم (٩٣٤٠)، وذكر الألباني رحمته الله له شواهد. انظر: السلسلة الصحيحة برقم (١٨٣٨).
(٢) جامع البيان (٣/ ٢٢٩١).



موسم الدرر المنتقاة

١٤٩

والثانية: أن تطيع زوجها فيما يأمرها به.

والثالثة: أن تحفظه في نفسها وماله، وهاتان الصفتان هما المذكورتان في الآية المتقدمة.

والطاعة هنا ليس طاعة استعباد كما يفسر ذلك بعض الحاقدين على الإسلام وأهله بل هي طاعة محبة وثقة.

أما عن الصفة الثانية: فإن القلق والوساوس التي تصيب الزوج حال غيابه عن زوجته وولده وماله يزول بالمرأة الصالحة ويحل مكانه الراحة والاطمئنان، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(١).

إن جميع متاع الدنيا ينعكس عند التقلبات، أما المرأة الصالحة فإن الشدائد لا تزيدها إلا حسناً ولهذا كانت خير متاع الدنيا. وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث سعد رضي عنه: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»^(٢).

فهذه أربعة أركان للسعادة التي يسعى إليها كل إنسان إلا أنها لا تكتمل إلا بالمرأة الصالحة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي عنه قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا: فأى المال نتخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم ذلك لكم، فأوضع على بعيه فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في أثره فقال: يا رسول الله! أي المال نتخذ؟ فقال: «لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ قَلْبًا

(١) برقم (١٤٦٧).

(٢) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٢١).



شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً، تُعِينُ أَحَدَكُمُ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: المرأة الصالحة تكون في صحبة زوجها الرجل الصالح سنين كثيرة وهي متاعه الذي قال فيها رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعُهَا الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ، إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا أَعْجَبْتَكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِنْ غَبَّتْ عَنْهَا حَفِظْتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ»^(٢).

وهي التي أمر بها النبي ﷺ في قوله لما سأله المهاجرون: أي المال نتخذ؟ فقال: «لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، أَوْ امْرَأَةً صَالِحَةً تُعِينُ أَحَدَكُمُ عَلَى إِيمَانِهِ»^(٣)، يكون منها من المودة والرحمة ما امتن الله تعالى بها في كتابه، فيكون ألم الفراق أشد عليها من الموت أحيانًا، وأشد من ذهاب المال وأشد من فراق الأوطان، خصوصًا إن كان بأحدهما علاقة من صاحبه أو كان بينهما أطفال يضيعون بالفراق ويفسد حالهم^(٤).

تنبيه: إن الله تعالى من رحمته خفف عن المرأة أمور العبادة رحمة منه وفضلًا، فلم يلزمها بحضور الجمعة والجماعات ولا الجهاد ولا غيرها من الأمور العامة وما ذاك إلا لتتفرغ لبيتها والقيام بأمور زوجها وأولادها. فقال ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا؛ قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الَّتِي شِئْتَ»^(٥).

(١) (١١٠/٣٧) برقم (٢٢٤٣٧) وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) سبق تخريجه ص (١٤٨).

(٣) سبق تخريجه ص (١٤٩).

(٤) الفتاوى (٢٩٩/٣٥).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣/١٩٩) برقم (١٦٦١)، وقال محققوه: حسن لغيره.



موسوعنا الدرر المنتقاة

وهذا ما فهمته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان يكون علي الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل من رسول الله - أو برسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١).

والنساء اللاتي عرفن هذه الحقيقة وعملن بها خرج من تحت أيديهن رجال ملأوا التاريخ علمًا وذكراً صالحًا، وصح ما قيل أن كل وراء رجل عظيم امرأة.

ومما يؤسف له أن بعض النساء ممن يردن الخير لم يفهمن هذه الحقيقة، أو تجاهلن العمل بها وقضين الأوقات في أمور لا شك أنها من الخير؛ لكنهن تركن ما هو أوجب وأعظم! فما أدري أيردن دخول الجنة من باب غير أبواب الجنة الثمانية؟

فالوصية للنساء المؤمنات أن يعتنين بأزواجهن وأولادهن وبيوتهن ويستيقن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: «إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ..» الحديث ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٩٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١١٤٦).

(٢) سبق تخريجه ص (١٥٠).





الكلمة الثامنة عشرة:

تأملات في قول النبي ﷺ: «أمك ثم أمك»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» (١).

قال ابن بطال: ومقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها ثم تشارك الأب في التربية. وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنِ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامِينَ﴾، فسوى بينهما في الوصاية وخص الأم بالأمور الثلاثة.

«قال القرطبي رحمته الله: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتقدم في ذلك على حق الأب عند المزاحمة، وقال عياض: وذهب الجمهور إلى أن الأم تفضل في البر على الأب، وقيل: يكون برهما سواء، ونقله بعضهم عن مالك، والصواب الأول.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٧١)، وصحيح مسلم (٢٥٤٨).



■ ————— ■ ١٥٤ ■ ————— ■ تأملات في قول النبي ﷺ: «أمك ثم أمك»

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وأشار ابن بطال إلى أن الترتيب حيث لا يمكن إيصال البر دفعة واحدة وهو واضح. ويؤيد تقديم الأم حديثُ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءٌ، وَتُدِّي لَهُ سِقَاءً، وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي»^(١).

فتوصلت لاختصاصها به باختصاصها في الأمور الثلاثة^(٢).

مسألة: إذا أمره أحد الوالدين بأمر وأمره الثاني بعكسه، فما هو الموقف الصحيح؟

الجواب: أن هذا يختلف باختلاف الحالات:

الحالة الأولى: إن كان الولد (ابن أو بنت) يمكنه إرضاء الطرفين ففي هذه الحالة يرتفع الإشكال.

الحالة الثانية: أن يكون الشيء المأمور به من اختصاص الرجال فيقدم الأب، مثال ذلك: أن ينزل بهم ضيف فيقول الأب: العشاء كذا، وتأمّر الأم بخلافه فالمتقدم هو الأب ما لم يكن بخيلاً أو لا يحسن التصرف فلا يعطي الضيافة حقها.

مثال آخر: إذا ركبوا مع ابنتهما في السيارة فالأحق بالمرتبة الأولى هو الأب.

الحالة الثالثة: أن يكون الأمر المختلف فيه من اختصاص النساء فتقدم

(١) سنن أبي داود برقم (٢٢٧٦)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٣٠) برقم (١٩٩١).
(٢) فتح الباري (١٠/٤٠٢-٤٠٣) باختصار.



موسوع الدرر المنتقاة ١٥٥

الأم، مثل اختيار أثاث مجلس النساء، أو أدوات المطبخ ونحو ذلك.

الحالة الرابعة: «أن يكون في أمر أحدهما مصلحة وأمر الآخر لا مصلحة فيه وإنما مجرد التعنت، ففي هذه الحالة يقدم ما فيه المصلحة.

الحالة الخامسة: أن يكون أحدهما أشد حاجة من الآخر لخدمة ولدهما ولا يمكنه القيام بهما جميعاً فالمقدم من يكون أشد ضرراً وأشد حاجة»^(١). وقس على ما تقدم ما يقع من الحالات وفقك الله لبرهما ورزقك صالح دعائهما.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التعليق على صحيح البخاري (١٣/٨-٩) للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بِتصرف.





الكلمة التاسعة عشرة :

«التقليد»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴿١١٦﴾ إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴿١١٧﴾﴾ [سورة الأنعام، الآيتان رقم: ١٦-١٧].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى لنبية محمد ﷺ محذراً عن طاعة أكثر الناس: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم وعلومهم؛ فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق ولا إيصال لسواء الطريق، بل إن غايتهم أنهم يتبعون الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً، ويتخرصون في القول على الله بما لا يعلمون.

ومن كان بهذه المثابة، فحري أن يُحذَّر الله منه عباده ويصف لهم أحواله، لأن هذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ، فإن أمته أسوة له في سائر الأحكام التي ليست من خصائصه، والله تعالى أصدق قيلاً وأصدق حديثاً، ﴿هو أعلم من يضل عن سبيله﴾ وأعلم بمن يهتدي ويهتدي، فيجب عليكم أيها المؤمنون أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه، لأنه أعلم بمصالحكم وأرحم بكم من أنفسكم.



ودلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عددًا الأعظمون عند الله قدرًا وأجرًا، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل بالطرق الموصلة إليه^(١).

وفي الحديث «لَا تَكُونُوا إِمْعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»^(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: والواجب على المسلم أن يعتز بدينه ويفتخر به وأن يقتصر على ما حد له الله تعالى ورسوله ﷺ، في هذا الدين القيم الذي ارتضاه الله -تعالى- لعباده، فلا يزيد فيه ولا ينقص منه. والذي ينبغي للمسلم أيضًا ألا يكون إمعة يتبع كل ناعق، بل ينبغي أن تكون شخصيته بمقتضى شريعة الله -تعالى- حتى يكون متبوعًا لا تابعًا، وحتى يكون أسوة لا متأسيا، لأن شريعة الله -والحمد لله- كاملة من جميع الوجوه كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٣]^(٣).

ومما تقدم يتبين أن من الأخطاء المنتشرة عند كثير من الناس تقليد

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٣٢٤).
 (٢) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٧) وقال الترمذي: هذا حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في ضعيف الترمذي (ص ٢٦٦) برقم (٣٤٥)، وصححه ضمن قول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
 (٣) فتاوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٣٠١-٣٠٢).

موسوعتنا الدرر المنتقاة

١٥٩

بعضهم بعضاً بدون علم ومعرفة للحق، سواء في أمور الدين أو الدنيا، ولا أقصد التقليد الذي يقصده الفقهاء في معرفة الأحكام، وأن يتبع العامي من يثق بعلمه ودينه فهذا أمر آخر.

ولذلك ينبغي للإنسان العاقل أن يتثبت في أموره سواء ما يتعلق بأمور الدنيا والعادات والتقاليد أو أمور الدين والأحكام الشرعية، وأن يستعمل عقله ولا يكون إمعة يتبع الناس ويقلدهم في كل صغيرة وكبيرة فإن هذا من الحمق ونقصان العقل.

ومن الأمثلة التي تدل على ذم التقليد والعواقب الوخيمة التي تنتج عن ذلك ما قاله عمرو بن العاص رضي الله عنه - وهو من دهاة العرب المشهورين بالذكاء والعقل السديد- عندما قال له أحدهم: إنك في هذه البلاغة والفصاحة والرأي الفاضل كنت تأتي حجراً فتعبده.

فقال له: والله لقد كنت أجالس أقواماً تزن حلومهم الجبال الرواسي، ولكن ما قولك في عقول كادها خالقها ^(١) ^(٢).

مسألتان:

المسألة الأولى: نبتت في هذا العصر نابتة خبيثة ممن يدعون الإسلام وهم يسعون إلى هدمه، ويلقون بالشبه على شباب المسلمين ذكوراً وإنثاءً. ومن ذلك تردادهم بعبارة خبيثة وهي قولهم: لا تسلم عقلك، وهم يريدون بذلك أن يفهم المسلم دينه -سواء في إيمانه بربه أو عبادته له أو في المعاملات الجارية بين الناس وما يحل وما يحرم- وفق هواه

(١) أي: أرادها بسوء.

(٢) غريب الحديث (٢/٤٨٦)، والنهاية في غريب الأثر (٤/٢١٧).



وما تشتهييه نفسه. فإذا قال لهم المسكين: إن هذا قول سلف الأمة وعلمائها، قالوا له: لا تسلم عقلك! فيغتر الجاهل وتجتمع عليه فتنة الشبهة وفتنة الشهوة؛ لأنه في الواقع سلم عقله لدعاة الضلال وجنود إبليس. ولو سلمنا جدلاً أن هذا تسليم للعقل فإن تسليمه لعلماء الأمة وصلحائها هو النجاة والسلامة، أما تسليمها لهؤلاء فهو الهلاك والندامة؛ قال تعالى: ﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَدِ ۚ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَجْعَلُوهُ بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَيَكْفُكَفَ كَانَ عِقَابِ ۗ ﴾ [سورة غافر، الآية رقم: ٤-٥].

المسألة الثانية: لم يرد في دين الإسلام أن الله يريد من عباده كلهم أن يكونوا علماء ومفتون في جميع أمور الدين، بل خص الله بذلك طائفة منهم، قال تعالى: ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ١٢٢].

وعلى هذا جرى أصحاب النبي ﷺ في حياته وبعد مماته والقرون الفاضلة من بعدهم، فقد كان المفتون والقضاة والمتصدرون لتعليم الناس معدودون، وسائر الناس في أعمالهم التي لا بد منها في حياة الناس والتي لو لم يقوموا بها لفسدت الحياة وهلك العالم، فإذا أشكل عليهم شيء في أمور دينهم ودنياهم رجعوا إلى أولئك العلماء فسألوهم. وهذا ما أمر الله به عباده، قال تعالى: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

﴿موسى على الذرير المنقلا﴾

﴿٤٣﴾ ﴿سورة النحل ، الآية رقم : ٤٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعَوْا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿سورة النساء، الآية رقم : ٨٣﴾ .

وهذه إشارة كافية لمن عقل ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ ﴿سورة المائدة، الآية رقم : ٤١﴾ .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .





الكلمة العشرون

«الفهم والحفظ»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الأنبياء، الآيتان رقم: ٧٨-٧٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة العنكبوت، الآية رقم: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ؕ وَلِتِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [سورة محمد، الآية رقم: ١٦].



في هذه الآيات الكريمات وما سيأتي من النصوص النبوية ينقسم الناس في العلم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: من أوتي فهماً ولم يؤت حفظاً تجتمع به جميع نصوص الشريعة .

روى البخاري في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه أن رجلاً قال له: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ» ^(١) الحديث، وقال صلى الله عليه وسلم: «وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» وسيأتي بتمامه .

القسم الثاني: من أتاه الله حفظاً ولم يؤت فهماً. روى أبو داود في سننه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ» ^(٢). وهذان القسمان محمودان، دعا لهما النبي صلى الله عليه وسلم بأن ينضر الله وجوههما وكل واحد منهما محتاج إلى الآخر. فالحافظ يحتاج إلى الفقيه ليبين له ما في المحفوظات من كنوز العلم ودقائق الفقه، وذو الفهم يحتاج إلى الحافظ ليمده بالنصوص ليستخرج منها الحكم التي تفوت بغياب بعض النصوص الشرعية.

وإذا تأملنا الواقع فإننا نجد أن الأخطاء في فهم النصوص الشرعية تعود إلى أحد هذين الأمرين. إما حافظ ليس بفقيه أعجب بحفظه

(١) (٣٠٤٧).

(٢) برقم (٣٦٦٠) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود برقم (٣١٠٨).



موسى عن الذرر المنتقاة

١٦٥

فحمل النصوص ما لم تحتمل من المعاني البعيدة عنها، وإما فقيه غابت عنه بعض النصوص فاجتهد فيما لديه وحملها معان لا تفهم إلا بالنصوص الغائبة عنه. فالحذر الحذر أن يغتر من آتاه الله أحد هاتين الصفتين دون الأخرى أن يقول على الله وفي دين الله بغير علم. «مثال ذلك ما رواه البخاري في صحيحه لما نزلت الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِذَٰكَ! أَلَا تَسْمَعُ إِلَيَّ قَوْلَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»^(١).

ومنها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فقلت: يا رسول الله! أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾^(٧) فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا سَيْرًا^(٨)؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا ذَٰلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَذَّبَ»^(٢).

القسم الثالث: «من جمع الله له الأمرين جميعاً؛ قوة الحفظ وقوة الفقه، وهذا وإن كان قليلاً أو نادراً فهو في أعلى المراتب وأعظمها أجراً وأكثرها نفعاً».

القسم الرابع: من لم يؤت حفظاً ولا فهماً، وقد ذكر النبي ﷺ هذه المراتب الأربع فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٦).



الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةً قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٨٢).



الكلمة الحادية والعشرون

تأملات في سيرة أبي طالب عم النبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فإن سيرة أبي طالب عم النبي ﷺ من السير العميقة لما كان عليه هذا الرجل من محبة النبي ﷺ والدفاع عنه، ولكنه لم يوفق للهداية ومات على الكفر.

وكان أبو طالب واسمه عند الجميع عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي القرشي، وهو والد علي ابن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين. وكان منيعًا عزيزًا في قريش، وسيدًا شريفًا مطاعًا مهيبًا، ولد قبل النبي ﷺ بخمس وثلاثين سنة، وكان شقيق عبد الله والد رسول الله ﷺ، ولذلك أوصى به عبد المطلب عند موته فكفله إلى أن كبر، واستمر على نصره بعد أن بعث، وكان يذب عن النبي ﷺ ويرد عنه كل من يؤذيه، وأخباره في حياته والذب عنه معروفة. ومما اشتهر من شعره في ذلك قوله:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثُّرَابِ دَفِينًا^(١).

وقد مدح النبي ﷺ بمدائح عدة، منها قوله لما استسقى أهل مكة

(١) فتح الباري (٧/ ٥٩١).



فسقوا:

وأبيضٌ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوجهه ثمَّالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأراملِ

ومنها قوله في قصيدة له:

شَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ كَيْ يُجِلَّهُ فذو العرشِ محمودٌ وهذا مُحَمَّدٌ

قال ابن عيينة عن علي بن زيد: ما سمعت أحسن من هذا البيت.

ولما اتفقت قريش وتعاهد كبارهم على حصار بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يتاعوا منهم وأن يضيّقوا عليهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل.

قام أبو طالب في أهل بيته من بني هاشم وبني المطلب ودعاهم إلى ما هو عليه من منع ابن أخيه وحياطته والقيام دونه، فأجابوا إلى ذلك وأجمعوا أمرهم على أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم شعب^(١) بني هاشم ويمنعوه ممن أراد قتله، فأجابوا لذلك، فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه حتى كفارهم دخلوا الشعب حمية للرحم والقراية، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا أبو لهب ابن عبد المطلب فقد انحاز إلى قريش وفارق بني هاشم وبني المطلب. وكان أبو طالب يخاف على رسول الله ﷺ فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فأتى فراشه حتى يراه من أراد به مكرًا فإذا نام الناس، أخذ أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فأضجعه على فراش رسول الله ﷺ وأمر

(١) الشعب هو ما انفرج بين جبلين. انظر: لسان العرب (٧/ ١٢٨).



موسوعنا الدرر المنتقاة

١٦٩

رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فيرقدها عليها^(١).

وكان النبي ﷺ حريصاً على هدايته غاية الحرص، فلما بايع أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رسول الله ﷺ، بكى أبو بكر الصديق ﷺ فقال رسول الله ﷺ «مَا يُبْكِيكَ؟» قال ﷺ: «لأن تكون يد عمك مكان يده ويسلم ويقر الله عينك أحب إلي من أن يكون^(٢)».

واستمر أبو طالب في الدفاع عن النبي ﷺ والذب عنه إلى وفاته.

روى البخاري ومسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه ﷺ قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِمْكَ بِهِ، فَانزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ١١٣]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي تميم (١/ ٢٧٣).

(٢) أورد هذا الحديث الحافظ في الإصابة (٧/ ١٩٩) وعزاه إلى عمر بن شبه النيمري في كتاب مكة وصحح إسناده.

تأملات في سيرة: أبي طالب عم النبي ﷺ

١٧٠

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ [سورة القصص، الآية رقم: ٥٦] (١).

وفي رواية أنه قال: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيَّ ذَلِكَ الْجَزَعُ، لَأَقْرَزْتُ بِهَا عَيْنَكَ (٢).

قال أبو طالب في شعره:

لَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ أَنْ عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد أسلم وحسن إسلامه في آخر حياته (٣)، أما أبو جهل الطاغية المعروف فقد قتل يوم بدر على الكفر.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تُدانى ولا تُسامى ولا يُمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان، لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ولولا ما نهانا الله عنه

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٤) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥).

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٣٦).



موسوع الدرز الشنتاة

من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه. ا.هـ^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) البداية والنهاية (٤/ ٣١٤-٣١٥) بتصرف.





الكلمة الثانية والعشرون

تأملات في سيرة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

كان عبد الله بن أبي ابن سلول أحد قادة ورؤساء الخزرج في المدينة، ولما عرض عليه الإسلام أسلم في الظاهر، ولكنه كان رأس المنافقين في المدينة، ويطن العداوة للنبي ﷺ والمسلمين.

وبداية لقاء هذا الرجل بالنبي ﷺ عند هجرته إلى المدينة فقد روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار، على قطيفة فديكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر. قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود



■ تاملات في سيرة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ■ ١٧٤ ■

حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته، فسار حتى دخل على سعد بن عباد، فقال له النبي ﷺ: «يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ - يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي - قَالَ: كَذًا وَكَذًا». قال سعد بن عباد: يا رسول الله، اعف عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك وقد اصطاح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ. وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله ﷻ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٨٦]، وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٠٩] إلى آخر الآية، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا^(١).

ويظهر من هذا الحديث حسد عبد الله بن أبي ابن سلول لرسول الله ﷺ عندما كان يجهز لأن يكون أميرًا لأهل المدينة ويوضع التاج على رأسه، فلما جاء الله بهذا الدين شرق بذلك وتظاهر

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٦٦)، وصحيح مسلم برقم (١٧٩٨).



موسى بن النضر الميثاقية

١٧٥

بالإسلام حتى يحقن دمه ويكيد للإسلام وأهله. وكان عبد الله بن أبي ابن سلول يقوم بعد خطبة الجمعة ويدعو أصحابه إلى الإسلام متظاهراً بنصرة النبي ﷺ وحرصه على مصلحة المسلمين، واستمر في الباطن في عداوته للنبي ﷺ وللإسلام وأهله حتى كانت حادثة الإفك وطفق يتحدث بها ويتهم النبي ﷺ في عرضه، وأنزل الله قوله الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ١١].

ولما حدثت غزوة المريسيع (غزوة بني المصطلق) وحصل خلاف بين أحد الأنصار والمهاجرين قال قوله الخبيث: «أوقد فعلوها؟ قد نافرونا»^(١)، وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل».

ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: «هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، فلا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله»^(٢).

فسمع بذلك زيد بن أرقم فأخبر به النبي ﷺ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «دعه، لا

(١) نافره: غلبه، انظر: النهاية (٥/ ٨٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٢).



تأملات في سيرة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين

١٧٦

يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(١).

واستمر هذا المنافق يكيّد المؤامرات والدسائس للنبي ﷺ هو ومن معه من المنافقين بالباطن، وأما في الظاهر فكان يخرج إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ كما حصل في غزوة أحد عندما رجع بثلاث الجيش في الطريق لكونهم لم يأخذوا برأيه بالبقاء في المدينة وقتال العدو، وقال هو وأصحابه: لو نعلم اليوم قتالاً لاتبعناكم، ولكننا لا نراكم تقاتلون اليوم.

روى عبدالرزاق بن معمر والطبري من طريق سعيد كلاهما عن قتادة قال: أرسل عبد الله بن أبي إلى النبي ﷺ، فلما دخل عليه قال: «أَهْلَكَكَ حُبُّ يَهُودٍ»، فقال: يا رسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتوبخني، ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابته. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا مرسل مع ثقة رجاله، ويعضده ما أخرجه الطبراني من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما مرض عبد الله بن أبي جاءه النبي ﷺ فكلّمه فقال: قد فهمت ما تقول، فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي ففعل. وكان عبد الله بن أبي أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ عليه، ووقعت إجابته إلى سؤاله بحسب ما ظهر من حاله إلى أن كشف الله الغطاء وهذا من أحسن الأجوبة فيما يتعلق بهذه القصة»^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: لما توفي

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٠٠)، وصحيح مسلم (٤٩٠١).

(٢) فتح الباري (٨/٣٣٤).



موسوع عن الدرر المنتقاة

١٧٧

عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثوبه، فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم، قال: «إِنَّمَا خَيْرَنِي اللَّهُ - أَوْ أَخْبَرَنِي - فَقَالَ: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ٨٠] فقال: سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ». قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨٤) [سورة التوبة، الآية رقم: ٨٤] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٧٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٠).





الكلمة الثالثة والعشرون

المقارنة بين: «الكفار» و«المنافقين»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ففي هذه الكلمة بيان المقارنة بين الكفار والمنافقين مستلهمين ذلك من الكلمتين المتقدمتين عن أبي طالب الذي مات كافراً ورأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول، فأقول وبالله نستعين: ذكر الله تعالى في كتابه أن عقوبته للمنافقين أشد وأعظم من عقوبة الكافرين فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٤٥]، ورد الله وأعاد ذكرهم كثيراً للتحذير منهم، فلماذا هذا كله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويجاهدون وغير ذلك من أعمال الإسلام الظاهرة، بينما الكفار لا شيء عندهم من ذلك؟ والجواب يعلم من مدى انطباق الصفات التالية على كل من الفريقين:

١- الصدق والكذب: المنافق بنى حياته كلها على الكذب قولاً وفعلاً وحالاً، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [سورة المنافقين، الآية رقم: ١] بينما أبو طالب أبى أن يقول الشهادة لأنه يأنف أن يقولها غير صادق فيها.



المقارنة بين: «الكفار» و«المنافقين»

١٨٠

وفي قصة هرقل مع أبي سفيان عندما سأله عن النبي ﷺ فقال هرقل: ادنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبتني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذبًا لكذبت عنه^(١).

فالنفاق أكثر إفسادًا للفظر وأشد تدميرًا للأخلاق الفاضلة ومكارم العادات.

٢- الأمانة والخيانة: من أظهر علامات المنافقين خيانة الأمانات ونقض العهود، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٢).

قال ابن رجب: الخيانة في الأمانة من خصال النفاق^(٣)، وقد كان العرب مع كفرهم يأنفون من ذلك ويمقتون من كانت هذه صفته، ولذلك لما رجع النبي ﷺ من الطائف وأراد أن يدخل مكة بعث إلى المطعم بن عدي ليجير رسول الله ﷺ، فقال المطعم: نعم وأجابه إلى ذلك، وقال لعبد الله بن أريقط: «قل لمحمد فليأت». فرجع إلى الرسول ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج المطعم بن عدي وقد لبس سلاحه هو وبنوه ستة أو سبعة فدخلوا المسجد، وقال لرسول ﷺ: طف، وأمر بنيه أن يكونوا عند أركان البيت لحماية الرسول ﷺ، فهنا أقبل أبو سفيان

(١) صحيح البخاري برقم (٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧٧٣) باختصار.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (٣٧٧).



موسوعنا الدرر المنتقاة

إلى المطعم بن عدي، وقال له: «أمجير أم تابع؟ فقال المطعم: بل مجير، قال أبو سفيان: إذن لا تخفر ذمتك^(١)، قد أجرنا من أجرت، فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف الرسول ﷺ انصرفوا معه، ورجع أبو سفيان إلى مجلسه»^(٢).

ولهذا الصنيع الذي فعله المطعم بن عدي قال رسول الله ﷺ في أسارى بدرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ التَّنِي^(٣) تَرَكْتَهُمْ لَهُ»^(٤).

٣- من أعظم علامات المنافقين إظهار الإسلام ظاهراً ومعاداته باطناً، ولذلك لما استقر الرسول ﷺ في المدينة هو وأصحابه وبعد الهزيمة الساحقة التي تعرض لها كفار قريش في غزوة بدر الكبرى، بدأت ظاهرة النفاق تظهر، فدخلوا في الإسلام ظاهراً وأبطنوا الكفر والحقد والكيد في قلوبهم للإسلام وأهله.

روى البخاري في صحيحه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه^(٥)

(١) لا تخفر ذمتك: أي لا تنقض ولا تغدر بجوارك وعهدك. انظر: النهاية (٢/ ٥٠).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٣٨-٤٠) والبداية والنهاية (٣/ ١٤٧).

(٣) النتن الرائحة الكريهة، والمراد بالنتن في هذا الحديث أسارى بدر من المشركين، انظر: لسان العرب (١٤/ ٣٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣١٣٩)

(٥) أي: ظهر.



فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام؛ فأسلموا^(١).

ولذلك كانوا يوالون الكفار ويعقدون معهم اللقاءات في العلن تارة وفي السر تارات. قال تعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٥٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي: شك وريب ونفاق ﴿ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ أي: يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك عندهم. قال تعالى: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا ﴾ يعني الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين ﴿ عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ أي على ما كان منهم مما لم يُجِدْ عندهم شيئاً، ولا دفع عنهم محذوراً بل كان عين المفسدة، فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين بعد أن كانوا مستورين لا يُدرى كيف حالهم، فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين، فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين، ويحلفون على ذلك ويتأولون، فبان كذبهم وافتراؤهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٥٣] ^(٢).

(١) صحيح البخاري، برقم (٤٥٦٦).

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٨٤-٣٨٥).



موسوع عن الدرر المنتقاة

١٨٣

٤- الجبن والشجاعة: فمن أبرز علامات المنافقين اشتهاهم بالجبن والحرص على الحياة، ولذلك أسلموا ظاهراً حتى يحقنوا دمائهم. قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خُشِبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلَّهمْ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المنافقون، الآية رقم: ٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي كانوا أشكلاً حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمع السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن، ولهذا قال: ﴿يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي كلما وقع أمر أو كارثة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم^(١).

بينما الكفار يأنفون من الجبن ويعيرون من اتصف به، فهذا أبو طالب وهو على فراش الموت يقول للنبي ﷺ - عندما قال له: «يَا عَمُّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فقال: لولا أن تعيرني بها قريش يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك»^(٢).

قال تعالى عن المنافقين: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُضْئِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ سِيْرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية رقم: ١٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ أي من شدة خوفه وجزعه - وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال، قوله

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٦/١٤).

(٢) صحيح مسلم، برقم (٢٥).



المقارنة بين: «الكفار» و«المنافقين»

تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحُوفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ أي: فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك^(١).

٥- البخل والكرم: من صفات المنافقين الذين اتصفوا بها بالبخل، بخلاف الكفار فقد كانوا يعيرون من اتصف بالبخل ويعدون لها منقصة في حقه، فقد كانوا يكرمون الضيف ويغيثون الملهوف ويصلون الأرحام، ولذلك قالت خديجة للنبي ﷺ قبل أن يبعث: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(٢).

قال تعالى عن المنافقين: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْحُوفُ ﴿ الآية.

قال السدي: أي في الغنائم، وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوؤه مقاسمة: أعطونا، أعطونا وقد شهدنا معكم، وأما عند البأس فأجبن القوم^(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنِ ءَاتٰنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتٰهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ﴿٧٦﴾ فَاَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِيْ قُلُوْبِهِمْ اِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ اٰخَفَوْا اللّٰهَ مَا وَعَدُوْهُ وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة التوبة، الآيات رقم ٧٥-٧٧].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: ومن هؤلاء المنافقين من

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١١/١٣٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

(٣) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١١/١٣٢-١٣٣).



موسوعنا الدرر المنتقاة

١٨٥

أعطى الله عهده وميثاقه، ﴿لَيْتَ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: لئن بسط لنا الدنيا ووسعها علينا فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، فلما آتاهم من فضله، لم يفوا بما قالوا، بل بخلوا وتولوا عن الطاعة وهم معرضون - أي غير ملتفتين إلى الخير.

فأعقبهم الله نفاقاً في قلوبهم، مستمرّاً إلى يوم القيامة، وفي الصحيحين حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَّرَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»^(١)، فهذا المنافق الذي وعد الله وعاهده لئن أعطاه الله من فضله ليصدقن وليكونن من الصالحين؛ حدث فكذب، وعاهد [فغدر]، ووعد فأخلف^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٨٢)، وصحيح مسلم برقم (٥٩) إلا أن لفظ «وَإِذَا عَاهَدَ غَدَّرَ» في الرواية الأخرى: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا».

(٢) تفسير ابن سعدي رحمته الله، (ص ٤٣١).





الكلمة الرابعة والعشرون:

الإيمان الذي ينجي صاحبه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [سورة يونس، الآية رقم: ٩].

وقال ﷺ في حديث الشفاعة: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الطور، الآية رقم: ٢١]. في هذه النصوص وغيرها كثير بيان فضل الإيمان وأن صاحبه ينجو به من الخلود في نار جهنم. غير أنه ورد في آيات كريمة أن من الناس من يكون عنده إيمان لكنه لا ينفعه، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة يوسف، الآية رقم: ١٠٦].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا

(١) صحيح البخاري برقم (٢٢) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (١٩٣) بنحوه.



الإيمان الذي ينجي صاحبه

كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ [سورة غافر، الآيتان رقم: ٨٤-٨٥].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلٰئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٥٨].

والمراد بالآية التي لا ينفع الإيمان عند إتيانها طلوع الشمس من مغربها، كما جاء ذلك مصرحاً به في حديث النبي ﷺ الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (١).

وقال تعالى عن فرعون عندما أدركه الغرق: ﴿ وَجَوْرْنَا بِبَنِي إِسْرٰءِيلَ الْبَحْرَ فَأَنْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرٰءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ [سورة يونس، الآيتان رقم: ٩٠-٩١]

مما تقدم يعلم أن الإيمان الذي ينفع صاحبه له شروط وقيود يلزم معرفتها وهي:

الأول: أن يكون إيماناً خالصاً صافياً لا يخالطه شرك ولا يناقضه

(١) برقم (٢٧٥٩).

موسى عن الذر المنقاة

١٨٩

كفر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿سورة الأنعام، الآية رقم: ٨٢﴾. يلبس
أي: يخلط، والظلم هو الشرك، ففي الحديث الذي رواه البخاري
ومسلم من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿شَقَّ ذَلِكَ
عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبَسِ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ
لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١)﴾.

والثاني: أن يكون إيمانًا باطنًا وظاهرًا فلا يخالف باطنه ظاهره، كحال
المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ
اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) ﴿سورة
المنافقون، الآية رقم: ١﴾.

وقال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا
بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ ﴿سورة التوبة، الآية رقم: ٧٤﴾.

الثالث: أن يثبت عليه حتى يلقي الله، قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
أَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿سورة آل عمران، الآية
رقم: ١٠٢﴾.

وقد ذكر الله عن أقوام ما تقشعر منه الجلود وترتجف له القلوب،
وذلك أنهم ينتقلون بين الكفر والإيمان مرارًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٧٦)، وصحيح مسلم برقم (١٢٤).



لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٣٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يقول في دعائه: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ»^(٢).

ومن هذا خاف سلفنا الصالح، وعمر رضي الله عنه على فضله وجلالة قدره يقول لحذيفة: «أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ! هَلْ عَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ»^(٣).

وكان سفيان الثوري رحمته الله كثير البكاء، فيقول له أصحابه: أمن الذنوب تخاف؟ فيقول: لا، ولكنني أخاف أن أسلب الإيمان قبل الموت»^(٤).

نسأل الله تعالى أن يختم لنا بالحسنى وأن يتوفانا مسلمين.

الرابع: أن يكون الإيمان قبل رؤية العذاب وطلوع الشمس من مغربها وقبل أن تبلغ الروح الحلقوم، كما مر في الآيات السابقة. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٥).

(١) برقم: (١١٨)

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٢).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

(٥) برقم (٢٧٠٣).



موسى بن الدرداء المتقاة

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٥٣٧) وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/١٧٥)
برقم (٢٨٠٢).





القواعد الأربع في تدبر القرآن رقم (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد.

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿ كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص، الآية رقم: ٢٩].

ومن القواعد المهمة التي ينبغي لقاريء القرآن أن يتدبرها أربع قواعد بني عليها القرآن الكريم، وهي بيان عظمة الخالق ﷻ، وتقرير ضعف المخلوق، وبيان سعة الآخرة، وتقرير ضيق الدنيا وحقارتها.

القاعدة الأولى والثانية: بيان عظمة الخالق وضعف المخلوق، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الذي له ملك السموات والأرض ولم ينخذ وكذا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرًا] [سورة الفرقان، الآيتان رقم: ١-٢].

فهذا هو الخالق **بِحَمْدِهِ**، ثم قال تعالى مبينًا ضعف المخلوق وعجزه فقال: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية رقم: ٣]، فانظر بعقلك يا عبد الله لتعلم من تعبد وبمن تتعلق، وقال تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا

موسى عز وجل الميثاق

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ﴿٧٤﴾ [سورة الحج، الآية رقم: ٧٤].

وكثيراً ما يضرب الله الأمثال ليعتبر معتبر ويتعظ متعظ، كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ [سورة العنكبوت، الآية رقم: ٤٣].

فاستمع إلى هذين المثليين العظيمين وتدبر ما فيهما، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٧٦﴾ [سورة النحل، الآية: ٧٦].

وفي موضع آخر يذكر تعالى أن العلماء العارفون به هم وحدهم الذين يخشونه ويقدرونه حق قدره، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّ سُودٌ ﴾ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [سورة فاطر، الآية رقم: ٢٧-٢٨].

واستمع إلى ما يقوله تعالى وهو يذكر عظمته وجلالة قدره بأبسط عبارة وأعذب لفظ وأقوى حجة على أنه هو الإله الحق الذي يستحق أن يعبد وحده، وأن من عبد غيره أو تعلق بغيره فإنما يتعلق بأوهى من بيت العنكبوت ونادى على عقله بالفساد وعلى عمره بالضياح وعلى عمله بالخسارة فتدبر، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ [سورة النمل، الآية رقم: ٦٤].



الكلمة السادسة والعشرون:

القواعد الأربع في تدبر القرآن رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد.

فالقاعدتان الثالثة والرابعة هما سعة الآخرة وضيق الدنيا، وقد جعل الله الدنيا محطة للتزود فيها للدار الآخرة، ولذلك أكثر الله ﷻ من ذكر الآخرة وما فيها من الخير الكثير والنعيم المقيم حتى يشاق لها العبد ويجعلها همة ويجتهد في بذل الأسباب الموصلة إليها، كما أكثر من ذم الركون إلى الدنيا وبيان حقارتها إلى جنب الآخرة لكي لا تخلد إليها النفوس وتؤثرها على ما لا مقارنة بينهما؛ وذلك موعظة الله لعباده الأولين منهم والآخرين. قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۗ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۗ﴾ [سورة الأعلى، الآيات رقم: ١٦-١٩] والإشارة إلى الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ﴾ [سورة الأعلى، الآيتان رقم: ١٦-١٧].

إنه لو قيل لأحدنا وهو في بطن أمه - وقدر أنه بعقله الذي هو عليه الآن: إنك ستخرج إلى أرض فسيحة واسعة فيها الأنهار والجبال والبحار، فإنه لن يصدق ذلك ويقول: أنا في هذا الضيق الذي فيه أتحرك، فكيف أصدق ما تقول؟ فما أنت خرجت إلى الدنيا فرأيت الحقيقة التي كنت تنكرها، فاعلم أنك ستخرج من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، بل إن

نسبة الآخرة إلى ضيق الدنيا أعظم من نسبة الدنيا إلى ضيق الرحم، قال النبي ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ فِي اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(٢).

قال النووي رحمته الله: «معنى الحديث: أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد»^(٣).

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٣٣] فهذا العرض فكيف بالطول؟! وقال تعالى وذكر الجنة وأنهما جنتان ومن دونهما جنتان وما فيهن من الأشجار والأنهار والحدور الحسان، وإليك الآيات فتدبر! قال تعالى: ﴿ وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ يُكذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ يُكذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيمَا عَيْنَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ يُكذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ يُكذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٥٨).

(٢) برقم (٢٩٥٦).

(٣) شرح صحيح للنووي (١٨ / ٢٩٤).



موسى عز الدين المشنقة

١٩٩

﴿٥٤﴾ فَإِيءَ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيَهِنَّ قَصِرَتْ أَلْطَّرَفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِئْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَتَهِنَّ الْيَأْقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَانٍ ﴿٦٢﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فِكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيَهِنَّ حَيْرَةٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِئْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَى رَقْرَقٍ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَإِيءِ آءِءِ رَيْكَمَا تُكذَّبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ أَسْمُ رَيْكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴿سورة الرحمن، الآيات رقم: ٤٦-٧٨﴾.

وفي جانب آخر يذكر الله الدنيا مزهداً فيها ومرغباً فيما عنده، فيقول ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾﴾ [سورة طه، الآية رقم: ١٣١]. «وفي موضع آخر يذكر الله عن أهل الجنة ما هم فيه من السرور والحبور ونضارة الوجوه وطيب النفوس فتدبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيْقٍ مَّخْتُمٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْءَاهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة المطففين، الآيات رقم: ٢٢-٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ شَمًّا رَأَيْتَ نَعِيًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الإنسان، الآية رقم: ٢٠]، والآيات في ذكر هاتين القاعدتين كثيرة. وأما الأحاديث فأورد بعضها، فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى ربه، ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يحيى

القواعد الأربع في تدبر القرآن رقم (٢) ٢٠٠

بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية رقم: ١٧]»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونٌ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ»^(٢)، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً، يَسِيرُ الرَّابِحُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَقْطَعُهَا، اقْرَأُوا إِنَّ شَيْئَكُمْ ﴿وَزَلَّ مَمْدُودٌ﴾»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) برقم (١٨٩).

(٢) أي: زوجات.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٨٨١)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣٨) واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٨٨١)، وصحيح مسلم (٢٨٢٧).

موسوع من الدرر المنتقاة

٢٠١

قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَعُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتَكَلَّمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾»^(٢).

قال شيخ الإسلام رحمته الله: والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَّاتِ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٤).

وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة عظيم لا تدركه العقول، ولا تصل

(١) برقم (٢٨٠٧).

(٢) برقم (٢٨٣٧).

(٣) الفتاوى (٤/٣١٢).

(٤) برقم (٢٧٩٦).



الكلمة السابعة والعشرون

أقسام الناس في العلم والعمل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الناس في العلم والعمل ينقسمون إلى ثلاثة أصناف - وأقصد بالناس عموم الناس المسلم والكافر والبر والفاجر-: فالصنف الأول: الذي يعمل بعلم، والثاني: الذي يعلم ولا يعمل، والثالث: الذي يعمل بلا علم؛ والناجي من هذه الأصناف الثلاثة هو الأول.

وقد ذكر الله هذه الأقسام الثلاثة في أعظم سورة في القرآن سورة الفاتحة، فقال معلماً لعباده الدعاء الذي يكونون به من الناجين ويكونوا من الصالحين ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا هو الصنف الأول، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا الصنف الثاني، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ وهذا هو الصنف الثالث.

أما الصنف الأول: وهم الذين أنعم الله عليهم بسلوك الصراط المستقيم فإن أولى الناس دخولاً في هذا المعنى هم رسول الله ﷺ وصحابته ثم أتباعه من بعده، فمن أحب أن يكون منهم ومعهم فليطلع على سيرهم وليقتد بهم وليحبهم؛ فإن المرء مع من أحب، ويبغض من أبغضهم ويجاهد من خالفهم بقلبه ولسانه ويده. قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ



اللَّهُ وَرِضُونًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴿[سورة الفتح، الآية رقم: ٢٩]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٠٥].

فقول الله: ﴿بِمَا أَرَاكَ﴾ أي: بما علمك الله وأوحى إليك.

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُوتَىٰ بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَأَلْ عِمْرَانَ»، ثم قال في آخر الحديث: «تُحَاجَّانِ عَنِ صَاحِبَيْهِمَا»^(١).

أما الصنف الثاني فهم الذين يعلمون ولا يعملون، فمرة يحرفون ومرة يختالون ومرة يخفون العلم والحق حتى لا يحتج به عليهم وعلى رأس هؤلاء طائفة اليهود ومن تشبه بهم فهو منهم، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قُرْآنًا يَدُونَهَا وَفُحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ٩١].

أما احتيالهم فقد ذكر الله قصة أصحاب السبت، وقد نهوا عن الصيد يوم السبت فجعلوا شباكهم يوم السبت وأخذوا الصيد يوم الأحد، فزعموا

(١) صحيح مسلم برقم (٨٠٥).



موسوعة الدرر المنتقاة ٢٠٥

أنهم لم يخالفوا ما نهوا عنه فعاقبهم الله بأن مسخهم قرده وخنازير^(١). ومن خبيث مكرهم أن ما لم يستطيعوا إخفائه من العلم والحق عمدوا إلى تأويله التأويلات الباطلة، قال الله تعالى: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ٧١].

وقال النبي ﷺ: «لا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَذْنَى الْحَيْلِ»^(٢). وأفزع من ذلك وأشنعه إنكارهم نبوة محمد ﷺ وقد عرفوا أنه رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٤٦].

أما الصنف الثالث: فهم يعملون بلا علم، وعلى رأس هذه الطائفة النصارى فقد تركوا الهدى والحق فلم يتعلموه وصاروا إلى البدع والمحدثات، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنَةٌ أَسْتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الحديد، الآية رقم: ٢٧]. وقد ورد عن النبي ﷺ في تفسير آية الفاتحة بأن المغضوب

(١) سبق تفصيل ذلك في الكلمة رقم (٦٠) من موسوعة الدرر المنتقاة للمؤلف (٥٦٣/١١).

(٢) ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في إبطال الحيل (ص ٤٦) وحسن إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٢٩/٢٩) وابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (١/٢٩٣) والشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١٠/٢٣٠).



أقسام الناس في العلم والعمل

٢٠٦

عليهم اليهود والضالين هم النصارى؛ فقد روى الترمذي في سننه من حديث عدي بن حاتم أن النبي ﷺ قال: «الْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَى ضَالَّةٌ»^(٣).

والآيات الواردة في بيان حال اليهود والنصارى كثيرة جدًا.

وما بين الله لنا ذلك من أحوالهم إلا لنحذر أن نتبعهم فنكون منهم، قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ: وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله، كيف يعلمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائمًا مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه بفعله، هذا من ظن السوء بالله^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٣) برقم (٢٩٥٤) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الترمذي برقم (٨٢٠٢).

(٤) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ في تفسير سورة الفاتحة (ص ١٨-٢٧).



الكلمة الثامنة والعشرون

تأملات في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد.

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥) [سورة الأنعام، الآية رقم: ١١٥] اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل نافعة ومعان عظيمة نافعة لمن تدبرها وعقلها.

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ﴾ الشيء التام هو الذي لا نقص فيه بل كمل من جميع الوجوه، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»^(١)، وفي المعنى جاء قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٣]. قوله: ﴿كَلِمَتُ﴾ الكلمة مفرد جمعها كلمات والمصدر منها الكلام، والقرآن كلام الله، والكلام صفة من صفات الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ٦].

قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ قال أبو جعفر الطبري: وكملت كلمة ربك يعني القرآن، وسماه كلمة كما تقول العرب للقصيد من الشعر يقولها الشاعر:

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٠٨).

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ﴿ ٢٠٨ ﴾ تأملات في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

هذه كلمة فلان.

قوله: ﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام.

قوله: ﴿ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ﴾ أي: أنها محفوظة لا يستطيع أحد تبديلها ولا أن يأتي بأحسن منها، لا في الأخبار ولا في الأحكام، وتشمل الأحكام جميع الأوامر والنواهي.

وقوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: لسائر الأصوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات.

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ أي: العليم الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والماضي والمستقبل.

في هذه الآيات الكريمات حكم جليلة:

منها: أن الدين الذي جاء في الوحيين دين كامل لا نقص فيه، لأن التام هو الذي لا يحتاج إلى غيره. والاقتصار على الوحيين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو العصمة والنجاة لمن تمسك بهما، لا سيما في الأزمان التي تظهر فيها الفتن وتنتشر فيها الأهواء ويكثر فيها دعاة الضلالة القائمون على أبواب جهنم يقذفون فيها من أجابهم.

ومنها: أن ما يحتاجه الناس من الأخبار السابقة واللاحقة جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ صدقًا وحقًا لا يحتاجون معها إلى غيرها.

قال تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿ ٣٨ ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ٣٨].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه



موسى عن الذر المنقلا

أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: «أمتَهُوْكَونَ»^(١) فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكذِّبُونَهُ، أَوْ بِيَاطِلٍ فَتُصَدِّقُونَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا لَمَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(٢).

ومنها: «أن الأحكام جاءت في غاية العدل، لا جور فيها ولا ظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل هي نعمة أتمها على عباده ليسعدوا في الدنيا ويفوزوا في الآخرة.

ومنها: أن الوحي كتاب وسنة محفوظ لا سبيل لأحد إلى تحريفه أو تبديله، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر، الآية رقم: ٩].

ومنها: أن ما جاء في الوحيين من الأحكام وغيرها هو الحق والعدل، وخلافه من القوانين والأنظمة التي يضعها البشر هي الباطل والظلم. قال الله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٥٠].

ومنها: أن كلام الله كله صدق يصدق بعضه بعضاً، لا تناقض فيه ولا اختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

(١) قال أبو عبيده: «أمتحكرون أنتم في الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذونه من اليهود والنصارى». غريب الحديث (٢٩/٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٤٩/٢٣) برقم (١٥١٥٦) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ (٦/٣٤-٣٦)، برقم (١٥٨٩).



■ ── ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ── □ ٢١٠ ── □

﴿ ٨٢ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٨٢].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والعشرون

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾ رقم (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء، الآية رقم: ٩].

هذه الآية الكريمة أطال الكلام فيها العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه أضواء البيان، وقد نقلت كلامه فيها لعظم فائدته ودقيق استنباطاته بما لا تجده عند غيره. فقال رحمه الله: وهذه الآية الكريمة أجمل الله تَجَمُّلاً وَتَعَمُّلاً فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم.

فمن ذلك توحيد الله تَجَمُّلاً وَتَعَمُّلاً؛ فقد هدى القرآن فيه للطريق التي أقوم هي الطرق وأعدلها، وهي توحيدة تَجَمُّلاً وَتَعَمُّلاً في ربوبيته، وفي عبادته، وفي أسمائه وصفاته. وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيدة في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة



وقفات مع قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقمه (١) ■

الزخرف، الآية رقم: [٨٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴾ [سورة يونس، الآية رقم: ٣١]، وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء، الآية رقم: ٢٣] تجاهل من عارف أنه عبد مربوب؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ... ﴾ الآية [سورة الإسراء، الآية رقم: ١٠٢]، وقوله: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [سورة النمل، الآية رقم: ١٤]. وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف، الآية رقم: ١٠٦]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدًا.

الثاني: توحيده **بِحْدِهِ** في عبادته. وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وهي مترتبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت. ومعنى الإثبات منها: إفراد الله **بِحْدِهِ** وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام. وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم، قال تعالى: ﴿ أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَّا هَا وَجِدًّا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ ﴾ [سورة ص، الآية رقم: ٥].

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذُنُوبِكُمْ... ﴾.. الآية [سورة محمد، الآية رقم: ١٩]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

موسوع من الدرر المنتقاة

٢١٣

أَطْلَعُوتُ... ﴿ [سورة النحل، الآية رقم: ٣٩]، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿ [سورة الأنبياء، الآية رقم: ٢٥]، وقوله: ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ ﴾ ﴿ [سورة الزخرف، الآية رقم: ٤٥]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ [سورة الأنبياء، الآية رقم: ١٠٨]. فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إنما أوحى إليه محصور في هذا النوع من التوحيد؛ لشمول كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لجميع ما جاء في الكتب؛ لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

النوع الثالث: توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته. وهذا النوع من التوحيد يبني على أصليين:

الأول: تنزيه الله **بِجَلَالِهِ وَعِزَالِهِ** عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم؛ كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾.

والثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله **ﷺ** على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما قال بعد قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وهو **السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿ [سورة الشورى، الآية رقم: ١١] مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ﴾ **عِلْمًا** ﴿ [سورة طه، الآية رقم: ١١٠]. وقد قدمنا هذا المبحث مستوفى موضحًا بالآيات القرآنية في سورة الأعراف.

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقمه (١) ■

ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته ﷻ على وجوب توحيده في عبادته، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ووبخهم منكرًا عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده؛ لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ فلما أقروا بربوبيته وبخهم منكرًا عليهم شركهم به غيره بقوله: ﴿ أَفَلَا نُنْقِونَ ﴾ [سورة يونس، الآية رقم: ٣١].

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان رقم: ٨٤-٨٥] فلما اعترفوا وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان رقم: ٨٦-٨٧]، فلما أقروا وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلَا نُنْقِونَ ﴾ ﴿، ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان رقم: ٨٨-٨٩] فلما أقروا وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله ﴿ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ فلما صح الاعتراف وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [سورة الرعد، الآية رقم: ١١].

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقمه (١) ■

قبله، فلما تعين إقرارهم بذلك وبخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦٢) ﴿ [سورة النمل، الآية رقم: ٦٢]، ثم قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِبَيْتِ يَدَى رَحْمَتِهِ ۗ ﴾، ولا شك أن الجواب كما قبله، فلما تعين إقرارهم بذلك وبخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٣) ﴿ [سورة النمل، الآية رقم: ٦٣]، ثم قال ﴿ نَجِدُ وَبَيِّنَاتٍ: ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴾ ولا شك أن الجواب كما قبله، فلما تعين الاعتراف وبخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلْ هَا تَوَأْبُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦٤) ﴿ [سورة النمل، الآية رقم: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِّنْ شَيْءٍ ۗ ﴾ ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو: لا! أي: ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل شيئًا من ذلك المذكور، من الخلق والرزق والإماتة والإحياء، فلما تعين اعترافهم وبخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿ سُبْحٰنَهُ، وَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٠) ﴿ [سورة الروم، الآية رقم: ٤٠].

والآيات بنحو هذا كثيرة جدًا، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضوع: أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة؛ نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَبِ اللَّهِ شَكٌّ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية رقم: ١٠]، وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٦٤]. وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار؛ لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير، وليس استفهام إنكار؛ لأنهم لا ينكرون الربوبية،





كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان (٣/ ٤٨٨-٤٩٢).





الكلمة الثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾ رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم بإباحته تعدد الزوجات إلى أربع، وأن الرجل إذا خاف عدم العدل بينهن لزمه الاقتصار على واحدة، أو ملك يمينه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٣]، ولا شك أن الطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها هي إباحة تعدد الزوجات؛ لأمر محسوسة يعرفها كل العقلاء.

منها: أن المرأة الواحدة تحيض وتمرض وتنفس، إلى غير ذلك من العوائق المانعة من قيامها بأخص لوازم الزوجية، والرجل مستعد للتسبب في زيادة الأمة، فلو حبس عليها في أحوال أعذارها لعطلت منافعه باطلاً في غير ذنب.

ومنها: أن الله أجرى العادة بأن الرجال أقل عدداً من النساء في أقطار الدنيا، وأكثر تعرضاً لأسباب الموت منهن في جميع ميادين الحياة؛ فلو قصر الرجل على واحدة، لبقي عدد ضخمة من النساء محروماً من الزواج، فيضطرون إلى ركوب الفاحشة، فالعدول عن هدي القرآن في



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٢)

هذه المسألة من أعظم أسباب ضياع الأخلاق، والانحطاط إلى درجة البهائم في عدم الصيانة، والمحافظة على الشرف والمروءة والأخلاق! فسبحان الحكيم الخبير ﴿ الرَّكَنُ أَحْكَمُ عَيْنُهُ، ثُمَّ فَضِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمِ خَيْرِ ﴾ [سورة هود، الآية رقم: ١].

ومنها: أن الإناث كلهن مستعدات للزواج، وكثير من الرجال لا قدرة لهم على القيام بلوازم الزواج لفقرهم، فالمستعدون للزواج من الرجال أقل من المستعدات له من النساء؛ لأن المرأة لا عائق لها، والرجل يعوقه الفقر وعدم القدرة على لوازم النكاح، فلو قصر الواحد على الواحدة لضاع كثير من المستعدات للزواج أيضًا بعدم وجود أزواج، فيكون ذلك سببًا لضياع الفضيلة وتفشي الرذيلة، والانحطاط الخلقي، وضياع القيم الإنسانية، كما هو واضح. فإن خاف الرجل ألا يعدل بينهن وجب عليه الاقتصار على واحدة، أو ما ملكت يمينه؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٩٠].

والميل بالترفضيل في الحقوق الشرعية بينهن لا يجوز، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٢٩]، أما الميل الطبيعي بمحبة بعضهن أكثر من بعض، فهو غير مستطاع دفعه للبشر؛ لأنه انفعال وتأثر نفساني لا فعل، وهو المراد بقوله: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ ... الآية، كما أوضحناه في غير هذا الموضوع.

وما يزعمه بعض الملاحدة من أعداء دين الإسلام، من أن تعدد الزوجات يلزمه الخصام والشغب الدائم المفضي إلى نكد الحياة؛ لأنه كلما أرضى إحدى الضرتين سخطت الأخرى؛ فهو بين سخطتين دائماً،



موسوعتنا الدرر المنتقاة

٢٢١

وأن هذا ليس من الحكمة. فهو كلام ساقط، يظهر سقوطه لكل عاقل؛ لأن الخصام والمشغبة بين أفراد أهل البيت لا انفكاك عنه ألبتة، فيقع بين الرجل وأمه، وبينه وبين أبيه، وبينه وبين أولاده، وبينه وبين زوجته الواحدة، فهو أمر عادي ليس له كبير شأن، وهو في جنب المصالح العظيمة التي ذكرنا في تعدد الزوجات من صيانة النساء وتيسير التزويج لجميعهن، وكثرة عدد الأمة لتقوم بعددها الكثير في وجه أعداء الإسلام؛ كلا شيء؛ لأن المصلحة العظمى يقدم جلبها على دفع المفسدة الصغرى. فلو فرضنا أن المشغبة المزعومة في تعدد الزوجات مفسدة، أو أن إيلام قلب الزوجة الأولى بالضرة مفسدة، لقدمت عليها تلك المصالح الراجعة التي ذكرنا، كما هو معروف في الأصول.

قال في مراقبي السعود عاطفًا على ما تلغى فيه المفسدة المرجوحة في جنب المصلحة الراجعة:

أَوْ رَجَحَ الْإِضْلَاحُ كَالْأَسَارَى تُفْدَى بِمَا يَنْفَعُ لِلنَّصَارَى
وَأَنْظُرْ تَدَلِّي دَوَالِي الْعِنَبِ فِي كُلِّ مَشْرِقٍ وَكُلِّ مَغْرِبِ

ففداء الأسارى مصلحة راجحة، ودفع فدائهم النافع للعدو مفسدة مرجوحة، فتقدم عليها المصلحة الراجعة. أما إذا تساوت المصلحة والمفسدة، أو كانت المفسدة أرجح كفداء الأسارى بسلاح يتمكن بسببه العدو من قتل قدر الأسارى أو أكثر من المسلمين، فإن المصلحة تلغى لكونها غير راجحة، كما قال في المراقبي:

إِخْرِمُ مُنَاسِبًا بِمُفْسِدٍ لَزِمَ لِلْحُكْمِ وَهُوَ غَيْرُ مَرْجُوحٍ عِلْمِ

وكذلك العنب تعصر منه الخمر وهي أم الخبائث، إلا أن مصلحة



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٢)

وجود العنب والزبيب والانتفاع بهما في أقطار الدنيا مصلحة راجحة على مفسدة عصر الخمر منها ألغيت لها تلك المفسدة المرجوحة.

واجتماع الرجال والنساء في البلد الواحد قد يكون سبباً لحصول الزنى إلا أن التعاون بين المجتمع من ذكور وإناث مصلحة أرجح من تلك المفسدة؛ ولذا لم يقل أحد من العلماء إنه يجب عزل النساء في محل مستقل عن الرجال، وأن يجعل عليهن حصن قوي لا يمكن الوصول إليهن معه، وتجعل المفاتيح بيد أمين معروف بالتقى والديانة كما هو مقرر في الأصول.

فالقرآن أباح تعدد الزوجات لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج، ولمصلحة الرجل بعدم تعطل منافعه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة، ولمصلحة الأمة ليكثر عددها فيمكنها مقاومة عدوها لتكون كلمة الله هي العليا، فهو تشريع حكيم خبير لا يطعن فيه إلا من أعمى الله بصيرته بظلمات الكفر. وتحديد الزوجات بأربع تحديد من حكيم خبير، وهو أمر وسيط بين القلة المفضية إلى تعطل بعض منافع الرجل، وبين الكثرة التي هي مظنة عدم القدرة على القيام بلوازم الزوجية للجميع، والعلم عند الله تعالى^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٤٩٤-٤٩٧).



الكلمة الواحدة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٣)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم تفضيله الذكر على الأنثى في الميراث، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٧٦].

وقد صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يبين لخلقه هذا البيان الذي من جملته تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث لثلاث تفضل، فمن سَوَّى بينهما فهو ضال قطعاً، ثم بين أنه أعلم بالحكم والمصالح وبكل شيء من خلقه بقوله: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١١].

ولا شك أن الطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها: تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث الذي ذكره الله تعالى؛ كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٣٤]، أي: وهو الرجال ﴿ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي: وهو النساء. وقوله: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٢٨]،



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٣) ■

وذلك لأن الذكورة كمال خلقي، وقوة طبيعية، وشرف وجمال، والأنوثة نقص خلقي وضعف طبيعي، كما هو محسوس مشاهد لجميع العقلاء، لا يكاد ينكره إلا مكابر في المحسوس.

وقد أشار **بِحَجَلٍ وَبِعِلَالٍ** إلى ذلك بقوله: ﴿ أَوْ مِنْ يُشْتَوَى فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف، الآية رقم: ١٨]، لأن الله أنكر عليهم في هذه الآية الكريمة: أنهم نسبوا له ما لا يليق به من الولد، ومع ذلك نسبوا له أخس الولدين وأنقصهما وأضعفهما؛ ولذلك ينشأ في الحلية، أي: الزينة من أنواع الحلبي والحلل؛ ليجبر نقصه الخلقي الطبيعي بالتجميل بالحلي والحلل - وهو الأنثى، بخلاف الرجل فإن كمال ذكورته وقوتها وجمالها يكفيه عن الحلبي، كما قال الشاعر:

وَمَا الْحَلِيُّ إِلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيبَةٍ يَتَمَّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصَّرَا
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ مُوقَّرَا كَحُسْنِكَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا

وقال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ [١١] تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ [سورة النجم، الآيتان رقم: ٢١-٢٢] وإنما كانت هذه القسمة ضيزى - أي: غير عادلة - لأن الأنثى أنقص من الذكر خلقة وطبيعة، فجعلوا هذا النصيب الناقص لله **بِحَجَلٍ وَبِعِلَالٍ** - سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً - وجعلوا الكامل لأنفسهم، كما قال: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٦٢] أي: وهو البنات. وقال: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [٥٨] إلى قوله ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٥٩]، وقال: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا - أي: وهو الأنثى - ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [١٧] [سورة الزخرف، الآية رقم: ١٧].



موسوع من الدرر المنتقاة

٢٢٥

وكل هذه الآيات القرآنية تدل على أن الأنثى ناقصة بمقتضى الخلق والطبيعة، وأن الذكر أفضل وأكمل منها، ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ [سورة الصافات، الآيتان رقم: ١٥٣-١٥٤]، ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) [سورة الإسراء، الآية رقم: ٤٠]. والآيات الدالة على تفضيله عليها كثيرة جدًا.

ومعلوم عند عامة العقلاء أن الأنثى متاع لا بد له ممن يقوم بشؤونه ويحافظ عليه.

وقد اختلف العلماء في التمتع بالزوجة: هل هو قوت؟ أو تفكه؟ وأجرى علماء المالكية على هذا الخلاف حكم إلزام الابن بتزويج أبيه الفقير، قالوا: فعلى أن النكاح قوت فعليه تزويجه؛ لأنه من جملة القوت الواجب له عليه، وعلى أنه تفكه لا يجب عليه على قول بعضهم. فانظر شبه النساء بالطعام والفاكهة عند العلماء.

وقد جاءت السنة الصحيحة بالنهي عن قتل النساء والصبيان في الجهاد؛ لأنهما من جملة مال المسلمين الغانمين، بخلاف الرجال فإنهم يقتلون.

ومن الأدلة على أفضلية الذكر على الأنثى: أن المرأة الأولى خلقت من ضلع الرجل الأول، فأصلها جزء منه.

فإذا عرفت من هذه الأدلة: أن الأنوثة نقص خلقي، وضعف طبيعي فاعلم أن العقل الصحيح الذي يدرك الحكم والأسرار، يقضي بأن الناقص الضعيف بخلقه وطبيعته يلزم أن يكون تحت نظر الكامل في خلقته، القوي بطبيعته، ليحلب له ما لا يقدر على جلبه من النفع، ويدفع عنه ما لا يقدر



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٣)

على دفعه من الضر، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٣٤].

وإذا علمت ذلك: فاعلم أنه لما كانت الحكمة البالغة تقتضي أن يكون الضعيف الناقص مقومًا عليه من قبل القوي الكامل، اقتضى ذلك أن يكون الرجل ملزمًا بالإنفاق على نسائه والقيام بجميع لوازمهن في الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، ومال الميراث ما مسح في تحصيله عرقًا، ولا تسببًا فيه البتة، وإنما هو تمليك من الله لملكهما إياه تمليكًا جبريًا؛ فاقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يؤثر الرجل على المرأة في الميراث وإن أدليا بسبب واحد؛ لأن الرجل مترقب للنقص دائمًا بالإنفاق على نسائه، وبذل المهور لهن، والبذل في نوائب الدهر. والمرأة مترقة للزيادة بدفع الرجل لها المهر، وإنفاقه عليها وقيامه بشئونها، وإيثار مترقب للنقص دائمًا على مترقب الزيادة دائمًا لجبر بعض نقصه المترقب حكمته ظاهرة واضحة، لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته بالكفر والمعاصي، ولذا قال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾. ولأجل هذه الحكم التي بنا بها فضل نوع الذكر على الأنثى في أصل الخلقة والطبيعة جعل الحكيم الخبير الرجل هو المسئول عن المرأة في جميع أحوالها، وخصه بالرسالة والنبوة والخلافة دونها، وملكه الطلاق دونها، وجعله الولي في النكاح دونها، وجعل انتساب الأولاد إليه لا إليها، وجعل شهادته في الأموال بشهادة امرأتين في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٨٢] وجعل شهادته تقبل في الحدود والقصاص دونها، إلى غير ذلك من الفوارق الحسية والمعنوية والشرعية بينهما.

ألا ترى أن الضعف الخلقي والعجز عن الإبانة في الخصام عيب



موسوع عن الدرر المنتقاة

٢٢٧

ناقص في الرجال، مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التي تجذب إليها القلوب.

قال جرير:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ وَهَنَّ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ أركانَا

وقال ابن الدمينه:

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بَعْضِ الْأَدَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ
وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ يَزَلْ لَهُ سَكْتَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ

فالأول: تشبب بهن بضعف أركانهن، والثاني: بعجزهن عن الإبانة في الخصام، كما قال تعالى: ﴿ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ١٨]. ولهذا التباين في الكمال والقوة بين النوعين، صح عن النبي ﷺ اللعن على من تشبه منهما بالآخر.

روى البخاري في صحيحه: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ: «الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»^(١). ومعلوم أن من لعنه رسول الله ﷺ فهو ملعون في كتاب الله؛ لأن الله يقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [سورة الحشر، الآية رقم: ٧] الآية. كما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه كما تقدم.

فلتعلمن أيتها النساء اللاتي تحاولن أن تكن كالرجال في جميع الشؤون أنكن مترجلات متشبهات بالرجال، وأنكن ملعونات في كتاب

(١) برقم (٥٨٨٥) واللفظ له.



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٣)

الله على لسان رسوله ﷺ، وكذلك المخنثون المتشبهون بالنساء، فهم أيضاً ملعونون في كتاب الله على لسانه ﷺ، ولقد صدق من قال فيهم:

وَمَا عَجَبِي أَنْ النِّسَاءَ تَرَجَّلْتُ
وَلَكِنْ تَأْنِيثَ الرَّجَالِ عَجَابُ

واعلم- وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه-: أن هذه الفكرة الكافرة، الخاطئة الخاسئة، المخالفة للحس والعقل، وللوحي السماوي، وتشريع الخالق الباريء: من تسوية الأنثى بالذكر في جميع الأحكام والميادين فيها من الفساد والإخلال بنظام المجتمع الإنساني ما لا يخفى على أحد، إلا من أعمى الله بصيرته، وذلك لأن الله **تَجَلَّى وَتَجَلَّى** جعل الأنثى بصفات الخاصة بها صالحة لأنواع من المشاركة في بناء المجتمع الإنساني، صلاحاً لا يصلح لها غيرها؛ كالحمل، والوضع، والإرضاع، وتربية الأولاد، وخدمة البيت، والقيام على شئونه: من طبخ، وعجن، وكنس، ونحو ذلك. وهذه الخدمات التي تقوم بها للمجتمع الإنساني داخل بيتها في ستر وصيانة، وعفاف ومحافظة على الشرف، والفضيلة والقيم الإنسانية: لا تقل عن خدمة الرجل بالاكْتِسَاب؛ فزعم أولئك السفلة الجهلة من الكفار وأتباعهم: أن المرأة لها من الحقوق في الخدمة خارج بيتها مثل ما للرجل، مع أنها في زمن حملها ورضاعها ونفاسها لا تقدر على مزاولة أي عمل فيه أي مشقة كما هو مشاهد، فإذا خرجت هي وزوجها بقيت خدمات البيت كلها ضائعة: من حفظ الأولاد الصغار، وإرضاع من هو في زمن الرضاع منهم، وتهيئة الأكل والشرب للرجل إذا جاء من عمله، فلو أجروا إنساناً يقوم مقامها، لتعطل ذلك الإنسان في ذلك البيت التعطل الذي خرجت المرأة فراراً منه، فعادت النتيجة في حافرتها، على أن خروج المرأة وابتذالها فيه ضياع المروءة والدين؛ لأن



موسوعنة الدرر المنتقاة

٢٢٩

المرأة متاع، هو خير متاع الدنيا، وهو أشد أمتعة الدنيا تعرضاً للخيانة؛ لأن العين الخائنة إذا نظرت إلى شيء من محاسنها فقد استغلت بعض منافع ذلك الجمال خيانة ومكرًا، فتعريضها لأن تكون مائدة للخونة فيه ما لا يخفى على أدنى عاقل، وكذلك إذا لمس شيئاً من بدنها بدن خائن سرت لذة ذلك اللمس في دمه ولحمه بطبيعة الغريزة الإنسانية، ولا سيما إذا كان القلب فارغاً من خشية الله تعالى، فاستغل نعمة ذلك البدن خيانة وغدرًا، وتحريك الغرائز بمثل ذلك النظر واللمس يكون غالبًا سببًا لما هو شر منه؛ كما هو مشاهد بكثرة في البلاد التي تخلت عن تعاليم الإسلام، وتركت الصيانة، فصارت نساؤها يخرجن متبرجات عاريات الأجسام إلا ما شاء الله؛ لأن الله نزع من رجالها صفة الرجولة والغيرة على حريمهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! نعوذ بالله من مسخ الضمير والذوق، ومن كل سوء، ودعوى الجهلة السفلة: أن دوام خروج النساء بادية الرءوس والأعناق والمعاصم والأذرع والسُّوق ونحو ذلك، يذهب إثارة غرائز الرجال؛ لأن كثرة الإمساس تذهب الإحساس؛ كلام في غاية السقوط والخسة؛ لأن معناه: إشباع الرغبة مما لا يجوز، حتى يزول الأرب بكثرة مزاولته، وهذا كما ترى، ولأن الدوام لا يذهب إثارة الغريزة باتفاق العقلاء؛ لأن الرجل يمكث مع امرأته سنين كثيرة حتى تلد أولادهما، ولا تزال ملامسته لها، ورؤيته لبعض جسمها تثير غريزته، كما هو مشاهد لا ينكره إلا مكابر:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَو نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وقد أمر رب السماوات والأرض، خالق هذا الكون ومدبر شؤونه، العالم بخفايا أموره، وبكل ما كان وما سيكون، بغض البصر عما لا يحل،



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٣)

قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ الآية [سورة النور، الآيتان رقم: ٣٠-٣١].

ونهى المرأة أن تضرب برجلها لتسمع الرجال صوت خلخالها في قوله: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٣]، ونهاهن عن لين الكلام لئلا يطمع أهل الخنى فيهن، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٣٣) [سورة الأحزاب، الآية رقم: ٣٢] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٤٩٨-٥٠٤).



الكلمة الثانية والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٤)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن هدي القرآن للتي هي أقوم ملك الرقيق المعبر عنه في القرآن بملك اليمين في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَجِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة المعارج، الآيتان رقم: ٢٩-٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ... ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٢٤]، وقوله ﴿ وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكِنَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ... ﴾ [سورة الأحزاب، الآية رقم: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ... ﴾ [سورة الأحزاب، الآية رقم: ٥٠]، وقوله ﴿ وَلَا نِسَاءَهُنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب،

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٤) ■

الآية رقم: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَوْ نَسَائِبَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنَيْتِكُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لِلذَّيْتِ فَضْلًا بَرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ... ﴾ الآية، [سورة الروم، الآية رقم: ٢٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

فالمراد بملك اليمين في جميع هذه الآيات ونحوها ملك الرقيق بالرق. ومن الآيات الدالة على ملك الرقيق قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا... ﴾ الآية، [سورة النحل، الآية رقم: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ... ﴾ الآية [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٢١]، ونحو ذلك من الآيات.

وسبب الملك بالرق: هو الكفر، ومحاربة الله ورسوله. فإذا أقدر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم، وجميع قواهم، وما أعطاهم الله فتكون كلمة الله هي العليا على الكفار جعلهم ملكاً لهم بالسبي، إلا إذا اختار الإمام المن أو الفداء؛ لما في ذلك من المصلحة على المسلمين.

وهذا الحكم من أعدل الأحكام وأوضحها وأظهرها حكمة، وذلك أن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه، ويمثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ (٥٧) ﴾ [سورة الذاريات، الآيتان رقم: ٥٦-٥٧]، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، كما قال: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا



موسوعتنا الدرر المنتقاة

نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [سورة إبراهيم، الآية رقم: ٣٤]، وفي الآية الأخرى «في سورة النحل» ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ١٨]، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٧٨]. فتمرد الكفار على ربهم وطغوا وعتوا، وأعلنوا الحرب على رسله لثلاث تكون كلمته هي العليا، واستعملوا جميع المواهب التي أنعم عليهم بها في محاربتة، وارتكاب ما يسخطه، ومعاداته ومعاداة أوليائه القائمين بأمره؛ وهذا أكبر جريمة يتصورها الإنسان.

فعاقبتهم الحكم العدل اللطيف الخبير بِحُجُلِهِ وَعِجَلِهِ عقوبة شديدة تناسب جريمتهم؛ فسلبهم التصرف، ووضعهم من مقام الإنسانية إلى مقام أسفل منه كمقام الحيوانات، فأجاز بيعهم وشراءهم، وغير ذلك من التصرفات المالية، مع أنه لم يسلبهم حقوق الإنسانية سلباً كلياً، فأوجب على مالكيهم الرفق والإحسان إليهم، وأن يطعموهم مما يطعمون، ويكسوهم مما يلبسون، ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، وإن كلفوهم أعانوهم؛ كما هو معروف في السنة الواردة عنه ﷺ، مع الإيذاء عليهم في القرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كما تقدم [سورة النساء، الآية رقم: ٢٦].

وتشوف الشارع تشوفاً شديداً للحرية والإخراج من الرق؛ فأكثر أسباب ذلك، كما أوجبه في الكفارات؛ من قتل خطأ وظهار ويمين وغير



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقمه (٤) ■

ذلك، وأوجب سراية العتق، وأمر بالكتابة في قوله: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٣٣] ورغب في الإعتاق ترغيبًا شديدًا. ولو فرضنا - والله المثل الأعلى - أن حكومة من هذه الحكومات التي تنكر الملك بالرق وتشنع في ذلك على دين الإسلام، قام عليها رجل من رعاياها كانت تغدق عليه النعم، وتسدي إليه جميع أنواع الإحسان، ودبر عليها ثورة شديدة يريد بها إسقاط حكمها، وعدم نفوذ كلمتها، والحيلولة بينها وبين ما تريده من تنفيذ أنظمتها، التي يظهر لها أن بها صلاح المجتمع، ثم قدرت عليه بعد مقاومة شديدة فإنها تقتله شر قتلة. ولا شك أن ذلك القتل يسلبه جميع تصرفاته وجميع منافعه؛ فهو أشد سلبًا لتصرفات الإنسان ومنافعه من الرق بمراحل. والكافر قام ببذل كل ما في وسعه ليحول دون إقامة نظام الله الذي شرعه؛ ليسير عليه خلقه فينشر بسببه في الأرض الأمن والطمأنينة؛ والرخاء والعدالة، والمساواة في الحقوق الشرعية، وتنتظم به الحياة على أكمل الوجوه وأعدلها وأسمائها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٩٠]، فعاقبه الله هذه المعاقبة بمنعه التصرف ووضع درجته، وجريمته تجعله يستحق العقوبة بذلك.

فإن قيل: إذا كان الرقيق مسلمًا فما وجه ملكه بالرق؟ مع أن سبب الرق الذي هو الكفر ومحاربة الله ورسله قد زال؟

فالجواب: أن القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء: أن الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق، والأحقية بالأسبقية ظاهرة لا خفاء بها، فالمسلمون عندما غنموا الكفار بالسبي: ثبت لهم حق الملكية بتشريع



موسوع عن الدرر المنتقاة

٢٣٥

خالق الجميع، وهو الحكيم الخبير، فإذا استقر هذا الحق وثبت، ثم أسلم الرقيق بعد ذلك كان حقه في الخروج من الرق بالإسلام مسبقاً بحق المجاهد الذي سبقت له الملكية قبل الإسلام، وليس من العدل والإنصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر عنه؛ كما هو معلوم عند العقلاء. نعم، يحسن بالمالك ويجمال به أن يعتقه إذا أسلم، وقد أمر الشارع بذلك ورغب فيه، وفتح له الأبواب الكثيرة كما قدمنا - فسبحان الحكيم الخبير ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١١٥] فقله: ﴿ صِدْقًا ﴾ أي: في الأخبار، وقوله: ﴿ وَعَدْلًا ﴾ أي: في الأحكام. ولا شك أن من ذلك العدل: الملك بالرق وغيره من أحكام القرآن.

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وأفته من الفهم السقيم^(١)
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٥٠٥-٥٠٨).





الكلمة الثالثة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٥)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد...
ومن هدي القرآن للتي هي أقوم إقامة حدود القصاص كالسرقة والقتل وغيرها، فإن الإنسان إذا غضب وهم أن يقتل إنساناً آخر فتذكر أنه إن قتله قُتِلَ به، خاف العاقبة فترك القتل، فحيي ذلك الذي كان يريد قتله، وحيي هو لأنه لم يقتل، فيقتل قصاصاً. قتل القاتل يحيا به مما لا يعلمه إلا الله كثرة كما ذكرنا، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٧٩]. ولا شك أن هذا من أعدل الطرق وأقومها، ولذلك يشاهد في أقطار الدنيا قديماً وحديثاً قلة وقوع القتل في البلاد التي تحكم بكتاب الله؛ لأن القصاص رادع عن جريمة القتل، كما ذكره الله في الآية المذكورة آنفاً. وما يزعمه أعداء الإسلام من أن القصاص غير مطابق للحكمة؛ لأن فيه إقلال عدد المجتمع بقتل إنسان ثان بعد أن مات الأول، وأنه ينبغي أن يعاقب بغير القتل فيحبس، وقد يولد له في الحبس فيزيد المجتمع، كله كلام ساقط، عار من الحكمة؛ لأن الحبس لا يردع الناس عن القتل، فإذا لم تكن العقوبة رادعة فإن السفهاء يكثر منهم القتل، فيتضاعف نقص المجتمع بكثرة القتل.



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٥)

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: قطع يد السارق المنصوص عليه بقوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٣٨]، وقال النبي ﷺ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(١).

وجمهور العلماء على أن القطع من الكوع، وأنها اليمنى، وكان ابن مسعود وأصحابه يقرءون «فأقطعوا أيماهما».

والجمهور أنه إن سرق ثانياً قطعت رجله اليسرى، ثم إن سرق فيده اليسرى، ثم إن سرق فرجله اليمنى، ثم يعزر، كما جاء في الحديث: «لَا تُقَطَّعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»^(٢) كما هو معروف في الأحاديث.

وليس قصدنا هنا تفصيل أحكام السرقة، وشروط القطع، كالنصاب والإخراج من حرز، ولكن مرادنا أن نبين أن قطع يد السارق من هدي القرآن للتي هي أقوم.

وذلك أن هذه اليد الخبيثة الخائنة، التي خلقها الله لتبش وتكتسب في كل ما يرضيه من امتثال أو امره، واجتناب نهيه، والمشاركة في بناء المجتمع الإنساني - فمدت أصابعها الخائنة إلى مال الغير لتأخذه بغير حق، واستعملت قوة البطش المودعة فيها في الخيانة والغدر، وأخذ أموال الناس على هذا الوجه القبيح يد نجسة قدرة، ساعية في الإخلال بنظام المجتمع، إذ لا نظام له بغير المال، فعاقبها خالقها بالقطع والإزالة،

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٥)، وصحيح مسلم برقم (١٦٨٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٧٨٩) وصحيح مسلم برقم (١٦٨٤) واللفظ له.



موسوعنا الدرر المنتقاة

٢٣٩

كالعضو الفاسد الذي يجر الداء بسائر البدن، فإنه يزال بالكلية، إبقاء على البدن، وتطهيراً له من المرض. ولذلك فإن قطع اليد يطهر السارق من دنس ذنب ارتكاب معصية السرقة، مع الردع البالغ بالقطع عن السرقة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس، فقال: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُسْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بَبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ»^(١)، أه، وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح: «فهو كفارة» نص صريح في أن الحدود تطهر المرتكبين لها من الذنب.

والتحقيق في ذلك ما حققه بعض العلماء: من أن حقوق الله يطهر منها بإقامة الحد، وحق المخلوق يبقى، فارتكاب جريمة السرقة مثلاً يطهر منه بالحد، والمؤاخذة بالمال تبقى؛ لأن السرقة علة موجبة حكمين: وهما القطع، والغرم. كَالْقَطْعِ

قال في مراقي السعود:

وَذَاكَ فِي الْحُكْمِ الْكَثِيرِ أَطْلَقَهُ كَالْقَطْعِ مَعَ غُرْمِ نَصَابِ السَّرِقَةِ

مع أن جماعة من أهل العلم قالوا: لا يلزمه الغرم مع القطع، لظاهر الآية الكريمة، فإنها نصت على القطع ولم تذكر غرمًا.

(١) صحيح البخاري برقم (١٨)، وصحيح مسلم برقم (١٧٠٩) واللفظ للبخاري.



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٥)

وقال جماعة: يغرم المسروق مطلقاً، فات أو لم يفت، معسراً كان أو موسراً، ويتبع به ديناً إن كان معسراً.

وقال جماعة: يرد المسروق إن كان قائماً، وإن لم يكن قائماً رد قيمته إن كان موسراً، فإن كان معسراً فلا شيء عليه ولا يتبع به ديناً.

والأول مذهب أبي حنيفة، والثاني مذهب الشافعي وأحمد، والثالث: مذهب مالك.

وقطع السارق كان معروفاً في الجاهلية فأقره الإسلام. وعقد ابن الكلبي باباً لمن قطع في الجاهلية بسبب السرقة، فذكر قصة الذين سرقوا غزال الكعبة فقطعوا في عهد عبد المطلب. وذكر ممن قطع في السرقة عوف بن عبد بن عمرو بن مخزوم، ومقيس بن قيس بن عدي بن سهم وغيرهما، وأن عوفاً السابق لذلك - انتهى.

وكان من هدايا الكعبة صورة غزالين من ذهب، أهدتهما الفرس لبيت الله الحرام، كما عقده البدوي الشنقيطي في نظم عمود النسب بقوله:

وَمِنْ خَبَايَاهُ غَزَالًا ذَهَبُ أَهَدَتْهُمَا الْفُرْسُ لِبَيْتِ الْعَرَبِ

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: وقد قطع السارق في الجاهلية، وأول من حكم بقطعه في الجاهلية الوليد ابن المغيرة، فأمر الله بقطعه في الإسلام، فكان أول سارق قطعه رسول الله ﷺ في الإسلام من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل ابن عبد مناف، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الأسد من بني مخزوم. وقطع أبو بكر يد اليماني الذي سرق العقد، وقطع عمر يد ابن سمرة أخي عبدالرحمن بن سمرة اهـ.

قال مقيده - عفا الله عنه -: ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ اللهُ من أن المخزومية



موسوع من الدرر المنتقاة

٢٤١

التي سرقت فقطع النبي ﷺ يدها أولاً، هي مرة بنت سفيان؛ خلاف التحقيق. والتحقيق أنها فاطمة بنت الأسود ابن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهي بنت أخي أبي سلمة بن عبد الأسد الصحابي الجليل الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ؛ قتل أبوها كافرًا يوم بدر، قتله حمزة بن عبد المطلب رضي عنه. وقطع النبي ﷺ يدها وقع في غزوة الفتح، وأما سرقة أم عمرو بنت سفيان بن عبد الأسد ابنة عم المذكورة، وقطع النبي ﷺ يدها ففي حجة الوداع، بعد قصة الأولى بأكثر من سنتين.

فإن قيل: روى الشيخان في صحيحيهما، من حديث ابن عمر رضي عنهما: أن النبي ﷺ قَطَعَ فِي مِجَنٍّ ثَمَنُهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمٍ^(١)، وَفِي لَفْظٍ بَعْضُهُمْ: قِيمَتُهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمٍ^(٢).

وأخرج الشيخان في صحيحيهما، من حديث عائشة رضي عنها: أن النبي ﷺ قال: «لَا تُقَطَّعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعٍ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»^(٣)، والأحاديث بمثل هذا كثيرة جدًا، مع أنه عرف من الشرع أن اليد فيها نصف الدية، ودية الذهب ألف دينار؟ فتكون دية اليد خمسمائة دينار، فكيف تؤخذ في مقابلة ربع الدينار؟ وما وجه العدالة والإنصاف في ذلك.

فالجواب: أن هذا النوع من اعتراضات الملحدين الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، هو الذي نظمه المعري بقوله:

(١) صحيح البخاري برقم (٦٧٩٥)، وصحيح مسلم برقم (١٦٨٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٧٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١٦٨٦).

(٣) سبق تخريجه.



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٥)

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسَجْدُ فُديت ما بالها قُطعت في ربع دينار

وللعلماء عنه أجوبة كثيرة نظماً ونثراً، منها قول القاضي عبدالوهاب
مجيباً له في بحره ورويه:

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَ أَرْخَصَهَا ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

وقال بعضهم: لما خانت هانت. ومن الواضح أن تلك اليد الخسيصة
الخائنة لما تحملت رذيلة السرقة، وإطلاق اسم السرقة عليها في شيء
حقير كثمن المعجن والأترجة، كان من المناسب المعقول أن تؤخذ في
ذلك الشيء القليل، الذي تحملت فيه هذه الرذيلة الكبرى.وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة: ثم إنا أجبنا عن
هذا الطعن، بأن الشرع إنما قطع يده لسبب أنه تحمل الدناءة والخساسة
في سرقة ذلك القدر القليل، فلا يبعد أن يعاقبه الشرع بسبب تلك الدناءة
هذه العقوبة العظيمة اهـ.فانظر ما يدعو إليه القرآن: من مكارم الأخلاق، والتنزّه عما لا يليق،
وقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً يدل على أن التشريع السماوي
يضع درجة الخائن من خمسمائة درجة إلى ربع درجة، فانظر هذا الحط
العظيم لدرجته، بسبب ارتكاب الرذائل.وقد استشكل بعض الناس قطع يد السارق في السرقة خاصة دون
غيرها من الجنایات على الأموال، كالغصب، والانتهاب، ونحو ذلك.قال المازري ومن تبعه: صان الله الأموال بإيجاب قطع سارقها،
وخص السرقة لقلّة ما عداها بالنسبة إليها، من الانتهاب والغصب،
ولسهولة إقامة البينة على ما عدا السرقة بخلافها، وشدّد العقوبة فيها

موسوعنا الدرر المنتقاة

٢٤٣

ليكون أبلغ في الزجر، ولم يجعل دية الجناية على العضو المقطوع منها بقدر ما يقطع فيه حماية لليد، ثم لما خانت هانت، وفي ذلك إثارة إلى الشبهة التي نسبت إلى أبي العلاء المعري في قوله:

يَدُ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسَجِدٍ وَوَدَيْتُ مَّا بِأَلْهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ

فأجابه القاضي عبدالوهاب المالكي بقوله:

صِيَانَةُ الْعُضْوِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا خِيَانَةُ الْمَالِ فَافْهَمَ حِكْمَةَ الْبَارِي

وشرح ذلك: أن الدية لو كانت ربع دينار لكثرت الجنایات على الأيدي، ولو كان نصاب القطع خمسمائة دينار لكثرت الجنایات على الأموال، فظهرت الحكمة في الجانبين، وكان في ذلك صيانة من الطرفين.

وقد عسر فهم المعنى المقدم ذكره في الفرق بين السرقة وبين النهب ونحوه على بعض منكري القياس، فقال: القطع في السرقة دون الغصب وغيره غير معقول المعنى، فإن الغصب أكثر هتكاً للحرمة من السرقة، فدل على عدم اعتبار القياس؛ لأنه إذا لم يعمل به في الأعلى فلا يعمل به في المساوي.

وجوابه: أن الأدلة على العمل بالقياس أشهر من أن يتكلف لإيرادها. وستأتي الإشارة إلى شيء من ذلك في كتاب الأحكام اه بواسطة نقل ابن حجر في فتح الباري.

قال مقيده - عفا الله عنه - : الفرق بين السرقة وبين الغصب ونحوه الذي أشار إليه المازري ظاهر، وهو أن النهب والغصب ونحوهما قليل بالنسبة إلى السرقة، ولأن الأمر الظاهر غالباً توجد البيئة عليه بخلاف السرقة، فإن السارق إنما يسرق خفية بحيث لا يطلع عليه أحد، فيعسر



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾ رقم (٥)

الإنصاف منه، فغلظت عليه الجناية ليكون أبلغ في الزجر. والعلم عند الله تعالى.

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: رجم الزاني المحصن ذكراً كان أو أنثى، وجلد الزاني البكر مائة جلدة ذكراً كان أو أنثى.

أما الرجم: فهو منصوص بآية منسوخة التلاوة باقية الحكم، وهي قوله تعالى: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»

وقد قدمنا ذم القرآن للمعرض عما في التوراة من حكم الرجم، فدل القرآن في آيات محكمة: كقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ... ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٤١] الآية، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ٢٣] الآية - على ثبوت حكم الرجم في شريعة نبينا ﷺ لذمه في كتابنا للمعرض عنه كما تقدم.

وما ذكرنا من أن حكم الرجم ثابت بالقرآن لا ينافي قول علي رضي الله عنه، حِينَ رَجِمَ الْمَرْأَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَالَ: «قَدْ رَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١)؛ لأن السنة هي التي بينت أن حكم آية الرجم باق بعد نسخ تلاوتها. ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه في الحديث الصحيح المشهور: «فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الرَّجْمِ، فَفَرَّأْنَاهَا، وَعَقَلْنَاهَا، وَوَعَيْنَاهَا، رَجِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٧٤) برقم (١١٨٥)، وقال محققوه: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيحين.



موسوعتنا الدرر المنتقاة

٢٤٥

وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ ^(١) الحديث.

والملحدون يقولون: إن الرجم قتل وحشي لا يناسب الحكمة التشريعية، ولا ينبغي أن يكون مثله في الأنظمة التي يعامل بها الإنسان، لقصور إدراكهم عن فهم حكم الله البالغة في تشريعه.

والحاصل: أن الرجم عقوبة سماوية معقولة المعنى؛ لأن الزاني لما أدخل فرجه في فرج امرأة على وجه الخيانة والغدر، فإنه ارتكب أخس جريمة عرفها الإنسان بهتك الأعراس، وتقدير الحرمات، والسعي في ضياع أنساب المجتمع الإنساني. والمرأة التي تطاوعه في ذلك مثله. ومن كان كذلك فهو نجس قدر لا يصلح للمصاحبة، فعاقبه خالقه الحكيم الخبير بالقتل ليدفع شره البالغ غاية الخبث والخسة، وشر أمثاله عن المجتمع، ويظهره هو من التنجيس بتلك القاذورة التي ارتكب، وجعل قتلته أفضح قتله؛ لأن جريمته أفضح جريمة، والجزاء من جنس العمل.

وقد دل الشرع المطهر على أن إدخال الفرج في الفرج المأذون فيه شرعاً يوجب الغسل، والمنع من دخول المسجد على كل واحد منهما حتى يغتسل بالماء. فدل ذلك أن ذلك الفعل يتطلب طهارة في الأصل، وطهارته المعنوية إن كان حراماً قتل صاحبه المحصن؛ لأنه إن رجم كفر ذلك عنه ذنب الزنى، ويبقى عليه حق الأدمي، كالزوج إن زنى بمتزوجة، وحق الأولياء في إلحاق العار بهم كما أشرنا له سابقاً. وشدة قبح الزنى أمر مركز في الطبائع، وقد قالت هند بنت عتبة وهي كافرة: ما أقبح ذلك الفعل حالاً! فكيف به وهو حرام، وغلظ بِحَبْلِ وَجَدِهَا عقوبة المحصن

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (٦٨٣٠)، ومسلم برقم (١٦٩١).



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٥)

بالرجم تغليظاً أشد من تغليظ عقوبة البكر بمائة جلدة؛ لأن المحصن قد ذاق عسيلة النساء، ومن كان كذلك يعسر عليه الصبر عنهن، فلما كان الداعي إلى الزنى أعظم، كان الرادع عنه أعظم وهو الرجم.

وأما جلد الزاني البكر ذكراً كان أو أنثى مائة جلدة: فهذا منصوص بقوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ... ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٢] لأن هذه العقوبة تردعه وأمثاله عن الزنى، وتطهره من ذنب الزنى كما تقدم. وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل ما يلزم الزناة من ذكور وإناث، وعبيد وأحرار في «سورة النور».

وتشريع الحكيم الخبير بِحَمْدِهِ وَبِعِلْمِهِ مشتمل على جميع الحكم من درء المفساد وجلب المصالح، والجري على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، ولا نشك أن من أقوم الطرق معاقبة فظيع الجناية بعظيم العقاب جزاءً وفاقاً^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٥٠٩-٥١٨).



الكلمة الرابعة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٦)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم هديه إلى أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين، فما خيِّله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام: من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطل لا أساس له، والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين، والتحلي بأدابه الكريمة، وتعاليمه السماوية؛ قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [سورة الأنفال، الآية رقم: ٦٠]، وقال: ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدِرٍ فِي السَّرِّدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة سبأ، الآية رقم: ١١]، فقله: ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدِرٍ فِي السَّرِّدِ ﴾ يدل على الاستعداد لمكافحة العدو، وقوله: ﴿ وَأَعْمَلُوا صَليحًا ﴾ يدل على أن ذلك الاستعداد لمكافحة العدو في حدود الدين الحنيف، وداود من أنبياء «سورة الأنعام» المذكورين فيها في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ ﴾ الآية، وقد قال تعالى مخاطباً لنبينا ﷺ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ٩٠].



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٦) ■

وقد ثبت في صحيح البخاري عن مجاهد أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما:
من أين أخذت السجدة في ﴿ص﴾؟ فقال: أو ما تقرأ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
دَاوُدَ... أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفْتَدُ﴾ فسجدها داود، فسجدها
رسول الله ﷺ (١).

فدل ذلك على أنا مخاطبون بما تضمنته الآية مما أمر به داود. فعلينا
أن نستعد لكفاح العدو من التمسك بديننا، وانظر قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا
لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ فهو أمر جازم بإعداد كل ما في الاستطاعة من
قوة، ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت، فهو أمر جازم بمسايرة التطور
في الأمور الدنيوية، وعدم الجمود على الحالات الأولى إذا طرأ تطور
جديد، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين.

ومن أوضح الأدلة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ
الصَّلَاةَ فَلَنُقِمَنَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِسَلِحَتِهِمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
مِنْ وِرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ...﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٠٢]. فصلاة الخوف
المذكورة في هذه الآية الكريمة تدل على لزوم الجمع بين مكافحة العدو،
وبين القيام بما شرعه الله ﷻ من دينه، فأمره تعالى في هذه الآية
بإقامة الصلاة في وقت التحام الكفاح المسلح يدل على ذلك دلالة في
غاية الوضوح. وقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية رقم:
٤٥]، فأمره في هذه الآية الكريمة بذكر الله كثيراً عند التحام القتال يدل
على ذلك أيضاً دلالة واضحة. فالكفار خيلوا لضعاف العقول أن النسبة

(١) برقم (٤٨٠٧).

موسوعنة الدرر المنتقاة

٢٤٩

بين التقدم والتمسك بالدين، والسمت الحسن، والأخلاق الكريمة تباين مقابلة كتباين النقيضين، كالعدم والوجود، والنفي والإثبات، أو الضدين كالسواد والبياض، والحركة والسكون، أو المتضائفين كالأبوة والبنوة، والفوق والتحت، أو العدم والملكة كالبصر والعمى.

فإن الوجود والعدم لا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد من جهة واحدة، وكذلك الحركة والسكون مثلاً، وكذلك الأبوة والبنوة، فكل ذات ثبتت لها الأبوة لذات استحالت عليها البنوة لها، بحيث يكون شخص أباً وبنياً لشخص واحد؛ كاستحالة اجتماع السواد والبياض في نقطة بسيطة، أو الحركة والسكون في جرم، وكذلك البصر والعمى لا يجتمعان.

فخيلوا لهم أن التقدم والتمسك بالدين متباينان تباين مقابلة، بحيث يستحيل اجتماعهما؛ فكان من نتائج ذلك انحلالهم من الدين رغبة في التقدم فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

والتحقيق: أن النسبة بين التقدم والتمسك بالدين بالنظر إلى العقل وحده، وقطع النظر عن نصوص الكتاب والسنة إنما هي تباين المخالفة، وضابط المتباينين تباين المخالفة أن تكون حقيقة كل منهما في حد ذاتها تباين حقيقة الآخر، ولكنهما يمكن اجتماعهما عقلاً في ذات أخرى، كالبياض والبرودة، والكلام والقعود، والسواد والحلاوة.

فحقيقة البياض في حد ذاتها تباين حقيقة البرودة، ولكن البياض والبرودة يمكن اجتماعهما في ذات واحدة كالثلج، وكذلك الكلام والقعود، فإن حقيقة الكلام تباين حقيقة القعود، مع إمكان أن يكون الشخص الواحد قاعداً متكلماً في وقت واحد. وهكذا فالنسبة بين



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقمه (٦) ■

التمسك بالدين والتقدم بالنظر إلى حكم العقل من هذا القبيل، فكما أن الجرم الأبيض يجوز عقلاً أن يكون بارداً كالثلج، والإنسان القاعد يجوز عقلاً أن يكون متكلماً، فكذلك المتمسك بالدين يجوز عقلاً أن يكون متقدماً، إذ لا مانع في حكم العقل من كون المحافظ على امثال أوامر الله واجتناب نواهيه، مشغولاً في جميع الميادين التقدمية كما لا يخفى، وكما عرفه التاريخ للنبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان. أما بالنظر إلى نصوص الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ [سورة الحج، الآية رقم: ٤٠]، وقوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الروم، الآية رقم: ٤٧]، وقوله: ﴿ وَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الروم، الآية رقم: ١٧١-١٧٣]، ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْقَلْبُونَ ﴾ [سورة الصافات، الآيات رقم: ١٧١-١٧٣]، وقوله: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة المجادلة، الآية رقم: ٢١]، ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة غافر، الآية رقم: ٥١]، وقوله: ﴿ قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ١٤]، ونحو ذلك من الآيات وما في معناها من الأحاديث.

فإن النسبة بين التمسك بالدين والتقدم، كالنسبة بين الملزوم ولازمه؛ لأن التمسك بالدين ملزوم للتقدم، بمعنى أنه يلزم عليه التقدم، كما صرحت به الآيات المذكورة. ومعلوم أن النسبة بين الملزوم ولازمه لا تعدو أحد أمرين: إما أن تكون المساواة، أو الخصوص المطلق؛ لأن الملزوم لا يمكن أن يكون أعم من لازمه. وقد يجوز أن يكون مساوياً له، أو أخف منه، ولا يتعدى ذلك. ومثال ذلك: الإنسان مثلاً، فإنه ملزوم للبشرية والحيوانية، بمعنى أن الإنسان يلزم على كونه إنساناً أن يكون بشراً وأن يكون حيواناً، وأحد هذين اللازمين مساوٍ له في الماصدق



موسوع عن الدرر المنتقاة

٢٥١

وهو البشر. والثاني أعم منه ما صدقاً وهو الحيوان، فالإنسان أخص منه خصوصاً مطلقاً كما هو معروف.

فانظر كيف خيلوا لهم أن الربط بين الملزوم ولازمه، كالتنافي الذي بين النقيضين والضدين، وأطاعوهم في ذلك لسذاجتهم وجهلهم وعمى بصائرهم، فهم ما تقولوا على الدين الإسلامي ورموه بما هو منه بريء إلا لينفروا منه ضعاف العقول ممن ينتمي للإسلام؛ ليتمكنهم الاستيلاء عليهم؛ لأنهم لو عرفوا الدين حقاً واتبعوه لفعلوا بهم ما فعل أسلافهم بأسلافهم، فالدين هو هو وصلته بالله هي هي، ولكن المنتسبين إليه في جل أقطار الدنيا تنكروا له، ونظروا إليه بعين المقت والازدراء؛ فجعلهم الله أرقاء للكفرة الفجرة؛ ولو راجعوا دينهم لرجع لهم عزهم ومجدهم، وقادوا جميع أهل الأرض. وهذا مما لا شك فيه: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيَبْلُوَنَّكُمْ بِبَعْضِ﴾ (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٥١٨-٥٢٢).





الكلمة الخامسة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٧)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم بيانه أن كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح، مخرج من الملة الإسلامية.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ آوِيَائِهِمْ ﴾ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوا، وما ذبحتم أنتم فكلوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢١] ^(١).

﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ آوِيَائِهِمْ لِيُجَدِّ لَوْكُمْ ^ط وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ^{١٢١} ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٢١].

وحذف الفاء من قوله ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ^{١٢١} ﴾ يدل على قسم محذوف

(١) برقم (٢٨١٨) وحسنه الشيخ مقبل الوادعي رحمته الله كما في صحيح المسند من أسباب النزول (ص ١١٠).



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٧)

على حد قوله في الخلاصة:

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهُوَ مُلْتَزِمٌ

إذ لو كانت الجملة جواباً للشرط لاقرنت بالفاء على حد قوله في
الخلاصة أيضاً:

وَاقْرُنْ بِفَا حَتْمًا جَوَابًا لَوْ جُعِلَ شَرْطًا لِإِنْ أَوْ غَيْرِهَا لَمْ يَنْجَعِلْ

فهو قسم من الله **تَجِدُ** أقسم به على أن من اتبع الشيطان في تحليل الميتة أنه مشرك، وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين، وسيوبخ الله مرتكبه يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة يس، الآية رقم: ٦٠]، لأن طاعته في تشريعه المخالف للوحي هي عبادته، وقال تعالى: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١١٧] أي ما يعبدون إلا شيطاناً، وذلك باتباعهم تشريعه. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٣٧] الآية، فسماهم شركاء؛ لأنهم أطاعوهم في معصية الله تعالى. وقال تعالى عن خليله: ﴿ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ [سورة مريم، الآية رقم: ٤٤] الآية، أي: بطاعته في الكفر والمعاصي. ولما سأل عدي بن حاتم النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ٣١] الآية، بين له أن معنى ذلك أنهم أطاعوهم في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم. والآيات بمثل هذا كثيرة.

موسوعتنا الدرر المنتقاة

٢٥٥

والعجب ممن يحكم غير تشريع الله ثم يدعي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١١٤] ^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشيخ الشنقيطي (٣/ ٥٢٢-٥٢٤).





الكلمة السادسة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾ رقم (٨)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع، وأن ينادى بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام؛ لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك بساقك، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^(١). ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس، وإرادة الأخ تنبيهاً على أن رابطة الإسلام تجعل أبا المسلم كمنفسه، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٨٤]، الآية، أي: لا تخرجون إخوانكم، وقوله تعالى: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠١١)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٦)، واللفظ له من

حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٨) ■

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا ﴿ [سورة النور، الآية رقم: ١٢] أي بإخوانهم على أصح التفسيرين، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [سورة الحجرات، الآية رقم: ١١]، الآية أي: إخوانكم على أصح التفسيرين، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٨٨]، أي: لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات، ولذلك ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

ومن الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية: قوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [سورة المجادلة، الآية رقم: ٢٢]، إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ﴾ [سورة الحجرات، الآية رقم: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٠٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية: لا يجوز، ولا شك أنه ممنوع باجتماع المسلمين.

ومن أصرح الأدلة في ذلك: ما رواه البخاري في صحيحه قال:

(١) صحيح البخاري برقم (١٣) وصحيح مسلم برقم (٤٥).



موسى عن الذر المنقاة

باب قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون، الآية رقم: ٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار!! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!! فسمِعها الله رسوله صلى الله عليه وسلم قال: «ما هذا؟» فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دَعُوها فَإِنَّها مُتَنِّتَةٌ..» (١) الحديث. فقول هذا الأنصاري: يا للأنصار، وهذا المهاجري: يا للمهاجرين؛ هو النداء بالقومية العصبية بعينه، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «دَعُوها فَإِنَّها مُتَنِّتَةٌ» يقتضي وجوب ترك النداء بها؛ لأن قوله: «دَعُوها» أمر صريح بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب على التحقيق كما تقرر في الأصول؛ لأن الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٦٣]، ويقول إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ١٢]، فدل على أن مخالفة الأمر معصية. وقال تعالى عن نبيه موسى في خطابه لأخيه: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [سورة طه، الآية رقم: ٩٣] فأطلق اسم المعصية على مخالفة الأمر؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب، الآية رقم: ٣٦]، فدلَّت الآية على أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم مانع من الاختيار، موجب للامتثال، لا سيما

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٠٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٤).



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٨)

وقد أكد النبي ﷺ هذا الأمر بالترك بقوله: «فإنها مُتِنَّةٌ»، وحسبك بالتن موجباً للتباعد؛ لدلالته على الخبث البالغ.

فدل هذا الحديث الصحيح على أن النداء برابطة القومية مخالف لما أمر به النبي ﷺ، وأن فاعله يتعاطى المتن، ولا شك أن المتن خبيث، والله تعالى يقول: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٢٦]، ويقول تعالى: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ١٥٧].

وفي قول النبي ﷺ السابق: «دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُتِنَّةٌ» دلالة على التَّحْرِيمِ، مَعَ أَنَّ فِي بَعْضِ رِوَايَاتِهِ الثَّابِتَةِ فِي الصَّحِيحِ التَّصْرِيحَ بِأَنَّ دَعْوَى الرَّجُلِ: «يَا لِبَنِي فُلَانٍ» مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ^(١). وَإِذَا صَحَّ بِذَلِكَ أَنَّهَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»، وفي رواية في الصحيح: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»^(٢). وذلك صريح في أن من دعا تلك الدعوى ليس منا، وهو دليل واضح على التحريم الشديد. قال أبي: كنا نؤمر: «إِذَا الرَّجُلُ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تَكُونُوا»^(٣).

فانظر كيف سمى النبي ﷺ ذلك النداء «عَزَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ» وأمر أن يقال للداعي به: «اعضض على هن أبيك» أي: فرجه، وأن يصرح له

(١) قوله في الحديث: ما بال دعوى أهل الجاهلية، صحيح البخاري برقم (٣٥١٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢٩٨)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣) واللفظ له.

(٣) مسند الإمام أحمد (١٥٨ / ٣٥) برقم (٢١٢٣٦)، وقال محققوه: حديث حسن.



موسى عن الذرذرة المنقلا

بذلك ولا يعبر عنه بالكناية. فهذا يدل على شدة قبح هذا النداء، وشدة بغض النبي ﷺ له.

واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة.

وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٧٠]، وأمثال ذلك من الآيات.

واعلم أنه لا خلاف بين العلماء - كما ذكرنا آنفاً - في منع النداء برابطة غير الإسلام؛ كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية؛ فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي: أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً، على أن يتعاض من ذلك روابط عصبية قومية، مدارها على أن هذا من العرب، وهذا منهم أيضاً مثلاً؛ فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفاً من الإسلام، واستبدالها به صفقة خاسرة؛ فهي كما قال الراجز:

بَدَلْتِ بِالْجُمَّةِ رَأْسًا أَرْعَرًا وَبِالْتَّنَائِيَا الْوَاضِحَاتِ الدُّرْدُرَا

كَمَا اشْتَرَى الْمُسْلِمُ إِذْ تَنَصَّرَا

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى .

وقد بين الله ﷻ في محكم كتابه: أن الحكمة في جعله بني آدم



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٨) ■

شعوبًا وقبائل هي التعارف فيما بينهم، وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها؛ قال بِحُجْرَةٍ وَعَلَا: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات، الآية رقم: ١٣] فاللام في قوله: ﴿ لِتَعَارَفُوا ﴾ لام التعليل، والأصل لتعارفوا، وقد حذفت إحدى التاءين. فالتعارف هو العلة المشتملة على الحكمة لقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ﴾. ونحن حين نصرح بمعنى النداء بالروابط العصبية والأوامر النسبية، ونقيم الأدلة على منع ذلك لا ننكر أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما نفع الله نبيه ﷺ بعمه أبي طالب. وقد بين الله بِحُجْرَةٍ وَعَلَا أن عطف ذلك العم الكافر على نبيه ﷺ من منن الله عليه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ ﴿٦﴾ [سورة الضحى، الآية رقم: ٦]، أي: آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.

ومن آثار هذه العصبية النسبية قول أبي طالب فيه ﷺ:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثُّرَابِ دَفِينَا

وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعيبًا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كما قال تعالى عن قومه: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ [سورة هود، الآية رقم: ٩١].

وقد نفع الله بها نبيه صالحًا أيضًا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كما أشار تعالى لذلك بقوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ [سورة النمل، الآية رقم: ٤٩]، فقد دلت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح، ولذلك لم يفكروا أن يفعلوا به سوءًا إلا ليلاً خفية، وقد عزموا أنهم إن

﴿مَوْسُوْنُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْمُتَنَبِّهَاتِ﴾

٢٦٣

فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفاً منهم. ولَمَّا كان لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا عصبية له في قومه ظهر فيه أثر ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِىَ بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٨٠﴾ [سورة هود، الآية رقم: ٨٠]، وقد قدمنا هذا مستوفى.

فيلزم الناظر في هذه المسألة أن يفرق بين الأمرين، ويعلم أن النداء بروابط القوميات لا يجوز على كل حال، ولا سيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام، وإزالتها بالكلية بدعوى أنه لا يساير التطور الجديد، أو أنه جمود وتأخر عن مسابرة ركب الحضارة؛ نعوذ بالله من طمس البصيرة. وأن منع النداء بروابط القوميات لا ينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية، والأواصر العصبية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما وقع من أبي طالب للنبي ﷺ، وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»^(١). ولكن تلك القرابات النسبية لا يجوز أن تجعل هي الرابطة بين المجتمع، لأنها تشمل المسلم والكافر، ومعلوم أن المسلم عدو الكافر، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة الحشر، الآية رقم: ٢٢].

والحاصل: أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة «لا إله إلا الله»، ألا ترى أن هذه الرابطة هي التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضاً، عطف قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع

(١) صحيح مسلم برقم (١١١).



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٨) ■

ما بينهم من الاختلاف قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [سورة غافر، الآيات رقم: ٧-٩]، فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا الله لهم هذا الدعاء الصالح العظيم، إنما هي الإيمان بالله **بِحَبْلِ وَعَصَلَا**؛ لأنه قال عن الملائكة: ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ ﴾ فوصفهم بالإيمان، وقال عن بني آدم في استغفار الملائكة لهم: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فوصفهم أيضًا بالإيمان، فدل ذلك على أن الرابطة بينهم هي الإيمان، وهو أعظم رابطة.

ومما يوضح لك أن الرابطة الحقيقية هي دين الإسلام قوله تعالى في أبي لهب عم النبي ﷺ: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ ﴿٣﴾ [سورة المسد، الآية رقم: ٣]، ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسي من الفضل والمكانة عند النبي ﷺ والمسلمين، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال فيه: «سَلْمَانَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(١).

لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامَ سَلْمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الشَّرْكَ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبٍ

وقد أجمع العلماء: على أن الرجل إن مات، وليس له من القرباء

(١) مستدرک الحاکم (٧٨٣/٤) برقم (٦٥٩٩)، وضعفه الذهبي كما في سير أعلام النبلاء (١/٥٤).



موسوعنا الدرر المنتقاة

٢٦٥

إلا ابن كافر، أن إرثه يكون للمسلمين بأخوة الإسلام، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر، والميراث دليل القرابة، فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من البنوة النسبية.

وبالجملة، فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط بين أهل الأرض والسماء هي رابطة «لا إله إلا الله» فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها. ومن وإلى الكفار بالروابط النسبية محبة لهم ورغبة فيهم يدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٥١] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الأنفال، الآية رقم: ٧٣]، والعلم عند الله تعالى^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٥٢٤-٥٣٢).





الكلمة السابعة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٩)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن هدي القرآن الكريم للطريق التي هي أقوم وأعدل، المصالح التي عليها مدار الشرائع الثلاثة وهي:

١- الأولى: درء المفسدات المعروف عند أهل علم الأصول بالضروريات.

٢- الثانية: جلب المصالح المعروف عند أهل علم الأصول بالحاجيات.

٣- الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، المعروف عند أهل علم الأصول بالتحسينيات والتميميات.

وكل هذه المصالح الثلاث هدى فيها القرآن العظيم للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها.

□ فالضروريات التي هي درء المفسدات: إنما هي درؤها عن ستة أشياء:

الأولى: الدين، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها،

كما قال تعالى: ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ ﴾

[سورة البقرة، الآية رقم: ١٩٣]، وفي آية الأنفال: ﴿ وَيَكُونَ

الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الآية رقم: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ نُقَتِّلُوهُمْ



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٩) ■

أَوْ سَلِمُونَ ﴿ [سورة الفتح، الآية رقم: ١٦]، وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»^(١) الحديث، وقال ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ»^(٢)، إلى غير ذلك من الأدلة في المحافظة على الدين.

والثاني: النفس، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليها بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك أوجب القصاص حيوياً يتأولي الألباب لعلكم تتقون تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿ كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ [سورة جعنا لولييه سلطاناً ﴿ [سورة الإسراء، الآية رقم: ٣٣].

الثالث: العقل، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ [سورة المائدة، الآيتان رقم: ٩٠-٩١]، وقال ﷺ: «وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»^(٣)، وقال: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»^(٤) كما قدمنا ذلك مستوفى في «سورة النحل» وللمحافظة على العقل أوجب ﷺ حد الشارب درءاً للمفسدة عن العقل.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٠١٧).

(٣) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٠٠٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (١١ / ١١٩) برقم (٦٥٥٨)، وقال محققوه: صحيح.



موسوعتنا الدرر المنتقاة

٢٦٩

الرابع: النسب، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك حرم الزنى وأوجب فيه الحد الرادع، وأوجب العدة على النساء عند المفارقة بطلاق أو موت، لئلا يختلط ماء رجل بماء آخر في رحم امرأة محافظة على الأنساب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية رقم: ٣٢]، ونحو ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٢] وقد قدمنا آية الرجم والأدلة الدالة على أنها منسوخة التلاوة باقية الحكم، وقال تعالى في إيجاب العدة حفظاً للأنساب: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٣٤]، وإن كانت عدة الوفاة فيها شبه تعبد لوجوبها مع عدم الخلوة بين الزوجين.

ولأجل المحافظة على النسب منع سقي زرع الرجل بماء غيره؛ فمنع نكاح الحامل حتى تضع، قال تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق، الآية رقم: ٤].

الخامس: العرض، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، فنهى المسلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه، وأوجب عليه إن رماه بفرية حد القذف ثمانين جلدة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [سورة الحجرات، الآية رقم: ١٢]، وقبح **بِحِلِّ وَبَيْلَا** غيبة المسلم غاية التقيح؛ بقوله: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٩)

لَحَمَّ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ ، وقال:

﴿ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا نَنَابِرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
 الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الحجرات،
 الآية رقم: ١١]، وقال في إيجاب حد القاذف: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
 الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً
 أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة النور، الآيتان
 رقم: ٤-٥].

السادس: المال، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها؛
 ولذلك منع أخذه بغير حق شرعي؛ وأوجب على السارق حد
 السرقة، وهو قطع اليد كما تقدم؛ قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
 تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٢٩]، وقال
 تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ
 لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [سورة
 البقرة، الآية رقم: ١٨٨]، وقال: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
 أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة
 المائدة، الآية رقم: ٣٨]، وكل ذلك محافظة على المال ودرء
 للمفسدة عنه.

□ **جلب المصالح:** وقد جاء القرآن بجلب المصالح بأقوم الطرق
 وأعدلها؛ ففتح الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، قال تعالى:
 ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [سورة
 الجمعة، الآية رقم: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ

﴿موسى على الذرير المنقلا﴾

تَبَتَّعُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴿ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَخْرُوتُ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [سورة المزمل، الآية رقم: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿بِالْبَطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٢٩].

ولأجل هذا جاء الشرع الكريم بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع: ليستجلب كل مصلحة من الآخر، كالبيوع والإجازات والأكرية والمساقاة والمضاربة، وما جرى مجرى ذلك.

□ الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات: وقد جاء القرآن بذلك بأقوم الطرق وأعدلها، والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كثير جداً في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولذلك لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(١) لأن القرآن يشتمل على جميع مكارم الأخلاق؛ لأن الله تعالى يقول في نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية رقم: ٤].

فدل مجموع الآية وحديث عائشة على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق: أنه يكون على خلق عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق، وسنذكر لك بعضاً من ذلك تنبيهاً به على غيره.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٣٧]، فانظر ما في هذه الآية من الحض على مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل.

(١) مسند الإمام أحمد (٤٣/١٥) برقم (٢٥٨١٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٩) ■

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٨] فانظر ما في هذه الآيات من مكارم الأخلاق، والأمر بأن تعامل من عصى الله فيك بأن تطيعه فيه.

وقال تعالى: ﴿ ✽ ✽ ✽ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٣٦] فانظر إلى هذا من مكارم الأخلاق، والأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء، وقال تعالى: ﴿ ✽ ✽ ✽ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ ✽ ✽ ✽ يٰٓبَنِي ٓءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة الفرقان، الآية رقم: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة القصص، الآية رقم: ٥٥]. [٥٥].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما يدعو إليه القرآن من مكارم





الأخلاق ومحاسن العادات^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٥٣٢-٥٣٧).





الكلمة الثامنة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (١٠)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: هديه إلى حل المشاكل العالمية بأقوم الطرق وأعدلها. ونحن دائماً في المناسبات نبين هدي القرآن العظيم إلى حل ثلاث مشكلات، هي من أعظم ما يعانىه العالم في جميع المعمورة ممن ينتمي إلى الإسلام، تنبيهاً بها على غيرها:

المشكلة الأولى: هي ضعف المسلمين في أقطار الدنيا في العدد والعدد عن مقاومة الكفار. وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها؛ فبين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى، وقوة الإيمان به والتوكل عليه؛ لأن الله قوي عزيز، قاهر لكل شيء؛ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا.

فمن الأدلة المبينة لذلك: أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكري العظيم في غزوة الأحزاب المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (١٠) ■

﴿ ١١ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان رقم: ١٠-١١]، كان علاج ذلك هو ما ذكرنا؛ فانظر شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين، مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة واقتصاداً، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم، وحلوا به هذه المشكلة العظمى، هو ما بينه **بِحَمْدِهِ** في سورة الأحزاب بقوله: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية رقم: ٢٢].

فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسليم العظيم لله **بِحَمْدِهِ**، ثقة به وتوكلاً عليه، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى.

وقد صرح الله تعالى بنتيجة هذا العلاج بقوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية رقم: ٢٥] وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿ ٣٦ ﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿ ٢٧ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيات رقم: ٢٥-٢٧].

وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنون، ولا يحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية رقم: ٩]، ولما علم **بِحَمْدِهِ** من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل، ونوه عن إخلاصهم بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة الفتح، الآية رقم: ١٨]، أي: من الإيمان والإخلاص..

موسوعنة الدرر المنتقاة

٢٧٧

كان من نتائج ذلك ما ذكره الله بِحَمْدِهِ في قوله: ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [سورة الفتح، الآية رقم: ٢١] فصرح بِحَمْدِهِ في هذه الآية بأنهم لم يقدرُوا عليها، وأن الله بِحَمْدِهِ أحاط بها فأقدرهم عليها، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم.

فدلت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به هو السبب لقدرة الضعيف على القوي وغلبته له: ﴿ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٤٩]، وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ فعل في سياق النفي، والفعل في سياق النفي من صيغ العموم على التحقيق، كما تقرر في الأصول ووجهه ظاهر؛ لأن الفعل الصناعي - أعني الذي يسمى في الاصطلاح فعل الأمر أو الفعل الماضي أو الفعل المضارع - ينحل عند النحويين وبعض البلاغيين عن مصدر وزمن، كما أشار له في الخلاصة بقوله:

المصدرُ اسمٌ ما سِوَى الزمانِ مِنْ مَدلولِي الفعلِ كأَمِنٍ مِنْ أَمِنٍ

وعند جماعة من البلاغيين ينحل عن مصدر وزمن ونسبة، وهذا هو الظاهر كما حرره بعض البلاغيين، في بحث الاستعارة التبعية.

فالمصدر إذن كامن في مفهوم الفعل إجماعاً، فيتسلط النفي الداخل على الفعل على المصدر الكامن في مفهومه، وهو في المعنى نكرة، إذ ليس له سبب يجعله معرفة، فيئول إلى معنى النكرة في سياق النفي، وهي من صيغ العموم.

فقوله: ﴿ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ في معنى: لا قدرة لكم عليها، وهذا يعم



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (١٠)

سلب جميع أنواع القدرة؛ لأن النكرة في سياق النفي تدل على عموم السلب وشموله لجميع الأفراد الداخلة تحت العنوان، كما هو معروف في محله.

وبهذا تعلم أن جميع أنواع القدرة عليها مسلوب عنهم، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا أحاط بها فأقدرهم عليها، لما علم من الإيمان والإخلاص في قلوبهم: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَلِيُّونَ ﴾ [سورة الصافات، الآية رقم: ١٧٣].

المشكلة الثانية: هي تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح، وأنواع الإيذاء، مع أن المسلمين على الحق، والكفار على الباطل.

وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النبي ﷺ، فأفتى الله جَلَّ وَعَلَا فيها، وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه جَلَّ وَعَلَا.

وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أحد، فقتل عم رسول الله ﷺ وابن عمته، ومثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين، وقتل سبعون رجلاً من الأنصار، وجرح ﷺ، وشقت شفته، وكسرت ربايعته، وشج ﷺ.

استشكل المسلمون ذلك وقالوا: كيف ينال منا المشركون؟ ونحن على الحق وهم على الباطل؟! فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ فيه إجمال بينه تعالى بقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾



﴿موسى عن الذرر المنقلا﴾

﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ إِبْتِلَاءَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٥٢].

ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح؛ لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين، وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره ﷺ، وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً لها على أمر الرسول ﷺ، وقد أوضحنا هذا في سورة «آل عمران» ومن عرف أصل الداء عرف الدواء، كما لا يخفى.

المشكلة الثالثة: هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية، لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية رقم: ٤٦]، وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة «الأنفال».

فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمّر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك.

وقد بين تعالى في سورة «الحشر» أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل؛ قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية رقم: ١٤]، ولا شك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي؛ لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتاً، ويضيء الطريق للمتمسك به؛ فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً، والنافع نافعاً، والضار ضاراً؛ قال تعالى:



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (١٠) ■

﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيْسًا فَآحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلْمَةِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٥٧]، ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق؛ لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقًا، والباطل باطلاً، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ءَأَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الملك، الآية رقم: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [سورة فاطر، الآيات رقم: ١٩-٢٢]، وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة هود، الآية رقم: ٢٤] الآية، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذي كان فيه، ونورًا بدلاً من الظلمات التي كان فيها.

وهذا النور العظيم يكشف الحقائق كشفاً عظيماً؛ كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٣٥]، ولما كان تتبع جميع ما تدل عليه هذه الآية الكريمة من هدي القرآن للتي هي أقوم يقتضي تتبع جميع القرآن وجميع السنة؛ لأن العمل بالسنة من هدي القرآن للتي هي أقوم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [سورة الحشر، الآية

موسوع الدرز الشنقاية

رقم: ٧] وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن في هذا الكتاب المبارك،
اقتصرنا على هذه الجمل التي ذكرنا من هدي القرآن للتي هي أقوم
تنبيهًا بها على غيرها، والعلم عند الله تعالى^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) أعضاء البيان للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٥٣٧-٥٤٢).





الكلمة التاسعة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾ الآية.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن آيات القرآن الكريم التي تحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٩٠].

ذكر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في هذه الآية أنه يأمر خلقه بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وأنه ينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي، لأجل أن يتعظوا بأوامره ونواهيه، فيمثلوا أمره ويجتنبوا نهيه، وحذف مفعول يأمر وينهى لقصد التعميم، وأمر الله بالعدل في آيات من القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٥٨].

والعدل يكون بين العبد وربه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين الناس؛



تأملات في قوله تعالى:

﴿ ٢٨٤ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾

فهذه ثلاثة منازل من عدل فيها كلها فقد استكمل العدل.

قال ابن العربي: العدل بين العبد وبين ربه إيثار حقه تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه على هواه، والاجتناب للزواجر والامثال للأوامر. وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها، قال الله تعالى: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [سورة النازعات، الآية رقم: ٤٠].

وأما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه، ولا يكون منك إساءة إلى أحدٍ بقول ولا فعل، لا في سر ولا في علن، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى، وأقل ذلك الإنصاف وترك الأذى، قال القرطبي: هذا التفصيل في العدل حسن وعدل^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ - وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا»^(٢).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٩٠]، جمع الله في هذه الآية بين العدل والإحسان، فدل على أن الإحسان فضل زائد عن العدل.

ومن الآيات التي جُمع فيها بين الأمر بالعدل والتفضل بالإحسان قوله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ١٢٦]، فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ ﴾

(١) تفسير القرطبي (١٢/٤١٢-٤١٣) باختصار.

(٢) برقم (١٨٢٧).



موسوعنا الدرر المنتقاة

٢٨٥

خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ١٢٦]، وقوله: ﴿وَجَزَّوُا سَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فهذا عدل، ثم دعا إلى الإحسان بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْحَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى، الآية رقم: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ويدخل في ذلك جميع الأقارب قريبتهم وبعيدهم، لكن كل من كان أقرب كان أحق بالبر، وإنما خص الأقارب لأن حقوقهم أوكد، وصلتهم أوجب. وتأكيداً لحق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلتها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال -فيما يرويهِ عن ربه عن الرحم: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [سورة محمد، الآية رقم: ٢٢]»^(١).

وقد وردت آيات كثيرة فيها الأمر بإيتاء ذوي القربى حقوقهم وصلتهم والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿فَاتِّبِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الروم، الآية رقم: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُدْرَ تَبْذِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية رقم: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ .

الفحشاء كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر؛ كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقه والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٨٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٥٤).



تأملات في قوله تعالى:

﴿ ۲۸۶ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾

ذلك من الفواحش، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٥١].

والمنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٢١].

والبغي كل عدوان على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ٣٣].

«فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات ولم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى، فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه، وبها يُعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال. فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء، ولهذا قال ﴿ يَعْظُمُ بِهِ ﴾ أي بما بينه لكم في كتابه، يأمركم بما فيه غاية صلاحكم ونهيكم عما فيه مضرركم، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكروتموه وعقلتموه، عملتم بمقتضاه، فسعدتم سعادة لا شقاوة معها»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ (ص ٥٧٧).



الكلمة الأربعون:

«الزواج تجارة»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن نعم الله كثيرة متتابعة بتتابع الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) [سورة النحل، الآية رقم: ١٨]. ومن هذه النعم العظيمة نعمة الزواج وهو آية من آيات الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) [سورة الروم، الآية رقم: ٢١]. وهو من سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد، الآية رقم: ٣٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (١).

والنساء بالنسبة للزواج على قسمين:

١- امرأة تريد الزواج للدنيا إما للمال أو المنصب أو للسفر والمتعة، ومن كان هذه حالها فيوشك ألا تسعد ولا يسعد بها من تزوجها، فإنما لكل امرئ ما نوى.

(١) برقم (١٤٦٧).

٢- امرأة تريد الزواج للدين والخلق وللذرية الصالحة، ومن كان هذه حالها فيرجى لها السعادة في الدارين وأن تنال ما أملت، فتسعد ويسعد بها من حولها وترزق الذرية التي تقر بها عينها، والأمثلة على ذلك كثيرة».

قال مالك أبو أنس رضي الله عنه لامرأته أم سليم - وهي أم أنس -: إن هذا الرجل - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - يحرم الخمر، فانطلق حتى أتى الشام فهلك هناك. فجاء أبو طلحة فخطب أم سليم، فكلّمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة! ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك، فقال: ما ذاك دهرك! قالت: وما دهري؟ قال: الصفراء والبيضاء ^(١)! قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، أريد منك الإسلام، [فإن تُسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره]، قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق أبو طلحة يريد النبي صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة، غرة الإسلام بين عينيه»، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت وهو البناني أحد رواة القصة عن أنس رضي الله عنه: فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه أنها رضيت الإسلام مهراً. فتزوجها وكانت امرأة مليحة العينين، فيها صغر، فكانت معه حتى ولد له بني، وكان يحبه أبو طلحة حباً شديداً. ومرض الصبي [مرضاً شديداً]، وتواضع أبو طلحة لمرضه أو تضعع له، [فكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة يتوضأ، ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي معه، ويكون معه إلى قريب من نصف النهار، ويجيء يقيل ويأكل، فإذا صلى الظهر تهيأ وذهب، فلم يجئ إلى صلاة العتمة].

(١) المقصود: الذهب والفضة.



موسى عن الذر المنقاة

٢٨٩

فانطلق أبو طلحة عشية إلى النبي ﷺ - وفي رواية: إلى المسجد - ومات الصبي، فقالت أم سليم: لا ينعين إلى أبي طلحة أحد ابنه حتى أكون أنا الذي أنعاه له، فهيات الصبي [فسجت عليه]، ووضعتة [في جانب البيت]، وجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ حتى دخل عليها [ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه] فقال: كيف ابني؟ فقالت: يا أبا طلحة ما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة [وأرجو أن يكون قد استراح!] فأنته بعشائه [فقربته إليهم فتعشوا، وخرج القوم]، [قال: فقام إلى فراشه فوضع رأسه]، ثم قامت فتطيبت، [وتصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك]، [ثم جاءت حتى دخلت معه الفراش، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله]، [فلما كان آخر الليل] قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا قومًا عارية لهم، فسألوهم إياها أكان لهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا؛ قالت: فإن الله ﷻ كان أعارك ابنك عارية، ثم قبضه إليه، فاحتسب واصبر! فغضب ثم قال: تركتني حتى إذا وقعت بما وقعت به نعت إلي ابني! [فاسترجع، وحمد الله]، [فلما أصبح اغتسل]، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ [فصلى معه] فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَابِرِ لَيْتِكُمَا»، فثقلت من ذلك الحمل، وكانت أم سليم تسافر مع النبي ﷺ، تخرج إذا خرج، وتدخل معه إذا دخل، وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا وَلَدَتْ فَأْتُونِي بِالصَّبِيِّ»، [قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقتها طروقًا، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض، واحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ، فقال أبو طلحة: يا رب إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى. قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد



الذي كنت أجد فانطلقا، قال: وضربها المخاض حين قدموا، فولدت غلامًا، وقالت لابنها أنس: «يا أنس! لا يطعم شيئًا حتى تغدو به إلى رسول الله ﷺ، [وبعثت معه بتمرات]، قال: فبات يبكي، وبت مجنحًا عليه، أكالته حتى أصبحت، فغدوت إلى رسول الله ﷺ، [وعليه بردة]، وهو يسم إبلًا أو غنمًا [قدمت عليه]، فلما نظر إليه، قال لأنس: «أولَدْتُ بِنْتٌ مِلْحَانٌ؟» قال: نعم، [فقال: «رُؤَيْدَكَ أَفْرِغْ لِكَ»]، قال: فألقى ما في يده، فتناول الصبي وقال: [«أَمَعَهُ شَيْءٌ؟» قالوا: نعم، تمرات]، فأخذ النبي ﷺ [بعض] التمر [فمضغهن، ثم جمع بزاقه]، [ثم فغر فاه، وأوجره إياه]، فجعل يحنك الصبي، وجعل الصبي يتلمظ: [يمص بعض حلاوة التمر وريق رسول الله ﷺ]، فكان أول من فتح أمعاء ذلك الصبي على ريق رسول الله ﷺ، فقال: «انظُرُوا إِلَيَّ حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمْرِ»، [قال: قلت: يا رسول الله سمه، قال: [فمسح وجهه] وسماه عبد الله،] فما كان في الأنصار شاب أفضل منه، [قال: فخرج منه رجل ^(١) كثير، واستشهد عبد الله بفارس] ^(٢).

(١) جمع راجل، وهو ضد الفارس.

(٢) أخرجه الطيالسي (رقم ٢٠٥٦) والسياق له، ومن طريقه البيهقي (٤/٦٥-٦٦)، وابن حبان (٧٢٥) وأحمد (٣/١٠٥-١٠٦، ١٨١، ١٩٦، ٢٨٧، ٢٩٠) والزيادات كلها له كما سيأتي.

ورواه البخاري (٣/١٣٢-١٣٣)، ومسلم (٦/١٧٤-١٧٥) مختصراً مقتصراً على قصة وفاة الصبي، وروى النسائي (٢/٨٧) قسماً من أوله، والزيادة الأولى له، والسادسة والثامنة والخامسة عشر والسادسة عشر للبخاري، والتاسعة عشر والثانية والعشرون لمسلم، وسائرهما لأحمد كما سبق.

وقد عُنيت عناية خاصة بجمع روايات هذه القصة وألفاظها، لما فيها من روعة وجلالة، =



٢٩١

موسوع الدردر المشتقا

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



= وليأخذ القارئ عنها فكرة جامعة صادقة، وبذلك تتم العبرة والفائدة. منقول من كتاب
أحكام الجنائز للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٥-٣٨).





الكلمة الواحدة والأربعون

«الفروق بين المتشابهات»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن هناك أفعالاً متشابهة ولكن بينهما فوارق بعضها مذموم وبعضها ممدوح، وقد يخفى ذلك على بعض الناس فيخلط بين الأمور، مثل المداهنة والمداراة والبخل والاقتصاد والشجاعة والتهور والحلم والضعف والذلة والتواضع، وهكذا.

فعلى سبيل المثال المداهنة وردت النصوص الشرعية بالنهاي عنها، قال تعالى: ﴿وَدُوًّا لَّوْنُدُهُنَّ فَيُدْهِنُونَ﴾ ﴿٩﴾ [سورة القلم، الآية رقم: ٩]، أي توافقهم على بعض ما هم عليه إما بالقول أو بالفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه.

قال بعضهم: المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومصانعة الكفار والعصاة والظلمة من أجل الدنيا، والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين، مثل الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم على معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [سورة المائدة، الآيتان رقم: ٧٨-٧٩].



أما المداراة فهي درء المفسدة والشر بالقول اللين أو الأعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له، كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه.

والمداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة للمسلمين من كف شر الكفار في حال قوتهم، أو تأليفهم في حال قوة المسلمين أو تقليل شرهم، قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ١٢٥]، فالمداراة جائزة لأنها لأجل الدين، أما المداهنة فلا تجوز لأنها لأجل الدنيا.

والبخل والاقتصاد بينهما كذلك فرق كبير، فالبخل وردت النصوص بالنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٨٠]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(١). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من البخل كما في الصحيحين^(٢).

والبخل من أشد الصفات المذمومة وصاحبها ممقوت عند الله وعند

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٤٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠١٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٣٦٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٦).



﴿موسى عز الذرر المنقلا﴾

خلقه. والبخل المنهي عنه المذموم صاحبه هو أن يمنع ما يحب عليه من الحقوق، ومن منع الفضل فقد أساء وإن كان لا يصل إلى درجة مانع الحقوق، وكلاهما درجات متفاوتة.

أما الاقتصاد فهو مأمور به، قال تعالى مادحاً عباده المقتصدین: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ﴿٦٧﴾ [سورة الفرقان، الآية رقم: ٦٧]، قال ابن كثير: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهلهم فيقتصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ﴿٢٩﴾ [سورة الإسراء، الآية رقم: ٢٩]. وهذا هو التوسط المأمور به؛ لا بخل ولا إمساك ولا إسراف ولا تبذير، ولكن بين ذلك، قال ابن كثير: يقول تعالى أمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن الإسراف: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾: أي ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾، أي فتقعده إن بخلت ملوماً يلومك الناس ويذمونك، ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ يُسْتَغْنَىٰ عَنْهُ وَيُذَمَّمِ

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير، وهي الدابة التي عجزت عن السير (١) أ.هـ.

وكذلك هناك فرق بين الشجاعة والتهور ويجمعهما الإقدام، أما

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٠/٣٢٢).



«الفروق بين المتشابهات» ٢٩٦

الشجاعة فقال ابن حزم: هي بذل النفس للذود عن الدين والحريم وعن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم، وعمن هضم ظلمًا في المال والعرض، وسائر سبل الحق سواء قل من يعارض أو كثير^(١). أما التهور فهو الإقدام على ما لا ينبغي الإقدام عليه من المهالك، وهو بذل النفس فيما يمنع منه الشرع والعقل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مداواة النفوس (ص ٣٩).



الكلمة الثانية والأربعون

مقتطفات من سيرة الإمام: سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وعالم من علمائها الأماجد، وسيد من ساداتها وإمام من أئمة الدين، طلب العلم وهو حدث باعتناء والده المحدث الصادق سعيد بن مسروق الثوري، كان إمامًا من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين مجتمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع الإتيان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد، قال عنه الذهبي: شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله سفيان الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب الجامع .

ذكر أحمد بن عبد الله العجلي وغير واحد أن مولده كان سنة سبع وتسعين وفي بعض ذلك خلاف، قال المزني: والصحيح ما ذكرنا والله أعلم .

وقال غيره: ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك.

وقد كثر ثناء العلماء عليه وتزكيتهم له، قال البراء بن ريم: سمعت يونس بن عبيد يقول: ما رأيت أفضل من سفيان، فقيل له: فقد رأيت سعيد بن جبير، وإبراهيم، وعطاء، ومجاهداً، وتقول هذا؟ قال: هو ما أقول، ما رأيت أفضل من سفيان.

وقال عباس الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان أحدًا



في زمانه، في الفقه والحديث والزهد وكل شيء.

وقال عبد الله بن المبارك: كتبت عن ألف ومئة شيخ، ما كتبت عن أفضل من سفيان، وقال أيضًا: ما نُعت لي أحد، فرأيتُه إلا وجدته دون نعتِه، إلا سفيان. وقال ابن مهدي: رأى أبو إسحاق السبيعي سفيان الثوري مقبلاً فقال: ﴿وَأَيَّنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [سورة مريم، آية رقم: ١٢].

وقال ابن عيينة: «ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري».

وقال بشر الحافي: كان الثوري عندنا إمام الناس، وقال: سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما .

وقال شعيب بن حرب: إني لأحسب أنه يجاء غداً بسفيان حجة من الله على خلقه، يُقال لهم: لم تدركوا نبيكم، قد رأيتم سفيان. وقال شعبة بن الحجاج: إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين، مجمعاً على أمانته بحيث يُستغنى عن تزكيتِه مع الإتيان والحفظ والضبط والورع والزهد .

وقال قبيصة: ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكرت الموت، ما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه.

وقال رواد بن الجراح: سمعت الثوري يقول: كان المال فيما مضى يُكره، فأما اليوم فهو ترس المؤمن. ونظر إليه رجل وفي يده دنانير فقال: يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنانير؟ قال: اسكت، فلولاها لتمندل بنا الملوك.

وقال سفيان رَحِمَهُ اللهُ: من كان في يده من هذه شيء فليصلحه، فإنه



موسى بن الدرداء المتنبه

٢٩٩

زمان إن احتاج كان أول ما يبذله دينه.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: كان رأسًا في الزهد، والتأله والخوف رأسًا في الحفظ رأسًا في معرفة الآثار، رأسًا في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرى الخروج أصلًا، وكان يدلس في روايته، وربما دلس عن الضعفاء، وكان سفيان بن عيينة مدلسًا لكن ما عرف له تدليس عن ضعيف .

قال محمد بن يوسف الفريابي: حدثنا أبي، سمعت سفيان يقول: إن قومًا يقولون: لا نقول لأبي بكر وعمر إلا خيرًا، ولكن عليّ أولى بالخلافة منهما، قال سفيان: فمن قال ذلك فقد خطأ أبا بكر وعمر وعليًا والمهاجرين والأنصار، ولا أدري ترتفع مع هذا أعمالهم إلى السماء؟

قال سفيان رَحِمَهُ اللهُ: أدخلت على المهدي بمنى، فسلمت عليه بالإمرة فقال: أيها الرجل! طلبناك، فأعجزتنا. فالحمد لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتك، فقلت: قد ملأت الأرض ظلمًا وجورًا، فاتق الله، وليكن منك في ذلك عبرة، فطأ رأسه، ثم قال: ارفع إلينا حاجتك، قلت: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب، فاتق الله، وأوصل إليهم حقوقهم، فطأ رأسه فقال: أبو عبد الله أيها الرجل! ارفع إلينا حاجتك، قلت: وما أرفع؟ حدثني إسماعيل بن أبي خالد قال: حج عمر، فقال لخازنه، كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهمًا وإني أرى ها هنا أمورًا لا تطيقها الجبال.

وقال شجاع بن الوليد: كنت أحج مع سفيان فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا .

ومما يدل على قوة حفظه للسنة والأحاديث أنه قال: ما استودعت قلبي شيئًا فخانني .



مقتطفات من سيرة الإمام: سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ

٣٠٠

وقال أيضًا: إني لأمر بالحنك، فأسد أذني مخافة أن أحفظ ما يقول.
قال القطان وعبد الرحمن ما رأينا أحفظ من سفيان.

ولهذا الإمام أقوال عظيمة وحكم باهرة تدل على زهده وورعه
وتقواه.

فمن ذلك أنه قال: ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن، ولكنه
قصر الأمل، وارتقاب الموت.

ومنها قوله: احذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك،
واحذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا
فلا تجده أن تسخط على ربك.

وقال أيضًا: لأن أترك عشرة آلاف دينار يحاسبني الله عليها أحب
إليّ من أن أحتاج إلى الناس.

قال سفيان رَحِمَهُ اللهُ: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديثاً قط إلا عملت
به ولو مرة.

ومن أقواله رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في
الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن
نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى.

قال عبد الله بن المبارك: قال لي سفيان: إياك والشهرة فما أتيت
أحدًا إلا وقد نهى عن الشهرة.

وقال أحمد بن يونس: سمعت سفيان يقول: ما رأيت للإنسان خيرًا
من أن يدخل جحرًا.

وقال أيضًا: السلامة في أن لا تحب أن تُعرف.



موسى بن الدرداء المتقلا

وقال أيضًا: من سُرَّ بالدنيا نُزع خوف الآخرة من قلبه.

وقال أيضًا: إن هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة، فاتركوا لهم الدنيا.

قال عبد الرحمن بن مهدي: بات سفيان عندي، فجعل يبكي، فقيل له، فقال: لذنوبي عندي أهون من ذا، ورفع شيئاً من الأرض - إنني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت. وكان رَحِمَهُ اللهُ مشهوراً بالعبادة والتأله.

قال عطاء الخفاف: ما لقيت سفيان إلا باكياً، فقلت: ما شأنك؟ قال: أتخوف أن أكون في أم الكتاب شقياً.

وكان ينهى عن مجالسة أهل البدع، فقال رَحِمَهُ اللهُ: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم، خرج من عصمة الله ووكل إلى نفسه، وقال أيضًا: من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه لا يُلقَهَا في قلوبهم.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشبه خطافة.

قال ابن مهدي: مرض سفيان بالبطن، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر، نزل عن فراشه، فوضع خده بالأرض، وقال: يا عبد الرحمن! ما أشد الموت، ولما مات غمضته، وجاء الناس في جوف الليل وعلموا.

وقيل: أُخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة، فشاهده الخلق وصلى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي بوصية من سفيان لصلاحه.

مات سنة إحدى وستين ومئة وكان عمره أربعاً وستين سنة، وقد رؤيت له رَحِمَهُ اللهُ منامات كثيرة مبشرة.



مقتطفات من سيرة الإمام: سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ

٣٠٢

قال سعيد بن الخميس: رأيت سفيان في المنام يطير من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَرْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [سورة الزمر، آية رقم ٧٤].

قال إبراهيم بن أعين: رأيت سفيان بن سعيد فقلت: ما صنعت؟ قال: أنا مع السفارة الكرام البررة. وساق الخطيب البغدادي بسنده إلى محمد بن أبي محمد قال: رأى رجل في المنام أنه دخل الجنة، قال: فرأيت الحسن، وابن سيرين، وإبراهيم، وعدة، قال: فقلت: ما لي لا أرى سفيان الثوري معكم فقد كان يُذكر؟ فقالوا: هيهات، ذاك فوقنا ما نراه إلا كما نرى الكوكب الدري، ثم ساق الخطيب بسنده إلى أبي خالد الأحمر قال: رأيت سفيان بن سعيد بعدما مات فقلت: أبا عبد الله كيف حالك؟ قال: خير حال استرحت من غموم الدنيا وأفضيت إلى رحمة الله^(١).

رحم الله الإمام سفيان الثوري وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تهذيب الكمال للزمي (١١ / ١٥٤ - ١٦٩)، البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٣ / ٤٨٩ - ٤٩١)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩ / ١٥١ - ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٩ - ٢٧٩) باختصار وتصرف.



الكلمة الثالثة والأربعون

حكم طاعة من كره ما أنزل الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ آدْبَرِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۗ﴾ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ۗ﴾ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۗ﴾ [سورة محمد، الآيات رقم: ٢٥-٢٨].

«ظاهر الآية يدل على أن بعض الأمر الذي قالوا لهم سنطيعكم فيه، مما نزل الله وكرهه أولئك المطاعون.

والآية الكريمة تدل على أن كل من أطاع من كره ما نزل الله في معاونته له على كراهته ومؤازرته له على ذلك الباطل، أنه كافر بالله، بدليل قوله تعالى فيمن كان كذلك: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ۗ﴾ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۗ﴾ [سورة محمد، الآيتان رقم: ٢٧-٢٨].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ۗ﴾ (٢٧) أي: فكيف يكون حال هؤلاء إذا توفتهم الملائكة؟ أي: قبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم، في حال كونهم

حكمة طاعة من كره ما أنزل الله

٣٠٤

ضارين وجوههم وأدبارهم.

والإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ [سورة محمد، الآية رقم: ٢٨].

أي ذلك الضرب وقت الموت واقع بسبب أنهم: ﴿اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾، أي أغضبه من الكفر به، وطاعة الكفار الكارهين لما نزله الله.

والإسقاط استجلاب السخط، وهو الغضب هنا.

وقوله: ﴿وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾ لأن من أطاع من كره ما نزل الله فقد كره رضوان الله؛ لأن رضوانه تعالى ليس إلا في العمل بما نزل، فاستلزمت كراهة ما نزل: كراهة رضوانه؛ لأن رضوانه فيما نزل، ومن أطاع كارهه فهو ككارهه.

وقوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي أبطلها؛ لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة.

واعلم أن هذه الآية الكريمة، قد قال بعض العلماء: إنها نزلت في المنافقين.

وقال بعضهم: إنها نزلت في اليهود، وأن المنافقين أو اليهود قالوا للكفار الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر، وهو عداوة النبي ﷺ والتعويق عن الجهاد، ونحو ذلك.

وبعضهم يقول: إن الذين اتبعوا ما أسخط الله هم اليهود حين كفروا بالنبي ﷺ لما عرفوه، وكرهوا رضوانه وهو الإيمان به ﷺ.

والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله.



موسوع عن الدرر المنتقاة

مسألة: اعلم أن كل مسلم يجب عليه في هذا الزمان، تأمل هذه الآيات من سورة محمد وتدبرها، والحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأن كثيراً ممن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأن عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزل الله على رسوله محمد ﷺ، وهو هذا القرآن وما يبينه به النبي ﷺ من السنن.

فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزله الله: سنطيعكم في بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية.

وأحرى من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في كل الأمر، كالذين يتبعون القوانين الوضعية، مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله، فإن هؤلاء لا شك أنهم ممن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه، وأنه محبط أعمالهم.

فاحذر كل الحذر من الدخول في الذين قالوا: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أعضاء البيان للشنقيطي (٨/ ٦١٨-٦٢٥) باختصار.





الكلمة الرابعة والأربعون

تأملات في قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِنْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ الآية .

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِنْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ٦٤].

«هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم، ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِنْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ها هنا، ثم وصفها بقوله: ﴿ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ لا بشرًا ولا ملكًا ولا وثنًا ولا صليبًا ولا صنمًا ولا طاغوتًا ولا نارًا ولا شيئًا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية رقم: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٢٦].



تأملات في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ [آل عمران، ٣٠٨]

ثم قال **سُبْحَانَكَ**: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران، الآية رقم: ٦٤] أي لا نتبعه في سن تشريع ولا في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما أحله الله تعالى أو حرمه، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ٣١] معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله^(١).

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي أعرضوا عما دُعوا إليه: ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾، أي متصفون بدين الإسلام، منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام، غير متخذين أحداً رباً، لا عيسى ولا عزيزاً، ولا الملائكة؛ لأنهم خلق مثلنا، محدث كحدوثنا، ولا نقبل من الرهبان شيئاً بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا فنكون قد اتخذناهم أرباباً^(٢).

من فوائد الآية الكريمة:

١- أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعو أهل الكتاب إلى هذه الكلمة السواء؛ لقوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾، وهنا سؤال: هل الرسول قام بذلك؟ نعم حتى كان يكتب بها إلى الملوك.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس **رضي الله عنهما** عن أبي سفيان في قصته حين دخل على قيصر، وفيه: ثم جيء بكتاب رسول الله **ﷺ** فقرأه فإذا فيه:

(١) تفسير ابن كثير **رَحِمَهُ اللهُ** (٣/٨٢-٨٣) بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي **رَحِمَهُ اللهُ** (٥/١٦٢) بتصرف.



موسوع عن الذرر المتشقة ٣٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين^(١) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) (٢).

٢- التنازل مع الخصم لإلزامه بالحق، كيف ذلك؟ لأنه قال: ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ والحق بلا شك مع الرسول ﷺ، لكن من أجل إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه.

٣- أن جميع الرسل متفقون على هذه الكلمة: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ لأنه ما دام أنها كلمة سواء بيننا وبينهم، معناها أنها عندهم كما هي عندنا، وهذا هو الواقع، أن جميع الرسل متفقون على هذه الكلمة، لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، بل إن الله تعالى قال في كتابه العظيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [سورة الذاريات، الآية رقم: ٥٦].

٤- أن الحكم لله بين الناس، وأنه ليس لأحد أن يشرع من دون الله؛ لقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

٥- أن الحكم بين الناس والعبادة مقترنان؛ لأن الله قرن بينهما، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾، لأنك لن تعبد الله إلا بشريعته، إذن يلزم أن يكون

(١) أي المزارعين.

(٢) صحيح البخاري رقم (٧)، وصحيح مسلم رقم (٧٧٣) مطولاً.



تأملات في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾

المشروع هو المعبود. ما دمت تعبد الله فلن تعبده إلا بشريعته. فالمشروع هو المعبود الذي يعبد، لأنه سنَّ طريقاً أو وضع طريقاً وقال: اسلكوا هذا لتصلوا إلي، إذن كل طريق يخالفه فلن يوصل إلى الله، وهذا وجه التلازم بين قوله: أن لا نعبد، وقوله: ولا يتخذ، فإن من اتخذ رباً من دون الله يتبعه في التحليل والتحریم فإنه لم يعبد الله؛ لأن عبادة الله لا تكون إلا بموافقة الشرع.

٦- أن من دعا الناس إلى حلال أو حرام، بإذن الله وشرعه، فهو على حق، تؤخذ من قوله: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فهو يَكْفُرُ لم يقل: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ فحسب بل قال: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

٧- أنه إذا تولى الخصم بعد إقامة الحجة عليه فإنه يعلن له بالبراءة منه، والتزام الحق؛ لقوله: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

٨- أنه ينبغي للمسلم أن يعتز بدينه، وأن يعلنه، ويشهره، خلافاً للضعفاء الذين عندهم ضعف في الشخصية، وقلة الدين، الذين يتسترون بدينهم مخافة أن يعيروا به، حتى إن بعضهم كما قيل لي يخجل أن يصلي بين الناس، يقول: أخشى أن أنسب إلى الدين، والعياذ بالله. وهذا يدل على قلة الإيمان، وعلى ضعف الشخصية، وأن الإنسان ليس عنده رصيد يفتخر به ويعتز به.

٩- إشهاد الخصوم على ما نحن عليه من الحق؛ لقوله: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لما في ذلك من الغضاضة عليهم وكسر جبروتهم^(١).

(١) تفسير القرآن الكريم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، سورة آل عمران (١/٣٦٩-٣٧٥) بتصرف.





والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الخامسة والأربعون

من آداب طالب العلم رقم (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن طلب العلم عبادة من أجل العبادات وأفضلها، فقد جعله الله تعالى في كتابه قسيماً للجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ١٢٢] يعني بذلك الطائفة القاعدة ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾، وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١). والفقهاء هو العلم بالشرع فيدخل فيه علم العقائد والتوحيد وغير ذلك.

قال الإمام أحمد: العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته، قالوا: وكيف تصح النية يا أبا عبد الله؟ قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره.

١- والإخلاص في طلب العلم يحصل بالآتي:

أ- بأن ينوي امتثال أمر الله بطلب العلم لأن الله قال: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ﴾ [سورة محمد، الآية رقم: ١٩]، وذكر فضل أهل العلم، فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

(١) صحيح البخاري برقم (٧٣١٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٧).



الْعِلْمُ دَرَجَاتٌ ﴿ [سورة المجادلة، الآية رقم: ١١].

ب- حفظ شريعة الله، لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم والحفظ في الصدور، ويكون بالكتابة.

ج- حماية الشريعة والدفاع عنها، لأنه لولا العلماء ما حميت الشريعة ولا دافع عنها أحد.

د- اتباع شريعة محمد ﷺ، لأنه لا يمكن أن يتبع شريعته حتى يتعلم هذه الشريعة.

وليحذر طالب العلم من حب الظهور والتفوق على الأقران وجعله سلمًا لأغراض من جاه أو مال أو تعظيم أو سمعة أو طلب محمداً أو صرف وجوه الناس إليه، فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية أفسدتها، وذهبت بركة العلم. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

٢- أن يكون طالب العلم على طريق السلف الصالح في جميع أبواب الدين من التوحيد والعبادات والمعاملات وغيرها، وعليه ترك الجدل والمراء والخوض في علم الكلام لما يجلبه من الآثام، وأن يتعد عن التنطع والتكلف بل يجعل علمه سهلاً ميسراً.

٣- ملازمة خشية الله تعالى، والمحافظة على شعائر الإسلام وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها، قال الإمام أحمد: «أصل العلم خشية الله تعالى». والخشية هي الخوف المبني على العلم

(١) (١٦٩/١٤) برقم (٧٤٥٧) وقال محققوه: إسناده حسن.



موسوعتنا الدرر المنتقاة

٣١٥

والتعظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر، الآية رقم: ٢٨].

٤- دوام المراقبة لله، والمراقبة أن يعبد الله كأنه يراه؛ يقوم للصلاة فيتوضأ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٦]، يقوم يتوضأ وكأنه ينظر إلى رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، عندما قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا»^(١) وهذا أمر مهم.

٥- التحلي بأداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع للحق، وخفض الجناح متحملاً ذل التعلم لعزة العلم، ذليلاً للحق، بعيداً عن الخيلاء، وذلك لأن المقام يقتضي أن يكون عند طالب العلم عفة عما في أيدي الناس، وعفة عن النظر المحرم، وحلم لا يُعاجل العقوبة إذا أساء إليه أحد، وصبر على ما يحصل له من الأذى مما يسمعه، إما من عامة الناس، وإما من أقرانه، وإما من معلمه فيصبر ويحتسب، والتواضع للحق، وكذلك للخلق، فالتواضع للحق بمعنى أنه متى بان له الحق خضع له ولم يتبع سواه بديلاً، وكذلك للخلق فكم من طالب فتح على معلمه أبواباً ليست على بال منه، فلا تحقرن شيئاً. وكذلك ينبغي لطالب العلم أن تعلوه السكينة والوقار، والمقصود أن يحذر كل الحذر من الإعجاب بالنفس، ففي الحديث: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). فالإعجاب يكون بالقلب فقط، فإن ظهرت آثاره فهو خيلاء.

(١) صحيح البخاري برقم (١٦٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٨٥).



٦- أن يكون بعيداً عن الكبر والحسد، وقد فسر النبي ﷺ الكبر بأنه: «بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»^(١). وبطر الحق: هو رد الحق، وغمط الناس يعني: احتقارهم وازدراءهم.

والحسد هو أول ذنب عُصِي اللهُ به، قال تعالى عن الشيطان: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾^(٧٦) [سورة ص، الآية رقم: ٧٦].

٧- القناعة والزهد: «الزهد في الحرام والابتعاد عن حماه بالكف عن الشبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس»، فالتحلي بالقناعة من أهم خصال طالب العلم.

ومعناه أن يقتنع بما آتاه الله ﷻ، لأن بعض طلبة العلم وغيرهم تجده يريد أن يكون في مصاف الأغنياء والمترفين، فيتكلف النفقات في المأكل والمشرب والملبس والفرش، ثم يثقل كاهله بالديون وهذا خطأ، فالقناعة خير زاد المسلم، وفي الحديث: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَفَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(٢).

قيل لمحمد بن الحسن الشيباني رَحِمَهُ اللهُ: لِمَ لا تصنف كتاباً في الزهد؟ قال: «قد صنفت كتاباً في البيوع، يعني: الزاهد من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات وكذلك في سائر المعاملات والحرف» أ.هـ.

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ عن شيخه محمد الأمين الشنقيطي: كان رَحِمَهُ اللهُ متقللاً من الدنيا، وقد شافهني بقوله: «لقد

(١) صحيح مسلم برقم (١٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٥٤).



موسوعنا الدرر المنتقاة

جئت من بلاد شنقيط ومعني كنز قل أن يوجد عند أحد وهو القناعة، ولو أردت المناصب لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أؤثر الدنيا على الآخرة، ولا أبادل العلم بنيل المآرب الدنيوية»، فرحمه الله رحمة واسعة.

٨- التحلي بحسن السمات والهدي الصالح من دوام السكينة والوقار، وعليه أن يجتنب اللعب والعبث. والعبث هو أن يفعل فعلاً لا داعي له، أو يقول قولاً لا داعي له.

قال محمد بن سيرين: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم. وكذلك البعد عن التبذل في المجالس بالسخف والضحك والقهقهة وكثرة التنادر وإدمان المزاح والإكثار منه وإنما يستجاز من المزاح بيسيره ونادره، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر ويزيل المروءة وخاصة عند عامة الناس، فإن ذلك يذهب هيبة طالب العلم وهيبة العلم الذي يحمله.

قال الأحنف بن قيس: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إني أبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه. وقد قيل: «من أكثر من شيء عُرف به»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص (٤٦/١٥) بتصرف.





الكلمة السادسة والأربعون

من آداب طالب العلم رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..
فلا زال الكلام على آداب طالب العلم وما ينبغي أن يتحلى به، فمن ذلك:

١- التحلي بالمروءة وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وتحمل الناس والأنفة من غير كبرياء والعزة في غير جبوت، والشهامة في غير عصبية والحمية في غير جاهلية. والمروءة: هي استعمال ما يجمل العبد ويزينه من الأعمال والأقوال والهيئات، وترك ما يدنسه ويشينه في كل ذلك، سواء مع الخالق أو مع المخلوق، وسواء تعلق ذلك به أو تعداه إلى غيره.

قال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ: والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال^(١).

ومكارم الأخلاق هي أن يتخلق المسلم بالأخلاق الفاضلة الجامعة بين العدل والإحسان، فيأخذ بالحزم في موضع الحزم وباللين واليسر في موضع اللين واليسر، وعليه أن يجتنب خوارم المروءة في طبع أو قول

(١) روضة العقلاء ونزهة العقلاء ص (٢١٨).



أو عمل من حرفة مهينة أو خلة رديئة كالعجب والرياء والبطر والخيلاء واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الرّيب، قال أبو حاتم البستي رَحِمَهُ اللهُ: الواجب على العاقل تفقد الأسباب المستحقة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم^(١) مروءته، فإن المحقرات ضد المروءات تؤذي الكاهل في الحال بالرجوع القهقري إلى مراتب العوام وأوباش الناس^(٢).

٢- التمتع بصفات الرجولة من الشجاعة، وشدة البأس في الحق، والبذل في سبيل المعروف والحذر من ضعف الجأش، وقلة الصبر. فالشجاعة هي الإقدام في محل الإقدام، ويلزم أن تُسبق برأي وتفكير وحنكة، ولهذا قال الشاعر:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ

فلا بد من رأي لأن الإقدام في غير رأي تهور، وتكون نتيجته عكس ما يريده هذا المقدم، وكذلك شدة البأس في الحق بحيث يكون قوياً فيه صابراً على ما يحصل من أذى أو غيره في جانب الحق.

والبذل في المعروف يشمل بذل المال والجاه والعلم وكل ما يُبذل للغير في سبيل المعروف.

«٣- هجر الترفه: لا ينبغي لطالب العلم أن يسترسل في التمتع والرفاهية «فإن البذاذة من الإيمان»^(٣).

(١) الثلم هو: الخلل.

(٢) روضة العقلاء ونزهة العقلاء، ص (٢٣٤).

(٣) حديث في سنن أبي داود برقم (٤١٦١)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن =



موسوع عن الدرر المنقاة

قال عمر رضي الله عنه: «إياكم والتنعم وزى العجم وتمعددوا»^(١) واخشوشنوا». والمقصود بالبذادة: ترك التنعم والترفة.

والإنسان الذي يعتاد الرفاهية يصعب عليه معاناة الأمور لأنه قد تأتيه على وجه لا يتمكن معه من الرفاهية، ومثال ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالاحتفاء أحياناً^(٢). نجد بعض الناس لا يحتفي، وإنما ينتعل دائماً ولو عرض له عارض وقيل له: تمشي مسافة قصيرة بدون وقاية للرجل لوجد بذلك مشقة عظيمة وربما تدمى قدمه من مماسة الأرض، لكن لو عوّد نفسه على الخشونة وعلى ترك الترفه دائماً لحصل له خير كثير.

إن البدن إذا لم يعوّد على مثل هذه الأمور لم يكن عنده مناعة فتجده يتألم من أي شيء من ذلك، لكن من عنده مناعة لايهتم به.

والتنعم يكون باللباس والبدن وغيره، والمراد بذلك كثرته، لأن التنعم بما أحل الله على وجه لا إسراف فيه من الأمور المحمودة بلا شك، وعلى طالب العلم أن يختار اللباس الحسن، لأن الحلية في الظاهر تدل على ميل في الباطن والناس يصنفون الرجل من لباسه، بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابس من الرصانة والتعقل أو التمشيح والرهينة أو التصابي وحب الظهور.

وكذلك الحذر من لباس الإفرنج.

قال عمر بن الخطاب: «أحب إلي أن أنظر القارئ أبيض الثياب» أي

= أبي داود (٧٨٤ / ٢) برقم (٣٥٠٧).

(١) تمعددوا: أمر باللبسة الخشنة المنسوبة إلى معد بن عدنان.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٨٩ / ٣٩) برقم (٢٣٩٦٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح إن كان عبد الله بن بريدة سمعه من أحد صحابيه.



ليعظم في نفوس الناس فيعظم في نفوسهم ما لديه من الحق.
والناس كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: كأسراب القطا
مجبولون على تشبه بعضهم ببعض.

أما لباس التصابي: «بأن يلبس الشيخ الكبير سنًا ما يلبسه الصبيان
من رقيق الثياب وما أشبه ذلك، وهذا من الأمور التي لا ينبغي للإنسان
أن يفعلها.

أما اللباس الإفرنجي فهو اللباس المختص بهم بحيث لا يلبسه
غيرهم، إذا رآه الرائي قال: إن لابس من الإفرنج، وأما ما كان شائعًا بين
الناس من الإفرنج وغيرهم فهذا لا يكون فيه التشبه، لكن قد يحرم من
جهة أخرى مثل أن يكون حريرًا بالنسبة للرجال أو قصيرًا بالنسبة للنساء،
أو ما شابه ذلك.

وفي الحديث: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١) «(٢)».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (٤٠٣١)، وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في الفتاوى
(٣٣١ / ٥): إسناده جيد.

(٢) شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص: ٦٠-٦٦).



الكلمة السابعة والأربعون

من آداب طالب العلم رقم (٣)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فلا زال الكلام على آداب طالب العلم وما ينبغي أن يتحلى به، فمن ذلك:

«١- الإعراض عن مجالس اللغو: واللغو نوعان، لغو ليس فيه فائدة ولا مضرة، والنوع الثاني لغو فيه مضرة.

أما الأول: فلا ينبغي للعاقل أن يذهب وقته فيه لأنه خسارة.

وأما الثاني: فإنه يحرم عليه أن يمضي وقته فيه لأنه منكر محرم، فلا يجوز

للمسلم أن يجلس في المجالس التي تشتمل على المحرم

لأن الله تعالى قال: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ

ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي

حَدِيثِ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٠٤].

فلو رأينا طالب علم يجلس مجالس اللهو واللغو والمنكر

فجنايته على نفسه واضحة وعظيمة، وتكون جناية على العلم

وأهله لأن الناس قد يقولون: هؤلاء طلبة العلم، وهذه نتيجة

العلم! وما أشبه ذلك، فيكون قد جنى على نفسه وغيره.

٢- التصون من اللغظ والهيشات: والمقصود بالهيشات يعني هيشات



الأسواق كما جاء في الحديث التحذير منها لأنها تشتمل على لغط وسب وشتم.

وبعض طلبة العلم يقول: أنا أقعد في الأسواق من أجل النظر لما يفعل الناس وما يكون بينهم، فيقال: إن هناك فرقاً بين الاختيار والممارسة، يعني لو ذكر لك أن في السوق الفلاني كذا وكذا فهنا لا حرج عليك أن تذهب وتختبر بنفسك، لكن لو كان جلوسك في هذا السوق مستمرًا تمارسه كل عصر لكان هذا خطأ منك لأنه إهانة لك ولطلبة العلم عمومًا وللعلم الشرعي.

٣- على طالب العلم: أن يتحلى بالرفق في أقواله وأعماله فإن الخطاب اللين يتألف به النفوس النافرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٥٩] وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»^(١).

٤- التحلي بالتأمل: فعليه أن يتأمل عند التكلم بماذا يتكلم، وما هي عائدته، وعند السؤال والجواب هل جوابه واضح لا لبس فيه أو مبهم! والمقصود التأمني وألا يتكلم حتى يعرف ماذا يتكلم به، وما هي النتيجة.

قال الشاعر:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجَلِ الزَّلَلُ

٥- الثبات والتثبت: هذا أهم ما يكون في هذه الآداب، وهو التثبت فيما ينقل من الأخبار، والتثبت فيما يصدر منك من الأحكام، فالأخبار

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٢٨).



موسوع عن الدرر المنتقلة

٣٢٥

إذا نقلت فلا بد أن يثبت منها هل صحت عمن نُقلت عنه أو لا؟ ثم إذا صحت فلا تحكم بل ثبت في الحكم فربما يكون الخبر مثبتاً على أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ والواقع أنه ليس خطأ.

ويلزم من الثبات والتثبت الصبر والمصابرة وألا يمل ولا يضجر وألا يأخذ من كل كتاب نتفة أو من كل فن قطعة ثم يترك، لأن هذا يضر الطالب ويقطع عليه الأيام بلا فائدة، إذا لم يثبت على شيء تجده مرة في الأجرومية، ومرة في متن القطر، ومرة في الألفية.

وكذلك في المصطلح، مرة في النخبة، ومرة في ألفية العراقي، ويتخبط في الفقه، مرة في زاد المستقنع، ومرة في عمدة الفقه، ومرة في المغني.

هذا في الغالب لا يحصل علماً، ولو حصل علماً فإنما يحصل مسائل لا أصولاً، وتحصيل المسائل كالذي يلتقط الجراد واحدة بعد الأخرى، لكن التأصيل والرسوم والثبات هذا هو المهم، فكن ثابتاً بالسنة للكتب التي تقرأ أو تراجع، وكذلك بالنسبة للشيوخ الذين تتلقى عنهم، فلا ينبغي لطالب العلم أن يكون ذواقاً كل أسبوع أو شهر عند شيخ، لا بأس أن يجعل طالب العلم له شيخاً في الفقه وشيخاً في التفسير وشيخاً في النحو، المهم هو الاستمرار وعدم التنقل والتذوق الذي لا فائدة منه^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عليه وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، ص (٥٠-٧٦) بتصرف.





الكلمة الثامنة والأربعون

«رسالة الرسل»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ٣٦]، تضمنت هذه الآية الكريمة أمران عظيمان، أحدهما: أن الله تعالى بعث إلى كل أمة برسالة مع رسول اختاره لإيصال رسالته إليهم، أرسلهم ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٦٥].

وثانيهما: أن مضمون هذه الرسالة شيئان: أمر ونهي، فأما الأمر فهو أن يعبدوه وحده، وأما النهي فهو ألا يشركوا به شيئاً، وهو في الآية السابقة الأمر باجتنب الطاغوت. وتحقيق الأمر أن تكون العبادة خالصة لله تعالى سواء ما كان منها من الاعتقادات القلبية، أو الأقوال أو أفعال الجوارح، أما تحقيق النهي فيكون باجتنب الطاغوت، وهو كل عابد أو معبود من دون الله. فالبراءة من العابد والمعبود هي ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [سورة الممتحنة، الآية رقم: ٤]. «والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة، من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والطواغيت كثيرة ورؤسهم خمسة:



الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى:
﴿ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنْبِيَّءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة يس، الآية رقم: ٦٠].

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَنْ يُتَّحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء، الآية
رقم: ٦٠].

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ
يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة المائدة،
الآية رقم: ٤٤].

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى:
﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [٦٦] إِلَّا مَنْ أَرْضَى مِنَ
رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصْدًا ﴾ [٢٧] [سورة الجن،
الآيتان رقم: ٢٦-٢٧]. وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ
﴿ [سورة الأنعام، الآية رقم: ٥٩].

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى:
﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [٢٩] [سورة الأنبياء، الآية رقم: ٢٩].

والإنسان ما يصير مؤمناً إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى:
﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ



موسوع من الدرر المنتقاة

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢٩﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٥٦].

والرشد دين محمد ﷺ، والغى دين أبي جهل، والعروة الوثقى شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له (١).

وسئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن معنى لا إله إلا الله فأجاب بقوله: اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ» (٢)، وفي رواية: «صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ» (٣)، وفي حديث آخر: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (٤)، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة. (٥)

والله نَجِيْلٌ وَجِيْلٌ لما أمر عباده في رسالته التي أرسلها إليهم أن يعبدوه

(١) مجموعة التوحيد، ص: (١٢-١٤).

(٢) صحيح البخاري رقم (٩٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٢٨) وصحيح مسلم برقم (٣٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٣).

(٥) رساله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ فيها عن سؤال حول معنى لا إله إلا الله ص: (١).



وحده، وبين لهم أنه أحق بذلك ليكونوا على بصيرة فقال ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾﴾ ثم بين ذلك فقال: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة قريش، الآية: ٤]، وفي آية أخرى يقول ﴿بِحَوْلِ اللَّهِ وَبِحَوْلِ اللَّهِ﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢١] ثم بين ذلك فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٢].

وفي آيات أخرى بين تعالى عظمة الخالق ثم بين ضعف المخلوق ليكون العبد على بصيرة بمن يعبد وبمن يتعلق، وإليك الآيات فتدبر، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفرقان، الآيات رقم: ١-٣].

وما تقدم ذكره هو ما تضمنته كلمة التوحيد العظيمة التي بعث الله بها جميع الرسل «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» التي من حققها نال العز في الدنيا والفوز في الآخرة، وسيأتي إن شاء الله شرح لهذه الكلمة العظيمة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والأربعون

«الحلال بين والحرام بين»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فمما انتشر بين الناس في هذه الأزمنة استحلال بعضهم لمحرمات وردت نصوص صريحة بتحريمها من الكتاب أو السنة، فتجد الواحد منهم يبحث عن فتوى شاذة، أو زلة عالم، ويلوي النصوص الواردة في تحريم هذا العمل ليستحله «ويشرعه» فيصبح هذا الأمر مستحلاً يمارس علانية أمام الناس. وقد ذكر الله هذا الصنف في كتابه فقال: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥٠﴾ [سورة النور، الآيات رقم: ٤٧-٥٠].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ. قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ أي إلى حكم الشرع، وليس ذلك لأجل أنه حكم شرعي، وإنما ذلك لأجل موافقة أهوائهم، فليسوا بمدوحين في هذه الحال، ولو أتوا إليه مذعنين، لأن السعيد حقيقة من يتبع الحق فيما يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه وينبذه عند مخالفته ويقدم الهوى على الشرع



فليس بعبد على الحقيقة^(١).

ولذا ينبغي للمسلم أن يراعي الأمور التالية:

١- النية: والمقصود أن يعلم الله منه أنه يريد مرضاة ربه وليس ما يوافق هواه. قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [سورة الفرقان، الآية رقم: ٤٣]، قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أي مهما استحسنت من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه»^(٢)، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [سورة فاطر، الآية رقم: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص، الآية رقم: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ٦٢].

٢- أن يكون مؤهلاً: قد نال القدر الكافي من العلم الشرعي ووصل إلى مرحلة الاجتهاد، بحيث أنه يستطيع النظر في الأدلة الشرعية والترجيح بين أقوال أهل العلم للوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح.

٣- سؤال أهل العلم والرجوع إليهم: لأن الفتوى خطرهما عظيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [سورة النحل، الآية رقم: ١١٦].

(١) تفسير ابن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ص ٧٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٣٠٩/١٠).



موسوع الدرر المنتقاة

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم، وجهة العلم ما نص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع أو القياس على هذه الأصول ما في معناها. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهُ عَلَى اللَّهِ تَفَتُّونَ﴾ [سورة يونس، الآية رقم: ٥٩] (١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها ولا دليل عليها، ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/٥٩).

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٧/٣٧٣).





الكلمة الخمسون

وقفات مع قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَالِيَةِ وَالْعَالِيَةِ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴿ [سورة آل عمران، الآيات رقم: ١٣٣-١٣٦].

في هذه الآيات الكريمات يأمر الله تعالى عباده المؤمنين المتقين بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السموات والأرض.

والمسارعة إلى المغفرة إما استغفار وإما عمل صالح، والاستغفار أن يقول: اللهم اغفر لي، أستغفر الله، وما أشبه ذلك، لأن من الأعمال الصالحة ما يكفر الله به الخطايا مثل الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان والعمرة إلى العمرة والعمل الصالح يذهب العمل السيئ قوله: ﴿ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ قَالَ: فَوْقَهُ عَرْشُ

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْرِفَةِٰ رَبِّكُمْ ﴾

الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُٰ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ﴿١﴾.

وهذا يدل على أن الجنة فوق السموات، وأما النار فهي في أسفل السافلين، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: وعلى هذا فلا يكون في الآية إشكال إطلاقاً، فمعنى ذلك أن هذه الجنة عرضها عرض السموات والأرض، أما طولها فقال بعض أهل العلم: إنه إذا كان عرضها السموات والأرض فطولها أعظم وأعظم، لأن العادة أن العرض دون الطول، ولكن الصحيح أن عرضها وطولها واحد، إذ ليس لها عرض وطول، وذلك لأنها مستديرة، وليست مربعة، وإذا كانت كذلك فإن عرضها يكون طولها، هذا هو الصحيح الذي صححه جماعة من أهل العلم، ثم وصف المتقين وأعمالهم فقال: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ أي في حال عسرهم ويسرهم؛ إن يسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً ولو قل.

قوله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ أي إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم، وهو امتلاء قلوبهم من الخنق الموجب للانتقام بالقول والفعل، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ ويصبرون عن مقابلة السيئ إليهم. قوله تعالى: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ يدخل في العفو عن الناس العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن السيئ، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله وعفا عن عباد الله رحمة بهم وإحساناً إليهم وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه

(١) برقم (٢٧٩٠).



موسى عز الدين المتقاة

ويكون أجره على ربه الكريم لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى، الآية رقم: ٤٠].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: وهذا بشرط أن يكون ذلك عن قدرة لا عن عجز، أما عن العجز فإنه مذمة، ولهذا قال الشاعر يذم قبيلته:

إِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

لماذا؟ لضعفهم وعجزهم، ولهذا قال:

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَدُّوا الإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا

أما العفو عن الناس فإنه عام وشامل ولكنه ليس على عمومه بالاتفاق، فإن الإساءة إذا كانت في حق الله فهي لله، وليس لأحد أن يعفو عنها، فلو زنا رجل بمحرم رجل وأراد أن يعفو عنه قلنا: لا يمكن، الحق ليس إليك، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [سورة النور، الآية رقم: ٢]، أما إذا كان حقاً للإنسان ليس فيه شائبة حق لله فهذا ينظر فيه، أي ليس على عمومه بل ينظر فيه، إن اقتضت المصلحة العفو فالعفو خير، وإن اقتضت المصلحة المؤاخذة فالمؤاخذة خير، وإن لم تقض لا هذا ولا هذا بأن تساوى الأمران فالعفو خير لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٣٧].

والدليل على هذا أن الله ﷻ قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ فيفهم منه أن من عفا بدون إصلاح فلا أجر له بل قد يأثم على عفوهِ^(١).

(١) تفسير القرآن الكريم، سورة آل عمران للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ١٧٤).



وقفات مع قوله تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ﴿ ٣٣٨ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق والإحسان إلى المخلوق. فالإحسان في عبادة الخالق فسرها النبي ﷺ بقوله: « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »^(١) وأما الإحسان إلى المخلوق فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتعليم جاهلهم ووعظ غافلهم والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور فقد قام بحق الله وحق عبده.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ الفاحشة ما يستفحش شرعاً أو عرفاً مثل الزنا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء، الآية رقم: ٣٢]، وكذلك نكاح ما نكح الآباء وهو أيضاً فاحشة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٢٢]، ولكن في باب الثواب والعقاب الرجوع إلى الشرع، ولهذا فسر بعض العلماء المراد بالفاحشة الكبيرة، فهم إن صدر منهم بادرُوا إلى التوبة والاستغفار وذكرُوا ربهم وما توعدهم به العاصين، ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم والستر لعيوبهم مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلماذا قال: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

أولئك «الموصفون بتلك الصفات» ﴿ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ تزيل

(١) صحيح البخاري برقم (٥)، وصحيح مسلم برقم (٩).

موسوع الدرز المنقاة

٣٣٩

كل محذور ﴿وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فيها من النعيم المقيم والبهجة والسرور والبهاء والخير والسرور والقصور والمنازل الأنيقة العاليات والأشجار المثمرة البهية والأنهار الجارية في تلك المساكن الطيبات ﴿خَلْدِينَ فِيهَا﴾ لا يحولون عنها ولا يبغون بها بدلاً ولا يغير ما هم فيه من النعم ﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ عملوا لله قليلاً فأجروا كثيراً، فعند الصباح يحمد القوم السرى، وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملاً موفراً^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٥٧-١٥٨)، وتفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ لسورة آل عمران (٢/ ١٨١).





الكلمة الواحدة والخمسون

فوائد من قوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٣١ - ٥٥١].

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن فوائد الآيات الكريمات:

«١- أن المتقي لا يكون معصوماً من فعل الفاحشة أو ظلم النفس؛ لأن الله لم يقل: وهم لا يفعلون الفواحش أو لا يظلمون أنفسهم، بل قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٥] فلا شك أن فعل الفاحشة يחדش التقوى إلا إذا استغفر الإنسان وتاب، وقد جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١)، وصح عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ،

(١) مسند الإمام (٢٠/ ٣٤٥) برقم (١٣٠٤٩)، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف.

فوائد من قوله تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ... ﴾ ٣٤٢

فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(١) إذن ليس الشأن في أن لا يفعل الإنسان المعصية، لكن الشأن في أنه إذا فعل المعصية رجع إلى الله فاستغفر لذنبه.

٢- أن الذنوب تنقسم إلى قسمين: فواحش ودونها؛ لقوله: ﴿ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾، و(أو) هنا للتنويع، وهذا متفق عليه بين العلماء أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، ولكن ما هو الضابط للكبائر والصغائر؟ بعض العلماء يقول: إن الكبائر معدودة، فجعل يعددها ويقول: الكبيرة الأولى، الكبيرة الثانية، الكبيرة العاشرة، إلى أن انتهى إلى ما بلغه علمه من الكبائر. وبعضهم يقول: إن الكبائر محدودة وليست معدودة، ومعنى محدودة يعني معلقة بوصف لا بعدد، فقالوا مثلاً: ما فيه حد في الدنيا فهو كبيرة مثل الزنا والسرقة والقذف، كل ما فيه حد في الدنيا فهو كبيرة، وكل ما رُتب عليه اللعنة فهو كبيرة مثل: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَىٰ مُحَدَّثًا»^(٢). ومثل: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي»^(٣) وما أشبهه، وكل ما رُتب عليه غضب فهو كبيرة، مثل قوله تعالى في القاتل: ﴿ وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ٩٣]، وكل ما رُتب عليه وعيد في الآخرة بأن قيل: من فعل كذا فهو في النار أو ما أشبه ذلك، مثل: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»^(٤).

ورأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ قولة: كل ما رُتب عليه عقوبة خاصة، دنيوية أو أخروية فهو كبيرة، وما جاء النهي عنه بدون ذكر

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٤٩).

(٢) رواه مسلم برقم (١٩٧٨).

(٣) رواه الترمذي برقم (١٣٣٧)، وقال: هذا حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري برقم (٥٧٧٨).



موسوع عن الذرر المنقاة

عقوبة فهو صغيرة، فقال مثلاً: الغش من كبائر الذنوب؛ لأن الشارع جعل له عقوبة خاصة: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(١). وإيذاء الجار من كبائر الذنوب؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»^(٢). وهذا الذي حدّه رَحِمَهُ اللهُ يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ مَا قَالَهُ رَحِمَهُ اللهُ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْكِبَائِرَ تَكُونُ عَلَى مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ حَتَّى الْكِبَائِرَ فِيهَا مَا هُوَ أَكْبَرُ، وَفِيهَا مَا هُوَ أَصْغَرُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ»^(٣). وعلى هذا فنقول: الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، ثم إنَّ الكبائر تختلف مراتبها بحسب ما يترتب عليها من المفساد والآثام.

٣- سرعة انتباهه هؤلاء عند فعل الذنوب؛ لقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾، فيبادرون بالتوبة، والمبادرة بالتوبة من صفات المتقين وهل هي واجبة؟ الجواب: نعم، تجب المبادرة بالتوبة؛ لأن التوبة إذا نزل الأجل لا تقبل، والإنسان لا يدري متى ينزل أجله، وعلى هذا فيجب أن يتوب الإنسان من ذنوبه فوراً بدون تأخير.

٤- أن ذكر الله ﷻ سبب للتوبة والرجوع إلى الله؛ لقوله: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾.

٥- أنهم يبادرون بالتوبة؛ لقوله: ﴿فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ ويتفرع على هذه الفائدة عجز أولئك القوم الذين يقولون: إن الله غفور رحيم ولا يستغفرون الله، فإن بعض المذنبين إذا نهيته عن الذنب قال: الله

(١) رواه مسلم، برقم (١٠١).

(٢) رواه البخاري رقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٧).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٦٥٤)، ومسلم في صحيحه برقم (٨٧).



فوائد من قوله تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ... ﴾

غفور رحيم، ولكن هو نفسه لا يستغفر، وإذا كان هؤلاء السادة يستغفرون ربهم بل إذا كان الله أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يستغفر فما بالك بمن دونهم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ ﴾ [سورة غافر، الآية رقم: ٥٥]، ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٠٦].

٦- أنه لا أحد يستطيع أن يغفر الذنوب إلا الله؛ لقوله: ﴿ وَمَنْ يَغْفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ويتفرع عليها أن لا تعتمد على أحد في مغفرة الذنوب أو طلب المغفرة، وإنما يكون اتجاهك إلى الله عز وجل.

٧- أن هؤلاء السادة المتقين لا يصرون على ما فعلوا من الفاحشة أو ظلم النفس وهم يعلمون.

٨- أن الرجل إذا أذنب فاستغفر ثم أذنب فاستغفر ثم أذنب فاستغفر، فإنه يغفر له وإن تكرر الذنب منه؛ لأن الله قال هنا: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ولم يقل: (ولم يعيدوا ما فعلوا)، والإنسان إذا كان كلما أذنب استغفر فإنه يغفر له؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر، الآية رقم: ٥٣]، ويجب أن لا يكون استغفاره بلسانه، وقلبه منطوٍ على الرجوع، فإن كان كذلك فإن هذا الاستغفار لا يفيد، لكن يكون استغفاره حقيقة بقلبه ولسانه، والإنسان بشر ربما تغلبه نفسه في المستقبل فيفعل المعصية مع أنه قد استغفر منها، فنقول: مهما عملت ومهما تكرر منك الذنب ما دمت تستغفر فإن الله تعالى يغفر لك.

٩- توبخ من أصرَّ على الذنب وهو عالم به؛ لقوله: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا ﴾



موسوع عن الذنوب المنقاة

عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، ولهذا قال العلماء: إن الإصرار على المعصية الصغيرة يجعلها كبيرة؛ لأن إصراره عليها يدل على تهاونه بمن عصاه»^(١).

١٠- أن أعظم هذه الذنوب المجاهرة بها، ومعناها أن يرتكب الشخص الإثم علانية أو يرتكبه سرًّا فيستره الله ﷻ، ولكنه يخبر به بعد ذلك مستهيناً بستر الله له. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنْ الْأَجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ! قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(٢)، وهؤلاء هم الذين لا يتمتعون بمعافاة الله ﷻ كحال الشباب الذين يسافرون إلى خارج البلاد، ويرتكب الواحد منهم الفواحش، وشرب الخمر، ثم يخبر بهذا أصدقاء السوء تفاخرًا واستهتارًا بستر الله له، قال ابن حجر رحمته الله: من قصد إظهار المعصية والمجاهرة أغضب ربه فلم يستره ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس من الله عليه بستره إياه^(٣)، وقال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله، وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير الشيخ ابن عثيمين رحمته الله، سورة آل عمران (٢/١٦٥-١٩١) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٩٠) واللفظ له.

(٣) فتح الباري (١٠/٤٨٨).

(٤) فتح الباري (١٠/٤٨٧).





الكلمة الثانية والخمسون

مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن معرفة المقاصد هي أول ما يدفع المرء على بذل الجهد والسعي في تحقيقها، وسواء فعلاً أو تركاً، ويترتب على المقاصد معرفة الآثار المترتبة عليها. والقضاء في الشريعة الإسلامية تدور مقاصده على أربعة أمور:

أولها: تعجيل إيصال الحقوق إلى أصحابها.

وثانيها: قطع النزاع بين المتنازعين.

وثالثها: منع انتشار الظلم بالأخذ على يد الظالم.

رابعها: التطهير.

فأما الأول: فإن الرب بِحَبْلٍ وَجِيلٍ حكم عدل، وحرّم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين عباده، فلا يرضى أن يأخذ أحد حق أحد لأن الحقوق ملك لله بِحَبْلٍ يقسمها بين عباده، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الزخرف، الآية رقم: ٣٢].

فمن أخذ حقاً لغيره فقد خالف الله في حكمته وضادّه في أمره، ولمنع ذلك شرع الله القضاء على جميع الأمم، وهو في أمة محمد ﷺ



مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (١) ٣٤٨

أشمل وأكمل، والقضاء الإسلامي هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك.
ولذلك وردت النصوص تحت على أداء الحقوق إلى أصحابها
والمبادرة إلى ذلك.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ، مِنْ عَرَضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ
أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ
غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ
وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»^(٢).

قلت في أول هذه الفقرة: (تعجيل إيصال الحقوق) ولم أقتصر على
قول: (إيصال الحقوق)؛ وذلك لأن الحقوق ستصل إلى أهلها عاجلاً أم
آجلاً بالقضاء وبدونه كما في الأحاديث السابقة وغيرها، وعليه فيكون
القصد من القضاء تعجيل إيصال الحقوق إلى أصحابها، فإذا لم يتحقق
هذا القصد فعلى القضاء السلام. وإن مما يهدم مقاصد القضاء الإسلامي
تأخير القضايا والتهاون في إنجازها حتى يكره أصحاب القضايا قضاياهم
ويملوا من متابعتها. ومن نتائج ذلك أن يكره الناس القضاء لأنه أذاقهم
من العناء والغم شيء عظيم. والأعظم من هذا التأخير نسبتبه إلى القضاء
الإسلامي وهو بريء من ذلك، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾^(١٣)

(١) برقم (٢٤٤٩).

(٢) برقم (٢٢٢٧).



موسوع عن الدرر المنتقاة

٣٤٩

[سورة الطارق، الآية رقم: ١٣] والله المستعان.

أما الثاني: فإن الله يحب من عباده أن يتراحموا ويتعاطفوا ويكونوا عباد الله إخواناً، ويتحقق ذلك بقطع النزاعات. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية رقم: ١٠]. روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحَمَىٰ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» (٢) الحديث.

فإن لم تنفع الموعظة والتذكرة فالقضاء الإسلامي كفيلاً بقطع النزاعات، روى البخاري ومسلم من حديث عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمك، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، واستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم، حين أحفظه الأنصاري. كان أشار عليهما

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠١١)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٢) برقم (٢٥٦٤).



مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (١) ٣٥٠

بأمر لهما فيه سعة (١) الحديث.

وأما الثالث: فهو منع انتشار الظلم بالأخذ على يد الظالم، فمن أخذ حق غيره ونسبه إلى نفسه فقد وقع في الظلم الذي حرمه الله على نفسه أولاً، وثانياً ظلم غيره فهو ظلم مضاعف. وقد جعل النبي ﷺ منعه من الظلم نصرة له، فقال النبي ﷺ: «انصُرْ أَحَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قالوا: يا رسول الله! هذا نصره مظلوماً فكيف نصره ظالماً؟ قال: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم: ١٠] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ» (٣).

وأما الرابع: فهو التطهير، فإن النفس البشرية قد يعلق بها بعض الخبائث التي لا تزول بالتوبة، ومن المعلوم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان طاهراً من ذلك؛ فعليه فلا بد من التطهير، وهو نوعان:

الأول: في الدنيا بإقامة الحدود والتعزيرات، وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٨٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٤).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٣٣٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود

(٣/٨١٨) برقم (٣٦٤٤).



موسوع عن الدرر المنتقاة

قال: «وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ»^(١)، وفي حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَنْ أَصَابَ حَدًّا أُقِيمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْحَدُّ فَهُوَ كَفَّارَةٌ ذَنْبِهِ»^(٢).

الثاني: في الآخرة بدخول النار، ومن المقطوع به أن التطهير بإقامة الحدود أهون من التطهير في الآخرة.

ولذلك جاء في الصحيحين في حديث المتلاعنين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل بعد وعظه وتذكيره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قال: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا كَذَبْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ دَعَاهَا فَوَعَّظَهَا وَذَكَرَهَا، وَأَخْبَرَهَا أَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ. ^(٣) الحديث.

والقضاء ضرورة من ضرورات الحياة، إذ أن الباري عز وجل لما خلق الأرض وخلق ما فيها وعليها وأذن فيها بالحياة جعلها صالحة، فهو لا يريد أن يفسد هذا الصلاح، وذلك لا يتحقق إلا بالقضاء الذي أنزله ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف، الآية رقم: ٥٦].

ومما تقدم نعلم فضل الله على عباده ورحمته بهم إذ شرع لهم القضاء، مما يستوجب محبته وشكره والثناء عليه بما هو أهله. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٧٨٤)، وصحيح مسلم برقم (١٧٠٩).

(٢) مسند الإمام أحمد (٥/٢١٤)، وقال الحافظ ابن حجر: سنده حسن، الفتح (١٢/٨٦).

(٣) صحيح البخاري مختصراً برقم (٥٣٧)، وصحيح مسلم برقم (١٤٩٣).





الكلمة الثالثة والخمسون

مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ففي هذه الكلمة نستعرض بعض طرق القضاء التي تؤدي إلى تحقيق المقاصد التي سبقت الإشارة إليها في الكلمة السابقة.

فمن ذلك أنه جعل البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

فروى مسلم في صحيحه من حديث علقمة بن وائل رضي الله عنه قال: جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الحضرمي: يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي، فقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي: «أَلَكَ بَيْتُهُ»، فقال: لا، قال: «فَلَكَ يَمِينُهُ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: وهذه قاعدة شرعية مستمرة، لأن اليمين إنما كانت في جانب المدعى عليه، حيث لم يترجح جانب المدعي بشيء غير

(١) برقم (١٣٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٥٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٧١١) واللفظ له.



مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (٢) ٣٥٤

الدعوى، فيكون جانب المدعى عليه أولى باليمين، لقوته بأصل براءة الذمة، فكان هو أقوى المتداعيين باستصحاب الأصل، فكانت اليمين من جهته^(١) أ.هـ.

ومنها: أن القاضي لا يحكم بعلمه لأن ذلك يقضي إلى تهمته. قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «لأن ذلك ذريعة إلى حكمه بالباطل ويقول: حكمت بعلمي^(٢)»، قال: «وقد ثبت عن أبي بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية المنع من ذلك، ولا يعرف لهم في الصحابة مخالف، ولقد كان سيد الحكام صلوات الله وسلامه عليه يعلم من المنافقين ما يبيح دماءهم وأموالهم، ويتحقق ذلك، ولا يحكم فيهم بعلمه مع براءته عند الله وملائكته وعباده المؤمنين من كل تهمة لئلا يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه^(٣)».

قال: ولكن يجوز له - أي القاضي - الحكم بما تواتر عنده وتضافرت به الأخبار بحيث اشترك في العلم به هو وغيره، ويجوز له الاعتماد على سماعه بالاستفاضة لأنها من أظهر البينات، ولا يتطرق إلى الحاكم تهمة إذا استند إليها، فحكمه بها حكم بحجة، لا بمجرد علمه الذي لا يشاركه فيه غيره^(٤).

ومنها: أنه يقبل في المال وما يقصد به المال أيضاً شاهد واحد ويمين المدعي، لقول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قَضَى بِالْيَمِينِ

(١) الطرق الحكمية للسياسة الشرعية (ص ١٣٢) بتصرف.

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١١٥).

(٣) الطرق الحكمية للسياسة الشرعية ص (٣١٣).

(٤) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص (٣١١) بتصرف.



مَعَ الشَّاهِدِ (١).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «مضت السنة أنه يُقضى باليمين مع الشاهد».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يعارض ذلك قوله رَحِمَهُ اللهُ: «الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ» فإن المراد به إذا لم يكن مع المدعي إلا مجرد الدعوى فإنه لا يقضى له بمجرد الدعوى، فأما إذا ترجح جانبه بشاهد أو لوث أو غيره، لم يقض له بمجرد دعواه، بل بالشاهد المجتمع من ترجيح جانبه ومن اليمين» (٢).

ومنها: أنه يقبل في المال وما يقصد به المال كالبيع والأجل والإجارة ونحو ذلك يقبل فيها رجلان أو رجل وامرأتان، لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٨٢] وسياق الآية الكريمة يدل على اختصاص ذلك بالأموال. قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «اتفق المسلمون على أنه يقبل في الأموال رجل وامرأتان، وكذا توابعها من البيع والأجل فيه والخيار فيه، والرهن، والوصية للمعين وهبته، والوقف عليه وضمنان المال وإتلافه، ودعوى رق مجهول النسب وتسمية المهر، وتسمية عوض الخلع» (٣) أ. هـ

والحكمة - والله أعلم - في قبول شهادة المرأة في المال أنه تكثر فيه المعاملة، ويطلع عليه الرجال والنساء غالباً، فوسَّع الشرع في باب ثبوته. وقد جعل رَحِمَهُ اللهُ المرأة على النصف من الرجل في عدة أحكام، أحدها هذا والثاني في الميراث والثالث في الدية، والرابع في العقيقة،

(١) مسند الإمام أحمد (٣٧/١٢٥) برقم (٢٢٤٦٠)، وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

(٢) إعلام الموقعين (١/١٠٢).

(٣) إعلام الموقعين (٢/١٧٣).



والخامس في العتق.

وقد بين سُبْحَانَهُ الحكمة في ذلك بقوله: ﴿أَنْ تَضَلَّ إِحْدَهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٢٨٢]، أي تذكرها إن ضلت وذلك لضعف العقل، فلا تقوم الواحدة مقام الرجل، وفي منع قبولها بالكلية إضاعة لكثير من الحقوق وتعطيل لها، فضم إليها في الشهادة نظيرتها لتذكرها إذا نسيت، فتقوم شهادة المرأتين مقام شهادة الرجل^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الملخص الفقهي (٢/٦٥٣-٦٥٤).



الكلمة الرابعة والخمسون

« أسباب ضيق الصدر »

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فإن انشراح الصدر من أعظم نعم الله على عباده التي تستوجب الشكر، وقد امتن الله على نبيه محمد ﷺ بانشراح صدره، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۗ ﴾ [سورة الشرح، الآية رقم: ١]، وقال تعالى عن نبيه موسى ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۗ ﴾ [سورة طه، الآية رقم: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۗ ﴾ [سورة الزمر، الآية رقم: ٢٢].

أي: أفيستوي من شرح الله صدره للإسلام، فوسع لتلقي أحكام الله والعمل بها منشراحاً قرير العين على بصيرة من أمره، كمن ليس كذلك بدليل قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ﴾، أي لا تلين لكتابه ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد والشر الكبير»^(١).

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ۗ ﴾ [سورة الأنعام،

(١) تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ ص (٩٧٠).



الآية رقم: [١٢٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

والنور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الإيمان فإنه يشرح الصدر، ويوسعه ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وخرج فصار في أضيق سجن وأصعبه، فنصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور. قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٢٢].

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله وتعلق القلب بغيره والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [سورة طه، الآية رقم: ١٢٤]. فإن من أحب شيئاً غير الله عذب وسجن قلبه في محبته ذلك الغير^(١).

وضيق الصدر مما يعاني منه كثير من الناس، وقد بينت الآيات المتقدمة وأقوال أهل العلم سبب سعة الصدر وانشراحه وكذلك سبب ضيق الصدر وحزنه، وأن الاهتداء للإسلام وقبوله والرضى به هو سبب انشراح الصدر، وعكس ذلك هو سبب ضيقه ولا يمنع هذا من وجود ضيق في الصدر وقتاً وجزئياً لأسباب أخرى.

وأريد في هذه الكلمة أن أذكر بعض التفاصيل حتى يمكن حصر العلة ومن ثم تسهيل الطريق لعلاجها.

(١) زاد المعاد (٢/٢٣/٢٨) باختصار.



فأقول وبالله أستعين:

علة ضيق الصدر إما أن تكون ظاهرة سواء كانت تلك الأسباب دينية أو دنيوية، وهذه سهل علاجها لمن وفقه الله وأعانته، وذلك بقطع تلك الأسباب المؤدية لضيق الصدر، فمن الأسباب الدينية:

١- مخالفة أمر الله تعالى بترك ما أمر الله به أو فعل ما نهى الله عنه، والأول أخفى من الثاني. فالذنوب والمعاصي أكثرها معلوم لدى الكثير من الناس وإنما الذي يخفى حتى على بعض الخاصة منهم هو التفريط فيما أمر الله، لا سيما حين يلبس ذلك شهوات محرمة أو تأويلات فاسدة، كقول إبليس لما أمره الله بالسجود فامتنع وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، ودواء ذلك وعلاجه تدارك ما فات أو قضاءه، فإن إمكان ذلك وسهولته من محاسن دين الإسلام العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية رقم: ٦٢]. فمن فاته شيء من عمل الليل تداركه بالنهار والعكس، وتفسير هذه الآية: من أراد أن يتذكر بهما: أي الليل والنهار ويعتبر ويستدل بهما على كثير من المطالب الإلهية ويشكر الله على ذلك، ولمن أراد أن يذكر الله ويشكره، وله ورد من الليل أو النهار فمن فاته ورده من أحدهما أدركه في الآخر^(١).

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سورة هود، الآية رقم: ١١٤].

٢- وقوع المصائب والبلايا وطرق علاجها وتحقيقها كثيرة. فمنها: أن يعلم العبد أن هذه المصائب تكفيرٌ للسيئات، روى الإمام

(١) تفسير الشيخ السعدي ص (٧٧٦).

أحمد في مسنده من حديث زهير قال: أخبرت أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [سورة النساء، الآية رقم: ١٢٣] فكل سوء عملنا جزينا به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرُضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟» قَالَ: بَلَى. قَالَ: «فَهُوَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى، الآية رقم: ٣٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أذى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)، قال بعض السلف: «لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس»، وكان السلف يفرح أحدهم بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ومنها: أن يكون المرض سبباً لرفع منزلة المريض في الآخرة، روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

(١) (١/ ٢٣٠) برقم (٦٨)، وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٦٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٣).

(٣) برقم (٢٣٩٦)، وقال الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٢/ ٢٨٥) برقم (١٩٥٣):

حديث حسن صحيح.



موسوع من الدرر المنتقاة

النبى ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يُبْلَغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ ذَلِكَ» (١).

وقد يجتمع الأمران فتكون الحصيصة تكفيراً للسيئات ورفعاً للدرجات.

قال شريح: ما أصابني من مصيبة إلا حمدت الله عليها لأربع:

١- أن الله رزقني الصبر عليها.

٢- أن الله رزقني الاسترجاع عندها.

٣- أن الله لم يجعلها أكبر منها.

٤- أن الله لم يجعلها في ديني.

روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي عنها أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم نُصِيبُهُ مُصِيبَةً، فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أوّل بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثمّ إنني قُلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ (٢).

قال الشاعر:

وَلَرُبَّ نازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرَجُ

(١) صحيح ابن حبان برقم (٢٨٩٧) والحاكم (١/٦٦٤) برقم (١٣١٤)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٩٩).

(٢) برقم (٩١٨).



« أسباب ضيق الصدر » ٣٦٢

الثالث: بعض الأمراض تبين طبيًا أن بعضها يصاحبه ضيق الصدر وإن لم يكن شديد الألم كغيره، فمن المهم أن ينتبه المريض إلى ذلك. فإن بعض المرضى قد يظن أن به مرض آخر مع أن الأمر ليس كذلك، مثل بعض أمراض المفاصل والروماتزم أو نقص فيتامين (د) أو غيره مما يعلمه الأطباء المتخصصون في ذلك.

فيتلخص مما تقدم أن ضيق الصدر ينحصر في ثلاثة أمور:

الأول: أسباب دينية أو دنيوية.

الثاني: وقوع المصائب والبلايا.

الثالث: بعض الأمراض التي يصاب بها الإنسان.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والخمسون

«اختلاف الفرق»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص الكثيرة التي تحث على الاجتماع وتنهاى عن الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ١٥٩]، فبرأ الله نبيه ﷺ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً. كما نهانا عن التفرق والاختلاف فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٠٥].

ورى الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه في سننهما من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وثنان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «هم الجماعة»^(١)، وفي

(١) سنن الترمذي برقم (٢٦٤١)، ومسند الإمام أحمد (١٤٢/١٤) برقم (٨٣٩٦)، وسنن ابن ماجه برقم (٣٩٩٢)، واللفظ له، وصححه البوصيري والشيخ الألباني رحمهما الله في الصحيحة برقم (١٤٩٢) ورقم (٢٠٣، ٢٠٤).

رواية : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي »^(١).

أي: هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي، وروى البغوي في شرح السنة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا يَتَدَارَوْنَ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ بِإِذْنِ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكذِّبُوا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكَلِمَةُ إِلَى عَالِمِهِ»^(٢).

فهذه النصوص السابقة تدل على أمور:

الأول: أن المقصود بالحديث السابق: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ما ذكره الشيخ صالح المقبلي، وهو أن الناس عامة وخاصة، فالعامة آخرهم كأولهم؛ كالنساء والعبيد والفلاحين والسوقة ونحوهم ممن ليس من أمر الخاصة في شيء، فلا شك في براءة آخرهم من الابتداء كأولهم «ثم خصص الخاصة إلى أقسام إلى آخر ما ذكر»^(٣).

قال الشيخ الألباني رحمته الله - معلقاً على كلام الشيخ صالح المقبلي: إذا حققت جميع ما ذكرنا لك، لم يلزمك السؤال المحذور وهو الهلاك على معظم الأمة لأن الأكثر عددًا هم العامة قديمًا وحديثًا، وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة، ولعل القسمين الأوسطين وكذا من خفت بدعته من الأول، تنقذهم رحمة ربك من النظام في سلك الابتداء بحسب المجازاة الأخروية ورحمة ربك أوسع لكل مسلم، لكننا تكلمنا

(١) سنن الترمذي برقم (٢٦٤١).

(٢) (١/٢٦٠) برقم (١٢١) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) انظر لزاماً السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني رحمته الله (١/٤١١-٤١٢).



موسوع عن الدرر المنتقاة

٣٦٥

على مقتضى الحديث ومصادقه، وأن أفراد الفرق المبتدعة وإن كثرت الفرق فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءاً من ألف جزء من سائر المسلمين، فتأمل هذا تسلّم من اعتقاد مناقضة الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة (٤).

الثاني: أن الاختلاف يقع في ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان والتوحيد، فأهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأن أهله يتفاضلون في أعمالهم وأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالإيمان الذي ينفع صاحبه هو الإيمان الخالص الذي لا يخالطه شرك ولا يناقضه كفر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية رقم: ٨٢]، فمن عبد الله وعبد معه غيره، كمثل الذين يستغيثون بالأولياء والصالحين أو النذر لهم أو دعائهم من دون الله فهذا الإيمان لا ينفعهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر، الآية رقم: ٦٥].

وكذلك فإن من شرط الإيمان الذي ينفع صاحبه أن لا يناقضه كفر، فمن وقع في ناقض من نواقض الإسلام؛ كمن استهزأ بشيء من الدين أو ثوابه أو عقابه لم ينفعه إيمانه، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية رقم: ٦٥]، لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين [سورة التوبة، الآيتان رقم: ٦٥-٦٦].

(٤) السلسلة الصحيحة (١/٤١٣).

الثاني: العمل، والناس في العلم والعمل على ثلاثة أقسام:

الأول: الذين يعملون بالعلم.

والثاني: الذين يعلمون ولا يعملون.

والثالث: الذين يعملون بلا علم.

فالأول: هم الذين أنعم الله عليهم من الصحابة والتابعين ومن اقتدى بهم وسلك طريقهم.

والثاني: هم اليهود ومن تابعهم.

والثالث: هم النصارى ومن شاكلهم، وقد ذكر الله هذه الأصناف في سورة الفاتحة فقال: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾ [سورة الفاتحة، الآية رقم: ٦-٧].

وفي بعض المسائل الفقهية وأشهرها المذاهب الأربعة خلاف، وسبب الاختلاف أشياء كثيرة يعذر أصحابها ولا يهلك إلا المتعصبون، وإلا فإن أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم يرشدون الناس إلى الحق ويدعونهم إلى التمسك بما جاء في الكتاب والسنة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



«مسائل الفقه ثلاث درجات»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فينبغي لطالب العلم أن يسلك الطرق التي تسهل له الوصول إلى العلم في الوقت القصير، فالأعمار محدودة والأوقات قصيرة.

ومن ذلك أن يعلم أن مسائل العلم على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: وهذه ليس في معرفتها كبير عناء، وتشمل كثيرًا من مسائل العلم الظاهرة وهي المسائل التي استقر عليها الإجماع، سواء كان ذلك في الإيمان والتوحيد أو في العبادات والمعاملات. ومن أمثلة ذلك: الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وفي العبادات قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: أجمع العلماء على أنه لا يجوز المسح على القفازين في اليدين، والبرقع في الوجه^(١).

ومن أمثلة ذلك في المعاملات: أن الأصل في المعاملات الإباحة ما لم يأت ما ينقل عنها.

ومن ذلك ما نقل ابن المنذر رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: وأجمعوا على إجازة أن يكرى الرجل من الرجل دارًا معلومة [قد عرفها وقتًا معلومًا] بأجر

(١) المجموع للنووي رَحِمَهُ اللهُ (١/٥٠٣).



معلوم^(١).

ومن أمثلة الإجماع في الجنايات، أن العلماء أجمعوا على مشروعية القصاص في القتل العمد إذا توفرت شروطه، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۗ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٧٨].

ومن مسائل القضاء والحكم:

قال ابن قدامة: «وأجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاء والحكم بين الناس»^(٢).

وأكثر أحكام الشريعة الظاهرة ومسائلها مما أجمع عليه علماء الأمة وتضافرت على بيانه النصوص الشرعية، ولأهل العلم كتب مفردة منها: الإجماع لابن حزم، والإجماع لابن المنذر وغيرها.

الدرجة الثانية: مسائل تكاد تكون من المجمع عليه، لكن لا يتجرأ أحد على ذكر الإجماع لوجود مخالف، على أن بعض أهل العلم مثل ابن جرير الطبري لا يرى مخالفة الواحد والاثنين مانعة من وصف أو نقل الإجماع^(٣).

وبعض أهل العلم إذا وردت هذه المسائل قال عنها: وهذا مما اتفق عليه أهل العلم، أو اتفق أهل العلم على كذا ونحوه.

وهذه أيضاً مثل الإجماع ليس في إدراكها كبير عناء، ومن أمثلة ذلك:

(١) الإجماع لابن المنذر رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٣٩).

(٢) المغني (٥/١٤).

(٣) الأحكام في أصول الأحكام للأمدي (١/٢٩٤).



موسوعتنا الدرر المنتقاة

٣٦٩

ما ذهب إليه بعض أهل العلم من جواز نكاح المجوسيات قياساً على أخذ الجزية منهم، وقد أنكر أهل العلم هذا القول واتفقوا على عدم جواز نكاح نسائهم مع مشروعية أخذ الجزية منهم لورود الحديث الصحيح بذلك.

الدرجة الثالثة: المسائل المختلف فيها، والاختلاف هنا المقصود به الاختلاف في فهم النصوص، فإذا رأيت العالم أو الفقيه قد اجتمعت لديه النصوص في مسألة من المسائل والاختلاف لديه لا يزال قائماً؛ فهذا هو الاختلاف الشديد الذي يتطلب من طالب العلم صدق اللجوء إلى الله تعالى أن يرزقه الفهم وأن يهديه لما اختلف فيه من الحق وهذه المسائل التي لا يعلم الصواب فيها إلا قليل من الناس، قال عليه السلام: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ بَيْنٍ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ بَيْنٍ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» (٤) الحديث.

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [سورة الكهف، الآية رقم: ٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من ذلك القليل.

أما المسائل التي يكون سبب الاختلاف فيها غياب النص الشرعي أو غياب صحته ونحو ذلك، فهي أيسر مما تقدم، وكان الشافعي رحمته الله يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، ولذلك كان البيهقي رحمته الله إذا صح الحديث لديه قال: وهذا مذهب الشافعي، وذلك بعد موته بسنين طوال.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.



«مسائل الفقه ثلاث درجات» | ٣٧٠ |

ومن القواعد التي تعين طالب العلم على فهم هذه المسائل ما يأتي:

١- إذا اجتهد الحاكم.

٢- لا يعلمهن كثير من الناس.

٣- الأخذ بالاحتياط.

٤- النظر إلى النتائج.

٥- سد الذرائع.

٦- الواقع والحال.

٧- الإنكار في مسائل الاجتهاد.

وسياتي شرح هذه القواعد في كلمة خاصة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السابعة والخمسون

تأملات في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٤) [سورة هو، آية رقم: ١١٢].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: أمر الله نبيه محمداً ﷺ ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة ولا يزيغوا عن ذلك يمناً ويسرة ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) [سورة فصلت، الآية رقم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) [سورة الأحقاف، الآية رقم: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١١) [سورة الجن، الآية رقم: ١٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (٦)

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص ٤٩٦.

■ تاملات في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [٣٧٢]

[سورة فصلت، الآية رقم: ٦]، وقال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [سورة الشورى، الآية رقم: ١٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله، قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ»^(١).

في الآيات المتقدمة أمر الله عباده بالاستقامة، وفي آيتين منها قيدها بقوله: ﴿ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ ولم يقل: كما أردت، فالاستقامة التي أمر الله بها لا تكون اتباعاً لأهواء الشخص بل مقيدة بأمر الله. فما هي الاستقامة وما حدودها التي من تجاوزها لم يكن مستقيماً كما أراد الله بل كما أراد هو وكما زينت له نفسه؟ كما قال الله تعالى عن هؤلاء أو عن هذا وأمثاله ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ [سورة فاطر، الآية رقم: ٨].

ولذلك جاء التحذير من البدع في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأطبق على النهي عن ذلك أئمة الإسلام، مع أنها ليست محرمات تنتهك ولا ذنوب ترتكب، ولكنها عبادات يريد منها أصحابها أن يتقربوا بها إلى الله تعالى. والبدعة وإن كانت دون الكفر والشرك فهي أكبر من سائر الكبائر. وإلى حدود الاستقامة فتأمل:

أولاً: الاستقامة سلوك الطريق الذي لا اعوجاج فيه، الموصل إلى الله تعالى، ولا يعرف ذلك إلا عن طريق الوحي. ولا يكون العبد مستقيماً إلا بأمرين: أولهما: أن يكون سويّاً في نفسه.

ثانيهما: أن يكون الطريق الذي يسلكه صراطاً مستقيماً، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة



موسوعة الدرر المنتقاة

٣٧٣

الملك، الآية رقم: [٢٢].

فكما أن الطريق إذا كان وعراً فإن الرجل وإن كان سليماً صحيحاً فإنه لا يستطيع سلوكه، فكذلك إذا كان الطريق مستقيماً معبداً فإن الرجل المعاق لا يستطيع المشي فيه لأنه غير سوي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والأمر الذي يستقيم به القلب، تعظيم الأمر والنهي وهو ناشيء عن تعظيم الأمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [سورة نوح، الآية رقم: ١٣].

قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون الله - تعالى - عظمة؟ وما أحسن ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في تعظيم الأمر والنهي: هو أن لا يعارضوا بترخص جاف، ولا يعارضوا بتشديد غالٍ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد»^(١).

ثالثاً: من أعظم ما يخرج العبد عن الصراط المستقيم تتبع الرخص، وقد سبق الكلام على هذا في كلمة سابقة^(٢).

رابعاً: هذه أمثلة تشرح ما تقدم ذكره، روى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى

(١) صحيح الوابل الصيب لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تحقيق الشيخ سليم الهلالي، (ص ١٧-١٨).

(٢) انظر: موسوعة الدرر المنتقاة ٦-٧ للمؤلف الكلمة رقم (٥٠)، (ص ٣١٩-٣٢٤).



■ | تاملات في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقَمَّ كَمَا أُمِرَتْ ﴾ | □ ٣٧٤

الْفِطْرَةَ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». قَالَ: فَارَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»^(١).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: أنه مر على أناس في المسجد ينتظرون الصلاة وهم حلق، وفي كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، ورجل يقول لهم: سبحوا مئة فيسبحون، كبروا مئة فيكبرون، هللوها مئة فيهللون، فقال لهم: عدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ﷺ ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده! إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ، أو مفتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير! قال: وكم من مريد للخير لم يصبه؟!^(٢)

وروى البخاري في صحيحه من حديث وهب السوائي قال: آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مَتَبَذْلَةً، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ مُتَبَذَّلَةٌ؟ قَالَتْ: إِنَّ أَخَاكَ أَبَا الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ؛ قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لِيَقُومَ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: نَمْ، فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ لَهُ: نَمْ، فَنَامَ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ قَالَ لَهُ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَقَامَا فَصَلَّيَا، فَقَالَ: إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ

(١) رقم (٢٤٧).

(٢) المعجم الكبير (١٢٧/٩) رقم (٨٦٣٦) وروي بألفاظ كثيرة.



موسوعتنا الدرر المنتقاة

٣٧٥

فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دَخَلَ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا:
هَذَا حَبْلٌ لِرَزِينَبَ رضي الله عنه، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا، حُلُّوهُ،
لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَتَعَدَّ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦١٣٩).

(٢) برقم (١١٥٠).





﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص الكثيرة التي تبين غربة الدين وكثرة الفتن وقلّة الناصر في آخر الزمان، وحال المؤمنين آنذاك، وما ينالهم من الأجر العظيم إن صبروا واستقاموا على طاعة الله وثبتوا على الحق. فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(١). لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾

وبين للناس صلى الله عليه وسلم صفة هؤلاء الغرباء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»^(٢).

فبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنهم قلة، فكلما تمسك المؤمن بالسنة علماً وعملاً ازدادت غربته وقل متبعوه وكثر معادوه.

(١) برقم (١٤٥).

(٢) (٢٣١ / ١١) برقم (٦٦٥٠)، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.



قال الشاعر:

فَقَدْ كُنَّا نَعُدُّهُمْ قَلِيلًا وَقَدْ صَارُوا أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ

قال سفيان الثوري: استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء^(١)، وقال: «إذا بلغك عن رجل بالشرق صاحب سنة، وآخر بالغرب، فابعث إليهما السلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة»^(٢).

وقال أبو بكر بن عياش: «السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان»^(٣). ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾

وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: «ما أغرب السنة وأغرب منها من يعرفها»، فهذا في زمن الإمام أحمد وهو في القرون الثلاثة المفضلة فكيف بما بعده؟!

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمَ دِينِهِمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ أَوْ قَالَ: عَلَى الشُّوكِ »^(٤).

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن عمرو أخي بني مازن بن صعصعة - وكان من الصحابة - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٣).

(٢) اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ٦٦).

(٣) اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ٦٦).

(٤) مسند الإمام أحمد (٣٤/ ١٥) برقم (٩٠٧٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.



موسوع من الدرر المنتقاة

٣٧٩

مِنْكُمْ»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَنَهَا، وَتَحِيَّةٌ فِتْنَةٌ فَيَنْزِلُ أَوْ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَحِيَّةٌ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَحِيَّةٌ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» (٢).

قد يقول قائل: ما موقف المسلم وما حاله عند اشتداد الفتن، وغربة الدين، وكثرة المنكرات. فأقول مستعيناً بالله:

وردت نصوص كثيرة في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [سورة فاطر، الآية رقم: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُمْ﴾ [سورة لقمان، الآية رقم: ٢٣]، قال الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي رحمته الله: «لأنك أدت ما عليك من الدعوة والبلاغ فإذا لم يهتد فقد وجب أجرك على الله، ولم يبق للحنن موضع على عدم اهتدائه، لأنه لو كان فيه خير لهداه الله، ولا تحزن أيضاً على كونهم تجرؤوا عليك بالعداوة ونابذوك بالمحاربة، واستمروا على غيهم وكفرهم، ولا تتحرق عليهم بسبب أنهم ما بودروا بالعذاب، فإن: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ من

(١) معجم الطبراني الكبير (١١٧/١٧) برقم (٢٨٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٤).

(٢) برقم (١٨٤٤).



﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ ﴿ ٣٨٠ ﴾

كفرهم وعداواتهم وسعيهم في إطفاء نور الله، وأذى رسله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١).

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وحول الكعبة ثلاث مئة وستون نصبًا، فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨١) (٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم، ووضع على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغير شيئًا، لو كان لي منعة لرفعته... (٣). الحديث.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين، فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم (٤).

قال ابن حجر: وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضهم ولا يصرح به خوفًا على نفسه منهم، كقوله: أعوذ

(١) تفسير الشيخ السعدي (ص ٩١٠).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٧٨) وصحيح مسلم برقم (١٧٨١).

(٣) صحيح البخاري (٢٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٤).

(٤) برقم (١٢٠).



موسوعنا الدرر المنتقاة

٣٨١

بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة^(١).

فهذه النصوص السابقة تدل على أنه إذا خاف المؤمن على نفسه من الأذى كالضرب أو القتل أو الحبس فإنه ينكر بقلبه، قال النووي: فإن خاف من ذلك على نفسه أو ماله أو على غيره سقط الإنكار بيده ولسانه، ووجبت كراهته بقلبه، هذا مذهبنا ومذهب الجماهير^(٢). أ.هـ.

والمخرج من هذه الفتن التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اغْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^(٣). والصبر والثبات، والبعد عنها عصمة منها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَتَكُونُ فِتْنٌ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُدْ بِهِ»^(٤).

قال ابن حجر رحمته الله: في هذا الحديث التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها^(٥).

(١) فتح الباري (١/٢١٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٢/٤٣٣).

(٣) جزء من حديث صحيح مسلم (١٢١٨) ومستدرك الحاكم (١/٢٨٤) وزاد: وسنتي، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب (١/١٢٥) برقم (٤٠).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٦٠١)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٦).

(٥) فتح الباري (١٣/٣١).



وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ بِالْذَّجَالِ فَلْيَنَأْ مِنْهُ؛ مَنْ سَمِعَ بِالْذَّجَالِ فَلْيَنَأْ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبْهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ» (١).

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ عندما ذكر الدجال قال: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكُحْفِ. إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْبُتُوا» (٢) الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» (٣).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (١٠٧/٣٣) برقم (١٩٨٧٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) برقم (٢٩٣٧).

(٣) (١٦٠/١٩)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم.



الكلمة التاسعة والخمسون

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْثُقَ ۚ ﴾ (٢٠)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَوْلَٰئِكَ ۚ ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْثُقَ ۚ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَقَبَىٰ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [سورة الرعد، الآيات رقم: ٢٠-٢٤].

يقول تعالى مفرقاً بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾ ففهم ذلك وعمل به، ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ لا يعلم الحق ولا يعمل به، فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض. فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر، أي الفريقين أحسن حالاً وخير مآلاً فيؤثر طريقه، ويسلك خلف فريقه، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه وما يضره.

﴿ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَوْلَٰئِكَ ﴾ أي أولو العقول الرزينة والآراء الكاملة الذين هم لب العالم وصفوة بني آدم. فإن سألت عن وصفهم فلا تجد أحسن

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ ﴿٣٨٤﴾

من وصف الله لهم بقوله: ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ (١).

«في هذه الآيات جمع الله لهم مقامات الإسلام والإيمان في هذه الأوصاف، فوصفهم بالوفاء بعهده الذي عاهدهم عليه، وذلك يعم أمره ونهيه الذي عهده إليهم؛ بينهم وبينه وبينهم وبين خلقه، ثم أخبر عن استمرارهم بالوفاء به بأنهم لا يقع منهم نقضه، كحال المنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان (٢).

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾.

يدخل في هذا ظاهر الدين وباطنه وحق الله وحق خلقه، فيصلون ما بينهم وبين ربهم بعبوديته وحده لا شريك له والقيام بطاعته والإنابة إليه، والتوكل عليه وحبه وخوفه ورجائه والتوبة إليه، والاستكانة والخضوع والذلة له، والاعتراف له بنعمته وشكره عليها، والإقرار بالخطيئة والاستغفار منها. فهذه هي الصلة بين الرب والعبد، وقد أمر الله بهذه الأسباب التي بينه وبين عبده أن توصل، وأمر أن توصل ما بيننا وبين رسوله ﷺ بالإيمان به وتصديقه وتحكيمه في كل شيء، والرضا لحكمه والتسليم له، وتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه، فدخل في ذلك القيام بحقه وحق رسوله.

وأمر أن نصل ما بيننا وبين الوالدين والأقربين بالبر والصلة، فإنه أمر ببرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ذلك مما أمر به أن يُوصل. وأمر أن نصل ما

(١) تفسير الشيخ السعدي ص ٥٣٢.

(٢) نص الحديث في صحيح البخاري برقم (٦٠٩٥)، وصحيح مسلم (٥٩).



﴿ ٣٨٥ ﴾ موسوع عن الدرر المنتقاة

بيننا وبين الزوجات بالقيام بحقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف. وأمر أن نصل ما بيننا وبين الأرقاء بأن نطعمهم مما نأكل ونكسوهم مما نكتسي ولا نكلفهم فوق طاقتهم. وأن نصل ما بيننا وبين الجار القريب والبعيد بمراعاة حقه، وحفظه في نفسه وماله وأهله بما نحفظ به نفوسنا وأهلينا وأموالنا. وأن نصل ما بيننا وبين الرفيق في السفر والحضر. وأن نصل ما بيننا وبين عموم الناس بأن نأتي إليهم بما نحب أن يأتوه إلينا. وأن نصل ما بيننا وبين الحفظة الكرام الكاتبين بأن نكرمهم، ونستحي منهم كما يستحي الرجل من جليسه ومن هو معه ممن يجله ويكرمه. وهذا كله مما أمر الله به أن يوصل. ثم وصفهم بالحامل لهم على هذه الصلة وهو خشيته وخوف سوء الحساب يوم المآب، ولا يمكن لأحد قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته، ومتى ترحلت الخشية من القلب، انقطعت هذه الصلة»^(١).

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾.

«أي صبروا على الأمور بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها، ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ابتغاء وجه ربهم. لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة. فإن هذا الصبر النافع الذي يحتسب العبد نفسه طلباً لمرضاة ربه ورجاء للقرب منه والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر فهذا يصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة»^(٢).

(١) بدائع التفسير لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٢) بدائع التفسير لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٤٩٥).



وقفات مع قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ لَا يَتْفُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ ﴿٣٨٦﴾

«قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي بآركانها وشروطها ومواقيتها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي».

«ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبر وهي الصلاة فقال: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، وهذان هما العونان على مصالح الدنيا والآخرة وهما الصبر والصلاة فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ٤٥] وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم: ١٥٣]»^(١).

«قوله: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يدخل في ذلك النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات والنفقات المستحبة، وأنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة سراً وعلانية، فأحسنوا إلى أنفسهم بالصبر والصلاة وإلى غيرهم بالإنفاق عليهم»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ إذا جهل عليهم وأوذوا أنهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرؤون بالحسنة السيئة فيحسنون إلى من يسيء إليهم، كما قال **سُبْحَانَكَ**: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت، الآية رقم: ٣٤-٣٥].

وقال بعضهم: المراد أنهم يدفعون الذنب بالحسنة بعده، قال القرطبي بعدما ذكر الأقوال الكثيرة في هذه الآية: ومعناها كلها متقارب، والأول يتناولها بالعموم، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ

(١) تفسير الشيخ السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، ص ٥٣٣.

(٢) تفسير الشيخ السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، ص ٥٣٣.



﴿مُوسَىٰ عَلَىٰ الْبُنْيَانِ﴾

يُذْهِبَنَّ أَلْسِنَاتٍ ﴿ [سورة هود، الآية رقم: ١١٤] ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا» (١) (٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والتحقيق أن الآية تعم النوعين» (٣).

والمقصود أن هذه الآيات تناولت مقامات الإسلام والإيمان كلها. اشتملت على فعل المأمور وترك المحذور، والصبر على المقدور، وقد ذكر تعالى هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿بَلِّغْ إِن تَاصِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [سورة يوسف، الآية رقم: ٩٠].

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ [سورة آل عمران، الآية رقم: ٢٠٠]، فكل موضع قرن فيه التقوى بالصبر اشتمل على الأمور الثلاثة، فإن حقيقة التقوى فعل المأمور وترك المحذور.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾، ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ أي إقامة لا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولاً، لأنهم لا يرون فوقها غاية، لما اشتملت عليه من النعيم والسرور الذي تنتهي إليه المطالب والغايات. ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم أنهم يدخلونها مع من صلح من آبائهم وذرياتهم من الذكور والإناث وأزواجهم،

(١) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٢).

(٣) بدائع التفسير (٤٩٦/٢).



وقفات مع قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ ﴿٢١﴾

أي الزوج أو الزوجة، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَابْتَعْتُمُ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ ﴿٢١﴾ [سورة الطور، الآية رقم: ٢١]. والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يهنونهم بالسلامة وكرامة الله لهم، لزوال كل مكروه ومستلزم لحصول كل محبوب والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام.

قوله: ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية والجنان الغالية.

﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ أي نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها، عملتم فيها ما أعقبكم هذه الدار التي أنتم فيها. فالعقبى على هذا اسم والدار هي الدنيا، وقال بعضهم: فنعم عقبى الدار الجنة عن النار، وقيل: الجنة عن النار.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ » قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ، فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخَيْرُتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرْنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ ^(١)، وَيُتَّقَى

(١) الثغور: هو موضع يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار وهو موضع المخافة من أطراف البلاد، والمراد أنهم يقدمون إلى الثغور والمكارة ويعثون إليهما حتى لا تدخل الكفرة بلاد الإسلام من الثغور وحتى تندفع المكارة.

موسى عن الذرير المنتقاة

بِهِمِ الْمَكَارِهِ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً،
قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ: ﴿سَلِّمْ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد، الآية رقم: ٢٤] «(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين (٢).



(١) (١١/١٣١-١٣٢) برقم (٦٥٧٠)، قال محققوه: إسناده جيد.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٢/٤٩٤-٤٩٦)، تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٨/١٣٥-
١٣٨)، تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (١٢/٥٣-٦١)، تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ، الجامع
لأحكام القرآن (ص ٥٣٢-٥٣٣) باختصار.





الكلمة الستون

مقتطفات من سيرة أسد الله وأسد رسوله

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها. كان رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، وله قرابة من النبي ﷺ وبإسلامه أعز الله المسلمين وأذل الله المشركين، وهو سيد الشهداء، ولد قبل النبي ﷺ بستين وقيل أربع، وأسلم في السنة الثانية من البعثة، لازم نصر رسول الله ﷺ وهاجر معه وجاهد، إنه الإمام البطل الضرغام أسد الله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عمارة عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتها ثوية مولاة أبي لهب كما ثبت ذلك في الصحيح^(١)، وهو قريبه من أمه ﷺ لأن أم حمزة هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بنت عم آمنة بنت وهب بن عبد مناف أم النبي ﷺ، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وقد عقد له رسول الله ﷺ لواء وأرسله في سرية فكان ذلك أول لواء عقد في الإسلام في قول المدائني.

وقصة إسلامه ذكرها ابن إسحاق في السيرة.

وهو أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه، وشتمه، ونال منه بعض ما يكره، ورسول الله ﷺ ساكت لا يكلمه، ثم انصرف لعنه الله

(١) صحيح البخاري (٥١٠٠)، وصحيح مسلم (١٤٤٧).



مقتطفات من سيرة أسد الله وأسد رسوله

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

٣٩٢

عن النبي ﷺ إلى نادٍ من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها على الصفا تسمع ذلك، فلم يلبث أن أقبل حمزة رضي الله عنه متوشحاً^(١) قوسه راجعاً من قنص^(٢) له.

فلما رآته المولاة قالت له: يا أبا عمارة! لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدٌ أنفًا من أبي الحكم بن هشام، وجده ها هنا جالسًا فأذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه، ولم يكلمه محمدٌ.

فاحتمل حمزة رضي الله عنه الغضب لما أراد الله به من كرامته - وكان حمزة أعز فتى في قريش وأشد شكيمة^(٣) - فانطلق يسعى مُصممًا أنه إذا لقي أبا جهل بطش به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه به، فشجه شجة منكرة، ثم قال له: أتشتم ابن أخي وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرد عليّ ذلك إن استطعت. فقام رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال لهم أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا.

وعاد حمزة رضي الله عنه إلى بيته، وقد ساورته الوسواس الشيطانية والهواجس النفسية، كيف تركت دين قومك، واتبعت هذا الصابئ، للموت خيرٌ لك مما صنعت، ثم التمس رضي الله عنه التوفيق والرشد من الله تعالى، فقال: اللهم إن كان رشدًا فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجًا، فبات رضي الله عنه بليلة لم يبت مثلها من وسوسة

(١) متوشحًا: أي متقلدًا. انظر لسان العرب (١٥ / ٣٠٦).

(٢) القنص: الصيد. انظر لسان العرب (١١ / ٣١٩).

(٣) يُقال: فلانٌ شديد الشكيمة: إذا كان عزيز النفس أبا قويا. انظر النهاية (٢ /



موسم الدرر المنتقاة

الشیطان حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي! إني وقعت في أمرٍ لا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري: أرشدُ هو أم غيٌّ شديدٌ!!^(١).

فأقبل عليه عليه ﷺ فحدثه بحدثه الذي يُنير القلوب، ويطمئن النفوس، ويذهب ظلمات الشك والوساوس، فذكره وبشره، وأنذره، فثبت الله تعالى الإيمان في قلبه، فقال ﷺ: أشهد إنك لصادقٌ، فأظهر دينك يا ابن أخي، فوالله ما أحبُّ أن لي ما أظلمته السماء، وأنا على ديني الأول.

وسرَّ الرسول ﷺ بإسلام عمه حمزة رضي الله عنه أيما سرورٍ، وعرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه^(٢).

وقد كانت لهذه الصحابي مواقف عظيمة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فقد روى ابن إسحاق بسنده أن أمية بن خلف سأل عبدالرحمن ابن عوف يوم بدر فقال: «من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره يوم بدر؟ قلت: ذلك عم رسول الله ﷺ ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال:

(١) قال الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه السيرة النبوية (١/ ٣٠٠): هذا يدلُّ على حصافة في العقل، وأصالة في التفكير، واعتدادٍ بالنفس، وأن القوم كانوا أصحاب عقولٍ ومواهب، وأنهم كانوا أهلاً لكل توجيهٍ نبوي كريمٍ حتى صاروا خير أمةٍ أخرجت للناس.

(٢) أخرج قصة إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: الحاكم في المستدرک - كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم باب ذكر إسلام حمزة رضي الله عنه - رقم الحديث (٤٩٣٠) - وابن إسحاق في السيرة (١/ ٣٢٨).

وحسنه شيخنا د/ سعد الحميد في تحقيقه لمختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم (٤/ ١٧٤٠ - ١٧٤٣) برقم (٦٢٨)، وقال: فالحديث بهذه الطريق والطريق الأخرى يكون حسناً لغيره.



ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث وحشي قال: «إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار يوم بدر»^(٢).

وقال علي رضي الله عنه: «إني يومئذ بعدما ارتفع النهار ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم، خرجت في إثر رجل منهم، فإذا برجل من المشركين على كتيب رمل وسعد بن خيثمة، وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة، والمشرك مقنع في الحديد، وكان فارسًا فاقتحم عن فرسه، فعرفني وهو مُعَلِّمٌ ولا أعرفه، فناداني: هلم ابن أبي طالب للبراز، قال: فعطفت عليه فانحط إليّ مقلبًا، وكنت رجلاً قصيرًا فانحطت راجعًا لكي ينزل إليّ، فكرهت أن يعلوني بالسيف. فقال: يا ابن أبي طالب فررت؟ فقلت: قريبًا مفر ابن الشراء، قال: فلما استقرت قدمي وثبت أقبلي، فلما دنا مني ضربني فاتقيت بالدركة^(٣)، فوقع سيفه فلحج - يعني لزم - فأضربه على عاتقه وهو دارع فارتعش، ولقد فض^(٤) سيفي درعه، فظننت أن سيفي سيقتله، فإذا بريق سيف من ورائي فطأطأت رأسي ويقع السيف فأطنَّ قحف رأسه^(٥) بالبيضة^(٦)، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب! فالتفت من ورائي فإذا حمزة بن عبد المطلب^(٧) ^(٨).

(١) السيرة النبوية (٢/ ٢٢٣)، وأخرجه البزار في مسنده (١/ ٣)، برقم (٢٢٧) وسنده حسن.

(٢) برقم (٤٠٧٢).

(٣) الدركة: الترس من جلد فليس فيه خشب ولا عقب، المعجم الوسيط (١/ ٢٨١).

(٤) الفض: الكسر بالترفة، مفتاح الصحاح (ص ٢١٢).

(٥) قحف الرأس: وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل، النهاية في غريب الحديث (١/ ١٧).

(٦) البيضة، هي الخوذة التي توضع لحماية الرأس من الضربات.

(٧) فإذا هو حمزة عمي، والمقتول طعيمة بن عدي.

(٨) مغازي الواقدي (١/ ٩٢-٩٣).



موسوع الدرر المنتقاة

٣٩٥

وكانت المبارزة أول شيء بدئ فيه من القتال يوم بدر، وجرت العادة أنه لا يخرج للمبارزة إلا الشجعان من الرجال وهذا ما حصل في غزوة بدر.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أنه كان يقسم فيها قَسَمًا إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ هَذَا نِ حَصَمَانِ أَحْضَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الحج، آية رقم: ١٩] نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث علي رضي الله عنه قال: تقدم عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: من يبارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ»، فأقبل حمزة إلى عتبة وأقبلت إلى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة^(٢).

وقد استشهد رضي الله عنه في غزوة أحد، وكان ذلك في النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء. ويقال: إنه قتل يوم أحد قبل أن يُقتل أكثر من ثلاثين نفسًا.

روى الحاكم في المستدرک من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»^(٣).

(١) برقم ٤٧٤٣.

(٢) برقم (٢٦٦٥)، وإسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٥٠٧/٢).

(٣) برقم (٤٩٣٦) وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال شيخنا د/ سعد الحميد في =



وقد ذكر البخاري في صحيحه قصة استشهاده من حديث جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبد الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم، وكان وحشي يسكن حمص، فسألنا عنه، فقبل لنا: هو ذاك في ظل قصره، كأنه حميتٌ، قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير، فسلمنا فرد السلام، قال: وعبيد الله معتجر بعمامته، ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه. فقال عبيد الله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا أنني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلامًا بمكة، فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فلكأنني نظرت إلى قدميك، قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حُرٌّ، قال: فلما أن خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بحيال أحد، بينه وبينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال، خرج سباعٌ فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحدأُ الله ورسوله ﷺ؟ قال: ثم شدَّ عليه، فكان كأمس الذهاب، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي، فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا

= تحقيقه لمختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم (٤/ ١٧٤٥) برقم (٦٢٩)، ما خلاصته: الحديث حسن لغيره.

موسى بن الدرداء المتنبأ

٣٩٧

إلى رسول الله ﷺ رسولا، فقيل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رأني قال: «أَنْتَ وَحِشِي؟» قلت: نعم، قال: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟». قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟». قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة، لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلثة جدار، كأنه جمل أورك، ثائر الرأس، قال: فرميته بحررتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال: قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار: أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جاريةٌ على ظهر بيت: وأمير المؤمنين، قتله العبد الأسود^(١).

وقد مثل بحمزة رضي الله عنه بعد قتله، فقد روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما قتل حمزة أقبلت صفيّة تطلبه لا تدري ما صنع، فلقيت علياً والزبير، فقال علي للزبير: اذكر لأمك، وقال الزبير لعلي: لا، اذكر أنت لعمتك، قالت: ما فعل حمزة، فأريها أنهما لا يدريان. فجاءت النبي ﷺ فقال: «إِنِّي أَخَافُ عَلَى عَقْلِهَا»، فوضع يده على صدرها ودعا، فاسترجعت وبكت، ثم جاء فقام عليه وقد مثل به فقال: «لَوْ لَا جَزَعُ النِّسَاءِ لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يُحْصَلَ مِنْ حَوَاصِلِ الطَّيْرِ وَبُطُونِ السَّبَاعِ»، ثم أمر بالقتلى فجعل يصلي عليهم فيضع تسعة وحمزة رضي الله عنه فيكبر عليهم سبع تكبيرات ثم يرفعون ويترك حمزة، ثم يأتوا بتسعة

(١) برقم (٤٠٧٢).



مقتطفات من سيرة أسد الله وأسد رسوله

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

٣٩٨

فيكبر عليهم سبع تكبيرات ثم يرفعون ويترك حمزة، ثم يأتوا بتسعة فيكبر عليهم سبع تكبيرات حتى فرغ منهم^(١).

فإن قيل: يعارضه ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمَ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ^(٢).

وقد أجاب الشوكاني عن هذا الإشكال ومن ضمن ما قال: أحاديث الصلاة قد شد من عضدها كونها مثبتة، والإثبات مقدم على النفي، وهذا مرجح معتبر...^(٣) الخ، وروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قُتِلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنْبًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَسَلْتُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٤).

وكان رضي الله عنه يلقب بأسد الله وأسد رسوله، فقد روى الحاكم في

(١) (٢٠٣/٤) برقم (٤٩٤٧)، وصححه شيخنا د/ سعد الحميد في تحقيقه مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم فقال: الحديث صحيح لغيره (٤/١٧٦٨ - ١٧٧٥) برقم (٦٣٥).

(٢) برقم (١٣٤٣).

(٣) نيل الأوطار (٤/٧٨ - ٨٢).

(٤) مستدرک الحاكم (٤/١٩٩) برقم (٤٩٣٧)، قال الشيخ الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز (ص ٥٦): أخرجه ابن سعد في الطبقات من طريق شيخه محمد ابن عبد الله ثم ساقه بسنده إلى الحسن، وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات.

يعني: أنه صحيح إلى مرسله الحسن البصري، وقال شيخنا د/ سعد الحميد في تحقيقه لمختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم: فأقل أحوال هذا المرسل أن سنده حسن إلى مرسله، فيكون الحديث من الطريق الضعيفة السابقة مع هذا المرسل حسناً لغيره، والله أعلم (٤/١٧٥٢).



موسوع من الدرر المنتقاة

المستدرک من حدیث یحیی بن عبدالرحمن بن أبی لیببة عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: حَمْزَةٌ بِنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم يوم أحد فسمع نساء من بني عبد الأشهل يبكين على هلكاهن فقال: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهَا»، فَجِئْنَ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ فَبَكَيْنَ عَلَى حَمْزَةَ عِنْدَهُ، فَاسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهَنَ يَبْكِينَ، فَقَالَ: «يَا وَيْحَهُنَّ! إِنَّهُنَّ لَهَاؤُنَا حَتَّى الْآنَ؟ مُرُوهُنَّ فَلْيُرْجِعْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خَضِرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا أَكَلِهِمْ وَمَشَرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانُنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ لِيَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكَلُوا فِي الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٣) [سورة آل عمران: ١٦٩].»

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: أما أرواح الشهداء فهي في حواصل طير خضر، فهي كالكوكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها. فنسأل الله الكريم المنان أن يثبتنا على الإيمان^(٤).

(١) (٤/٢٠٤) برقم (٤٩٥٠) وحسنه شيخنا د/ سعد الحميد في مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبی عبد الله الحاكم، فقال بعد ذكره لطرق الحديث: فهو حسن لغيره بمجموع الطرق (٤/١٧٧٦-١٧٧٧) برقم (٦٣٦).

(٢) (٩/٤٧٧) برقم (٥٦٦٦)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) (٤/٢١٨) برقم (٢٣٨٨)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) تفسير ابن كثير رحمته الله: (٣/٢٦٣).



مقتطفات من سيرة أسد الله وأسد رسوله

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

٤٠٠

ومما يدل على فضل شهداء أحد وشرفهم وعظيم مكانتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر أصحاب أحد قال: «أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ^(١) مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الْجَبَلِ» - يَعْنِي: سَفَحَ الْجَبَلِ -^(٢).

وقد دفن حمزة مع ابن أخته عبد الله بن جحش رضي الله عنه في قبر واحد.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث خباب بن الأرت قال:.... لكن حمزة لم يوجد له كفن إلا بُرْدَةٌ ملحَاءٌ إِذَا جَعَلْتَ عَلَى رَأْسِهِ قَلَصْتَ^(٣) عَنْ قَدَمِيهِ، وَإِذَا جَعَلْتَ عَلَى قَدَمِيهِ قَلَصْتَ عَنْ رَأْسِهِ، حَتَّى مَدَّتْ عَلَى رَأْسِهِ وَجَعَلَ عَلَى قَدَمِيهِ الْإِذْخِرَ^(٤).

وقد رثاه كعب بن مالك بأبيات منها:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاءُهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةٌ قَالُوا أَحْمَزَةٌ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ

قال ابن حجر رحمته الله في الإصابة وفي فوائد أبي الطاهر الذهلي من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: استُصْرَخْنَا عَلَى قَتْلَانَا بِأَحَدٍ يَوْمَ حَفْرِ مَعَاوِيَةَ الْعَيْنِ، فَوَجَدْنَا هُمْ رَطَابًا يَتَشَوْنُونَ، وَقَالَ حَمَادُ: وَزَادَ جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ أَيُوبَ: فَأَصَابَ الْمُرُّ^(٥) رَجُلَ حَمْزَةَ فَطَارَ مِنْهَا الدَّمُ.

(١) غُودِرْتُ: مِنَ الْمَغَادِرَةِ وَهِيَ التَّرْكُ: أَي لَيْتَنِي تَرَكْتَ مَعِ قَتْلِي أَحَدٌ وَأَبْقَيْتَ فِيهِمْ، أَي لَيْتَنِي اسْتَشْهَدْتَ مَعَهُمْ.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠) برقم (١٥٠٢٦)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) قلص: ارتفع، النهاية (٤ / ٢٨٨).

(٤) (٣٤ / ٥٥٠) برقم (٢١٠٧٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٥) المر: المسحاة أو مقبضها، التاج (م - ر ر).



موسى عز الدين المتقلد

وهذه كرامة عظيمة لحمزة رضي الله عنه وأرضاه وكان استشهاده كما تقدم في غزوة أحد من السنة الثالثة من الهجرة، فعاش دون الستين - رضي الله عن حمزة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وجمعناه به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) سير أعلام النبلاء (١ / ١٧١ - ١٨٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢ / ٦٢٠ - ٦٢٢)، واللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٦٦٤ - ٦٨٢)، وحدث غير مجرى التاريخ للمؤلف، ص ٢١٩-٢٥٠.





فهرس الموضوعات

الفهرس الأول:

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب

الفهرس الثاني:

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب





الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب

الكلمة	الصفحة
--------	--------

(أ) كتاب العلم

- ١- من آداب طالب العلم رقم (١) ٣١٣
- ٢- من آداب طالب العلم رقم (٢) ٣١٩
- ٣- من آداب طالب العلم رقم (٣) ٣٢٣

(ب) قسم العقيدة

تعريف بالإسلام

- ١- شخصية: «المسلم» ١٣٣
- ٢- وقفات مع قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ ١٤٣
- ٣- الإيمان الذي ينجي صاحبه ١٨٧
- ٤- أقسام الناس في العلم والعمل ٢٠٣
- ٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ ٢٠٧
- ٦- «رسالة الرسل» ٣٢٧
- ٧- مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (١) ٣٤٧
- ٨- مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (٢) ٣٥٣
- ٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ ٣٧١

خطر الشرك والكفر

- ١- حكم طاعة من كره ما أنزل الله ٣٠٣



التحذير من النفاق والفرق الضالة والتمسك بالكتاب والسنة

- ١- تأملات في سيرة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ١٧٣
- ٢- المقارنة بين: «الكفار» و«المنافقين» ١٧٩
- ٣- «اختلاف الفرق» ٣٦٣

توحيد الأسماء والصفات

- ١- شرح اسم الله: «الظاهر» و«الباطن» ١٠١
- ٢- شرح اسم الله: ﴿الْحَى﴾ ١٠٩

الفتن

- ١- يسمونها بغير اسمها ٩١
- ٢- وقفات مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ١٣٧

(ج) التفسير

- ١- وقفات مع قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ﴾ ٣٩
- ٢- فوائد من قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ﴾ ٤٥
- ٣- وقفات مع سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾ ١١٥
- ٤- فوائد من سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾ ١٢٥
- ٥- وقفات مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ١٣٧
- ٦- وقفات مع قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ ١٤٣
- ٧- القواعد الأربع في تدبر القرآن رقم (١) ١٩٣
- ٨- القواعد الأربع في تدبر القرآن رقم (٢) ١٩٧
- ٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ ٢٠٧
- ١٠- وقفات مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ رقم (١) ٢١١
- ١١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ رقم (٢) ٢١٩



﴿ ٤٠٧ ﴾

- ١٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٣) ... ٢٢٣
- ١٣- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٤) ... ٢٣١
- ١٤- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٥) ... ٢٣٧
- ١٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٦) ... ٢٤٧
- ١٦- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٧) ... ٢٥٣
- ١٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٨) ... ٢٥٧
- ١٨- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (٩) ... ٢٦٧
- ١٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ رقم (١٠) ... ٢٧٥
- ٢٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾ ٢٨٣
- ٢١- تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ الآية ٣٠٧
- ٢٢- وقفات مع قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ٣٣٥
- ٢٣- فوائد من قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ٣٤١
- ٢٤- وقفات مع قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ٣٣٥
- ٢٥- وقفات مع قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ٣٤١
- ٢٦- تأملات في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ ٣٧١
- ٢٧- وقفات مع قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ ٣٨٣

(د) الحديث

- ١- تأملات في قول النبي ﷺ: «أَمْكٌ ثُمَّ أَمْكٌ» ١٥٣

(هـ) الفقه

- ١- «التقليد» ١٥٧
- ٢- «الفهم والحفظ» ١٦٣
- ٣- «الفروق بين المتشابهات» ٢٩٣
- ٤- «الحلال بين والحرام بين» ٣٣١
- ٥- مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (١) ٣٤٧

- ٦- مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (٢) ٣٥٣
- ٧- «مسائل الفقه ثلاث درجات» ٣٦٧

(و) موضوعات تهم الأسرة

- ١- المرأة الصالحة ١٤٧
- ٢- الزواج تجارة ٢٨٧

(ز) قضايا اجتماعية

- ١- من أخطاء «الرقاة» ٥١
- ٢- تأملات في قول النبي ﷺ: «أَمْكُ ثُمَّ أَمْكُ» ١٥٣

(ز) المواعظ والرفائق

- ١- «أسباب ضيق الصدر» ٣٥٧
- ٢- ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ٣٧٧

(ط) السيرة

- ١- حادثة الإفك ٧
- ٢- دروس وعبر من حادثة الإفك ٢٩
- ٣- غزوة «الخنديق» ٥٧
- ٤- غزوة «بني قريظة» ٧١
- ٥- دروس وعبر من غزوة: «الخنديق» و «بني قريظة» ٨٣
- ٦- تأملات في سيرة أبي طالب عم النبي ﷺ ١٦٧
- ٧- تأملات في سيرة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ١٧٣
- ٨- مقتطفات من سيرة الإمام: سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ ٢٩٧
- ٩- مقتطفات من سيرة أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٣٩١



الفهرس الثاني

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة	الكلمة
٥	المقدمة:
٧	الكلمة الأولى: حادثة الإفك
٢٩	الكلمة الثانية: دروس وعبر من حادثة الإفك
٣٩	الكلمة الثالثة: وقفات مع قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ وَأَسْتَقِمَّ﴾
٤٥	الكلمة الرابعة: فوائد من قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ وَأَسْتَقِمَّ﴾
٥١	الكلمة الخامسة: من أخطاء «الرقاة»
٥٧	الكلمة السادسة: غزوة: «الخنديق»
٧١	الكلمة السابعة: غزوة: «بني قريظة»
٨٣	الكلمة الثامنة: دروس وعبر من غزوة: «الخنديق» و «بني قريظة»
٩١	الكلمة التاسعة: يسمونها بغير اسمها
١٠١	الكلمة العاشرة: شرح اسم الله: «الظاهر» و «الباطن»
١٠٩	الكلمة الحادية عشرة: شرح اسم الله: ﴿الْحَيُّ﴾
١١٥	الكلمة الثانية عشرة: وقفات مع سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾
١٢٥	الكلمة الثالثة عشرة: فوائد من سورة: ﴿الْبُرُوجِ﴾
١٣٣	الكلمة الرابعة عشرة: شخصية: «المسلم»
١٣٧	الكلمة الخامسة عشرة: وقفات مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾
١٤٣	الكلمة السادسة عشرة: وقفات مع قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾
١٤٧	الكلمة السابعة عشرة: «المرأة الصالحة»

موسى عبد اللطيف المتنبهة

- الكلمة الثامنة عشرة: تأملات في قول النبي ﷺ: «أمك ثم أمك» ١٥٣
- الكلمة التاسعة عشرة: «التقليد» ١٥٧
- الكلمة العشرون: «الفهم والحفظ» ١٦٣
- الكلمة الحادية والعشرون: تأملات في سيرة أبي طالب عم النبي ﷺ ١٦٧
- الكلمة الثانية والعشرون: تأملات في سيرة عبد الله بن أبي ابن سلول
رأس المنافقين ١٧٣
- الكلمة الثالثة والعشرون: المقارنة بين: «الكفار» و«المنافقين» ١٧٩
- الكلمة الرابعة والعشرون: الإيمان الذي ينجي صاحبه ١٨٧
- الكلمة الخامسة والعشرون: القواعد الأربع في تدبر القرآن رقم (١) ١٩٣
- الكلمة السادسة والعشرون: القواعد الأربع في تدبر القرآن رقم (٢) ١٩٧
- الكلمة السابعة والعشرون: أقسام الناس في العلم والعمل ٢٠٣
- الكلمة الثامنة والعشرون: تأملات في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ ... ٢٠٧
- الكلمة التاسعة والعشرون: وقفات مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ
أَقْوَمُ﴾ رقم (١) ٢١١
- الكلمة الثلاثون: وقفات مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ﴾ رقم (٢) ٢١٩
- الكلمة الواحدة والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ﴾ رقم (٣) ٢٢٣
- الكلمة الثانية والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ﴾ رقم (٤) ٢٣١
- الكلمة الثالثة والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ﴾ رقم (٥) ٢٣٧
- الكلمة الرابعة والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ﴾ رقم (٦) ٢٤٧
- الكلمة الخامسة والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ﴾ رقم (٧) ٢٥٣
- الكلمة السادسة والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي



موسم الدرر المنتقاة

- ٢٥٧ هي أقوم ﴿ رقم (٨)
الكلمة السابعة والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
- ٢٦٧ هي أقوم ﴿ رقم (٩)
الكلمة الثامنة والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
- ٢٧٥ هي أقوم ﴿ رقم (١٠)
الكلمة التاسعة والثلاثون: تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
- ٢٨٣ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴿ الآية
الكلمة الأربعون: «الزواج تجارة»
- ٢٨٧
الكلمة الواحدة والأربعون: «الفروق بين التشابهات»
- ٢٩٣
الكلمة الثانية والأربعون: مقتطفات من سيرة الإمام: سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ
- ٢٩٧
الكلمة الثالثة والأربعون: حكم طاعة من كرهه ما أنزل الله
- ٣٠٣
الكلمة الرابعة والأربعون: تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
- ٣٠٧ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴿ الآية
الكلمة الخامسة والأربعون: من آداب طالب العلم رقم (١)
- ٣١٣
الكلمة السادسة والأربعون: من آداب طالب العلم رقم (٢)
- ٣١٩
الكلمة السابعة والأربعون: من آداب طالب العلم رقم (٣)
- ٣٢٣
الكلمة الثامنة والأربعون: «رسالة الرسل»
- ٣٢٧
الكلمة التاسعة والأربعون: «الحلال بين والحرام بين»
- ٣٣١
الكلمة الخمسون: وقفات مع قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن
- ٣٣٥ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴿
الكلمة الواحدة والخمسون: فوائد من قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ
- ٣٤١ مِّن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴿
الكلمة الثانية والخمسون: مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (١)
- ٣٤٧
الكلمة الثالثة والخمسون: مقاصد القضاء الإسلامي وطرق تحقيقها رقم (٢)
- ٣٥٣
الكلمة الرابعة والخمسون: «أسباب ضيق الصدر»
- ٣٥٧
الكلمة الخامسة والخمسون: «اختلاف الفرق»
- ٣٦٣
الكلمة السادسة والخمسون: «مسائل الفقه ثلاث درجات»
- ٣٦٧



موسى عليه السلام المشقة ٤١٢

- الكلمة السابعة والخمسون: تأملات في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ ٣٧١
- الكلمة الثامنة والخمسون: «ليس لها من دون الله كاشفة» ٣٧٧
- الكلمة التاسعة والخمسون: وقفات مع قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ ٣٨٣
- الكلمة الستون: مقتطفات من سيرة أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .. ٣٩١



صدر للمؤلف

- ١- تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه الثقات والمجروحين. رسالة ماجستير (مطبوع).
- ٢- حدثٌ غيرٌ مجرى التاريخ. رسالة دكتوراه (مطبوع).
- ٣- موسوعة الدرر المنتقاة [١-٣] (مطبوع).
- ٤- موسوعة الدرر المنتقاة [٤-٥] (مطبوع).
- ٥- موسوعة الدرر المنتقاة [٦-٧] (مطبوع).
- ٦- موسوعة الدرر المنتقاة [٨-٩] (مطبوع).
- ٧- موسوعة الدرر المنتقاة [١٠] (مطبوع).
- ٨- موسوعة الدرر المنتقاة [١١] (مطبوع).
- ٩- موسوعة الدرر المنتقاة [١٢] (مطبوع).
- ١٠- موسوعة الدرر المنتقاة [١٣] (مطبوع).
- ١١- البركة: كيف يحصل عليها المسلم في ماله، ووقته، وسائر شؤونه (مطبوع).
- ١٢- كيف تلقي خطبة أو كلمة مؤثرة (مطبوع).
- ١٣- التجارة والأسواق: نصائح وأحكام (مطبوع).
- ١٤- خطبة الجمعة فوائد وتنبيهات ويليه سبع رسائل (مطبوع).
- ١٥- المسلمون في بلاد الغربية (مطبوع).
- ١٦- اللؤلؤ والياقوت في دروس المساجد والبيوت (مطبوع).
- ١٧- المختصر من دروس رمضان والعشر (تحت الطبع).

